مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

عجائب الآثار

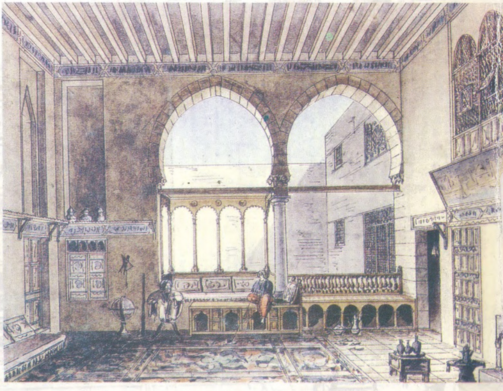
في التراجم والأخبار

٨

الجزء الثامن

عبد الرحمن الجبرتي





مهرجان القراءة للجميع
للطفل - للشاب - للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة

عجائب الآثار
فى
التراجم والأخبار

٨

الجزء الثامن

عجائب الآثار

فى

التراجم والأخبار

تأليف

عبدالرحمن بن حسن الجبرتى

تحقيق

أ.د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم

مهرجان القراءة للجميع
للطفل - للشاب - للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة

مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣
مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

بالاشتراك مع الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

عجائب الآثار
فى التراجم والأخبار (الجزء الثامن)
تأليف: عبدالرحمن بن حسن الجبرتى
تحقيق: أ. د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم

الغلاف والإشراف الفنى:
الفنان : **محمود الهندى**
الإخراج الفنى والتنفيذ :
صبرى عبدالواحد
الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد
المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم:

لا سبيل أمامنا للتقدم والرقى وملاحقة العصر إلاّ بالمزيد من المعرفة الإنسانية.. نور يهدينا إلى الطريق الصحيح، ولأن مكتبة الأسرة أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة نتنسم عطرها ربيعًا للثقافة المصرية الأصيلة.. فإننا قطعنا على أنفسنا عهدًا ووعدًا ليس لنا إلا الوفاء به لتثمر شجرة المعرفة عطاءً للأسرة المصرية.

د.سمير سرحان

واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٨ [١]

فى منتصفه[٢] ، حضر بونابارته الخازندار من الديار الحجازية على طريق القصير .

وفى أواخره [٣] ، سافر قهوجى باشا الذى تقدم ذكر حضوره بالخلع والشلنجات والخناجر ، بعدما أعطى خدمته مبلغا من الأكياس ، وأصحب معه الباشا هدية عظيمة لصاحب الدولة وأكابرها ، وقدره من الذهب العين أربعون ألف دينار ، ومن النصفيات يعنى نصف الدينار ستون ألفا ، ومن فروق البن خمسمائة فرق ، ومن السكر المكرور مرتين مائة قنطار ، ومن المكرر مرة واحدة مائتى قنطار ، ومائتا قدر صينى ، الذى يقال له إسكى معدن مملوءة بالمربيات ، وأنواع الشربات الممسك المطيب المختلف الأنواع ، ومن الخيول خمسون جوادا مرختة بالجوهر والنمدكش[٤] واللؤلؤ والمرجان ، وخمسون حصانا من غير رخوت ، وأقمشة هندية كشميرى ومقصبات وشاهى ومهترخان فى عدة تعابى بقج ، وبخور عود وعنبر ، وأشياء أخرى .

وفيه [٥] ، أيضًا حضر أغا يقال له جانم أفندى وصحبته مرسوم قرئ بالديوان فى يوم الاثنين[٦] ، مضمونه : « البشارة بمولود ولد للسلطان وسموه عثمان » ، واجتمع لسماع ذلك المشايخ والأعيان وضربوا بعد قراءته شنكا ومدافع ، واستمر ذلك سبعة أيام فى كل وقت من الأوقات الخمسة .

وفى يوم الثلاثاء عشرينه [٧] ، الموافق لثالث عشر مسرى القبطى ، أوفى النيل المبارك أذرعه ، ونودى بذلك فى الأسواق على العادة ، وكثر اجتماع غوغاء الناس للخروج إلى الروضة ، وناحية السد ، والولائم فى البيوت المطلة على الخليج ، وما يحصل من اجتماع الأخلاط ، أمام جرى الماء كما هو المعتاد فى كل سنة ، وأنه إذا نودى بالوفاء ، حصل ذلك الاجتماع فى تلك الليلة ، وكسروا السد فى صبحها ، عادة لاتتخلف فيما نعلم ، فلما كان آخر النهار ، ورد الخبر بأن الباشا أمر بتأخير فتح الخليج إلى يوم الخميس ثانيه[٨] ، فكان كذلك ، وخرج الباشا فى صبح يوم الخميس [٩] ، وكسر السد وجرى الماء فى الخليج ، وتكلف أرباب الدور المطلة على الخليج كلفة ثانية لضيفانهم .

---

(١) رجب ١٢٢٨ هـ / ٣٠ يونية ١٨١٣ م .

(٢) ١٥ رجب ١٢٢٨ هـ / ١٤ يوليه ١٨١٣ م .

(٣) آخر رجب ١٢٢٨ هـ / ٢٩ يوليه ١٨١٣ م .

(٤) أمام هذا الرقم كتب بهامش ص ١٧٨ ، طبعة بولاق «(١) فى بعض النسخ « والمزركش » بدل « والنمدكش » أهـ » .

(٥) آخر رجب ١٢٢٨ هـ / ٢٩ يوليه ١٨١٣ م .

(٦) ١٩ رجب ١٢٢٨ هـ / ١٨ يوليه ١٨١٣ م .

(٧) ٢٠ رجب ١٢٢٨ هـ / ١٩ يوليه ١٨١٣ م .

(٨) ٢ رجب ١٢٢٨ هـ / ١ يوليه ١٨١٣ م .

(٩) ٢ رجب ١٢٢٨ هـ / ١ يوليه ١٨١٣ م .

واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة سنة ١٢٢٨ [١]

وفى خامسه ، يـوم الثلاثاء [٢] ، حضر ابن البـاشا المسمى بإسماعـيل من الديار الرومية، ووصل إلى ساحل النيل بشبرا ، وضربوا لوصوله مدافع من القلعة وبولاق وشبرا والجيزة ، وتقدم أنه توجه ببشارة الحرمين ، وأكرمته الدولة وأعطوه أطواخا .

وفى عاشره [٣] ، حضر قاصد مـن الديار الرومية ، ووصل إلى سـاحل النيل ، وصحبته بشـارة بمولودة ولدت لحضرة السلطان ، فـعملوا الديوان بالقلعـة واجتمع به المشـايخ والأعيـان وأكابر الـدولة ، وقرئ الفـرمان الواصـل فى شأن ذلـك ، وفى مضمونه : « الأمر للـكافة بالفرح والسرور وعمل الشـنـك » ، وبعد الفراغ من ذلك ضربت المـدافع من أبراج القلـعة ، واستمر ضربـها فى كل وقت أذان خمـسة أيام ، وهذا لم يعهد فى الدول الماضية إلا للأولاد الذكور ، وأما الإناث فليس لهم ذكر .

وفى ليلة الأربعاء سابع عشرينه [٤] ، عمل الباشا جمعية ببيت الأزبكية ، وأحضر الأعيان والمشـايخ والقضاة الثـلاثة ، وهم بهجت أفنـدى المنفصل عن قـضاء مصر ، وصديق أفـندى المتوجه إلى قـضاء مكة المنـفصل عن قضـاء مصر العام الذى قـبله ، والقاضى المتوجـه إلى المدينة ، فعقدوا عقد ابـنه إسماعيل باشا على ابـنة عارف بيك التى حضرت بصحبـته من الديار الرومية ، وعقدوا عقد أخته ابنة الـباشا على محمد أفندى الذى تقلد الدفتردارية ، ولما تم ذلك قدموا لهم تعابى بقج فى كل واحدة أربع قطع مـن الأقمشة الهنـدية ، وهى شال كشمـيرى وطاقة مسـجر وطاقة قطنـى هندى وطاقة شاهى ، وفرقـوا على الدون من الناس الحاضرين محـارم ، ثم إن الباشا شرع فى الاهتمام إلى سفر الحجاز ، وتشهيل المـطاليب واللوازم ، فمن جملة ذلك أربعون صندوقا من الصفيح المشمع داخلها بالشمع والمصطكى ، وبالخشب من خارج وفـوق الخشب جـلود البقر المدبـوغ ، ليودع بها مـاء النيل المغـلى لشربه وشرب خـاصته ، ومثلها فى كل شهر يتقيد بعمل ذلك وغيره السيد المحروقى ، ويرسله فى كل شهر .

واستهل شهر شوال بيوم الأحد سنة ١٢٢٨ [٥]

فى سـابعه يـوم السبت[٦] ، أداروا كسـوة الكعبة ، وكانت مصنـوعة مـن نحـو

---

(١) رمضان ١٢٢٨ هـ / ٢٨ أغسطس - ٦ سبتمبر ١٨١٣ م .(٢) ٥ رمضان ١٢٢٨ هـ / ١ سبتمبر ١٨١٣ م .
(٣) ١٠ رمضان ١٢٢٨ هـ / ٦ سبتمبر ١٨١٣ م . (٤) ٢٧ رمضان ١٢٢٨ هـ / ٢٣ سبتمبر ١٨١٣ م .
(٥) شوال ١٢٢٨ هـ / ٢٧ سبتمبر - ٢٥ أكتوبر ١٨١٣ م . (٦) ٧ شوال ١٢٢٨ هـ / ٣ أكتوبر ١٨١٣ م .

خمس سنوات وموضوعة فى مكان بالمشهد الحسينى ، فأخرجوها فى مستهل الشهر [1] ، وقد توسخت لطول المدة فحلوها ومسحوها ، وكان عليها اسم السلطان مصطفى فغيروه وكتبوا اسم السلطان محمود ، فاجتمع الناس للفرجة عليها ، وكان المباشر لها الريس حسن المحروقى فركب فى موكبها .

وفى ليلة السبت رابع عشره [2] ، خرج محمد على باشا مسافرا إلى الحجاز ، وكان خروجه وقت طلوع الفجر من يوم السبت المذكور إلى بركة الحاج ، وخرج الأعيان والمشايخ لوداعه بعد طلوع النهار ، فأخذوا خاطره ورجعوا آخر النهار ، وركب هو متوجها إلى السويس بعد مضى ثمان ساعات وربع من النهار ، وبرزت الخيالة والسفاشية إلى خارج باب النصر ليذهبوا على طريق البر ، وقبل خروج الباشا بيومين ، قدمت هجانة مبشرون بالقبض على عثمان المضايفى بناحية الطائف ، وكان قد جرد على الطائف فبرز إليه الشريف غالب وصحبته عساكر الأتراك والعربان ، فحاربوه وحاربهم ، فأصيب جواده فنزل إلى الأرض واختلط بالعسكر ، فلم يعرفوه ، فخرج من بينهم ومشى وتباعد عنهم نحو أربع ساعات ، فصادفه جماعة من جند الشريف ، فقبضوا عليه ، وأصابته جراحة ، وعندما سقط من بين قومه ارتفع الحرب فيما بين الفريقين أخريات النهار ، ولما أحضروه إلى الشريف غالب ، جعل فى رقبته الجنزير ، والمضايفى هذا زوج أخت الشريف ، وخرج عنه ، وانضم إلى الوهابيين ، فكان أعظم أعوانهم ، وهو الذى كان يحارب لهم ويقاتل ويجمع قبائل العربان ، ويدعوهم عدة سنين ، ويوجه السرايا على المخالفين ، ونما أمره واشتهر لذلك ذكره فى الأقطار ، وهو الذى كان افتتح الطائف وحاربها وحاصرها ، وقتل الرجال وسبى النساء ، وهدم قبة ابن عباس الغريبة الشكل والوصف ، وكان هو المحارب للعسكر مع عربان حرب [3] ، فى العام الماضى بناحية الصفراء والجديدة [4] ، وهزمهم وشتت شملهم ، ولما قبضوا عليه أحضروه إلى جدة ، واستمر فى الترسيم عند الشريف ، ليأخذ بذلك وجاهة عند الأتراك الذى هو على ملتهم ، ويتحقق لديهم نصحه لهم ومسالمته إياهم ، وسيلقى قريبا منهم جزاء فعله ، ووبال أمره ، كما سيتلى عليك بعضه بعد قليل .

---

(١) ١ شوال ١٢٢٨ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٨١٣ م .   (٢) ١٤ شوال ١٢٢٨ هـ / ١٠ أكتوبر ١٨١٣ م .

(٣) عربان حرب : قبيلة كبيرة من العرب القحطانية ، استقر بنو حرب فيما بين مكة والمدينة ، وانتقلت منهم فروع كثيرة إلى نجد .
الجاسر ، حمد : جمهرة أنساب الأسر المتحضرة فى نجد ، دار اليمامة ، الرياض ١٩٨١ م ، جـ ١ ، ص ١٤٤ .

(٤) الصفراء والجديدة : الصفراء قرية من قرى بدر بمنطقة المدينة ، والجديدة قرية من قرى بدر فى منطقة المدينة.
الجاسر ، حمد : المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية (معجم مختصر) ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، جـ١ ، ص ٣٥٧ ، جـ ٢ ، ص ٨٤٧ .

واستهل شهر ذى القعدة بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٨ [١]

وفى أوائله [٢] ، وردت أخبار من الجهة الرومية بأن عساكر العثمانيين استولوا على بلاد بلغارد من أيدى طائفة الصرب ، وكانوا استولوا عليها نيفا وأربعين سنة ، والله أعلم بصحة ذلك .

وفيه [٣]، عزل محمود حسن من الحسبة، وتقلدها عثمان أغا المعروف بالورداني.

وفى خامس عشره[٤] ، وصل عثمان المضايفى صحبة المتسفرين معه إلى الريدانية آخر الليل ، وأشيع ذلك ، فلما طلعت الشمس ضربوا مدافع من القلعة إعلاما وسرورا بوصوله أسيرا ، وركب صالح بيك السلحدار فى عدة كبيرة ، وخرجوا لملاقاته ، وإحضاره ، فلما واجهه صالح بيك نزع من عنقه الحديد ، وأركبه هجينا، ودخل به إلى المدينة وأمامه الجاويشية والقواسة الأتراك، وبأيديهم العصى المفضضة، وخلفه صالح بيك وطوائفه ، وطلعوا به إلى القلعة ، وأدخله إلى مجلس كتخدا بيك وصحبته حسن باشا وطاهر باشا وباقى أعيانهم ، ونجيب أفندى قبى كتخدا الباشا ووكيله بباب الدولة ، وكان متأخرا عن السفر ، ينتظر قدوم المضايفى ليأخذه بصحبته إلى دار السلطنة ، فلما دخل عليهم أجلسوه معهم فحدثوه ساعة ، وهو يجيبهم من جنس كلامهم بأحسن خطاب ، وأفصح جواب ، وفيه سكون وتؤدة فى الخطاب ، وظاهر عليه آثار الإمارة والحشمة والنجابة، ومعرفة مواقع الكلام ، حتى قال الجماعة لبعضهم البعض ، « يا أسفا على مثل هذا ، إذا ذهب إلى إسلامبول يقتلونه » ، ولم يزل يتحدث معهم حصة ، ثم أحضروا الطعام فواكلهم ، ثم أخذه كتخدا بيك إلى منزله ، فأقام عنده مكرما ثلاثة حتى تمم نجيب أفندى أشغاله ، فأركبوه وتوجهوا به إلى بولاق ، وأنزلوه فى السفينة مع نجيب أفندى ، ووضعوا فى عنقه الجنزير وانحدروا طالبين الدياز الرومية ، وذلك يوم الاثنين حادى عشرينه [٥] .

وفى أواخره [٦] ، وصلت أخبار بأن مسعود الوهابى أرسل قصادا من طرفه إلى ناحية جدة ، فقابلوا طوسون باشا والشريف غالب خلع عليهم ، وأخذهم إلى أبيه ، فخاطبهم وسألهم عما جاءوا فيه ، فقالوا : « الأمير مسعود الوهابى يطلب الإفراج عن المضايفى ، ويفتديه بمائة ألف فرانسة ، وكذلك يريد إجراء الصلح بينه وبينكم ،

(١) ذى القعدة ١٢٢٨ هـ / ٢٦ أكتوبر - ٢٤ نوفمبر ١٨١٣ م .
(٢) ١ذى القعدة ١٢٢٨ هـ / ٢٦ أكتوبر ١٨١٣ م .
(٣) ١ ذى القعدة ١٢٢٨ هـ / ٢٦ أكتوبر ١٨١٣ م .
(٤) ١٥ ذى القعدة ١٢٢٨ هـ / ٩ نوفمبر ١٨١٣ م .
(٥) ٢١ القعدة ١٢٢٨ هـ / ١٥ نوفمبر ١٨١٣ م .
(٦) آخر ذى القعدة ١٢٢٨ هـ / ٢٤ نوفمبر ١٨١٣ م .

وكف القتال » ، فقال لهم : « فإنه سافر إلى الدولة ، وأما الصلح فلانأباه بشروط ، وهو أن يدفع لنا كل ما صرفناه على العساكر من أوّل ابتداء الحرب إلى وقت تاريخه، وأن يأتى بكل ما أخذه واستلمه من الجواهر والذخائر التى كانت بالحجرة الشريفة ، وكذلك ثمن ما استهلك منها ، وأن يأتى بعد ذلك ، ويتلاقى معى ، وأتعاهد معه ، ويتم صلحنا بعد ذلك ، وإن أبى ذلك ولم يأتِ فنحن ذاهبون إليه » ، فقالوا له : « اكتب له جوابا » ، فقال : « لا أكتب جوابا ، لأنه لم يرسل معكم جوابا ، ولا كتابا ، وكما أرسلكم بمجرد الكلام ، فعودوا إليه كذلك » ، فلما أصبح الصباح وقت انصرافهم أمر باجتماع العساكر ، فاجتمعوا ونصبوا ميدان الحرب والرمى المتتابع من البنادق والمدافع ليشاهد الرسل ذلك ، ويروه ويخبروا عنه مرسلهم .

واستهل شهر ذى الحجة الحرام بيوم الأربعاء سنة ١٢٢٨ [١]

وفى ليلة الأحد تاسع عشره [٢] ، وقعت كائنة لطيف باشا ، وذلك أنّ المذكور مملوك الباشا أهداه له عارف بيك ، وهو عارف أفندى ابن خليل باشا المنفصل عن قضاء مصر نحو خمس سنوات ، واختص به الباشا وأحبه ، ورقاه فى الخدم والمناصب إلى أن جعله إنختار أغاسى [٣] أى صاحب المفتاح ، وصار له حرمة زائدة وكلمة فى باب الباشا وشهرة ، فلما حصلت النصرة للعسكر واستولوا على المدينة ، وأتوا بمفاتيح زعموا أنها مفاتيح المدينة كان هو المتعين بها للسفر للديار الرومية بالبشارة للدولة ، وأرسلوا صحبته مضيان الذى كان متأمراً بالمدينة ، ولما وصل إلى دار السلطنة، ووصلت أخباره احتفل أهل الدولة بشأنه احتفالا زائدا ، ونزلوا لملاقاته فى المركب فى مسافة بعيدة ، ودخلوا إلى إسلامبول فى موكب جليل وأبهة عظيمة إلى الغاية ، وسعت أعيان الدولة وعظماؤها بين يديه مشاة وركبانا ، وكان يوم دخوله يوما مشهودا ، وقتلوا مضيان المذكور فى ذلك اليوم ، وعلقوه على باب السراية ، وعملوا شنانك ومدافع وأفراحا وولائم ، وأنعم السلطان على لطيف المذكور وأعطاه أطواخا، وأرسل إليه أعيان الدولة الهدايا والتحف ، ورجع إلى مصر فى أبهة زائدة، وداخله الغرور وتعاظم فى نفسه ، ولم يحتفل الباشا بأمره ، وكذلك أهل دولته

---

(١) ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ٢٥ نوفمبر - ٢٣ ديسمبر ١٨١٣ م .

(٢) ١٩ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٣ ديسمبر ١٨١٣ م .

(٣) انختار اغاسى : الشخص الذى يشرف على جميع العاملين فى الخاص أودة من أصحاب الوظائف ، ويرسلهم إذا مرضوا للمستشفى ، ويصرح لهم بالذهاب إلى بيوتهم ، ويوقظ الأغوات فى السحر للصلاة ، ويصلح بينهم إذا اختصموا ، وكانت له اختصاصات واسعة .
سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

لكونه من جنس المماليك ، وأيضًا قد تأسست عداوتهم فى نفوسهم وكراهتهم له أشد من كراهتهم لأبنائنا ، وخصوصا كتخدا بيك ، فإنه أشد الناس عداوة وبغضا فى جنس المماليك ، وطفق يلقى لمخدومه ما يغير خاطره عليه ، ومنها أنه يضم إليه أجناسه من المماليك البطالين ليكونوا عزوته ويغترون به ، بحيث إنَّ الباشا فوض إليه الأمر إن ظهر منه شىء فى غيابه ، وسافر الباشا فى أثر ذلك واستمر لطيف باشا مع الجماعة فى صلف وهم يحدقون عليه ، ويرصدون حركاته ، ويتوقعون ما يوجب الإيقاع به ، وهو فى غفلة وتيه لايظن بهم سوءًا ، فطلب من الكتخدا الزيادة فى رواتبه وعلائفه لسعة دائرته وكثرة حواشيه ومصاريفه ، فقال له الكتخدا : « أما أنا لست صاحب الأمر ، وقد كان هنا ولم يزدك شيئًا ، فراسله وكاتبه ، فإن أمر بشىء فأنا لا أخالف مأمورياته » ، وتزايد هو والحاضرون فى الكلام والمفاقمة ، ففارقهم على غير حالة ، ونزل إلى داره ، وأرسل فى العشية إلى مماليك الباشا ليحضروا إليه فى الصباح ، ليعمل معهم ميدان رماحة على العادة ، وأسر إليهم أن يصحبوا ما خف من متاعهم وأسلحتهم ، فلما أصبحوا استعدوا كما أشار إليهم ، وشدوا خيولهم ، ووصل خبرهم إلى الكتخدا ، فطلب كبيرهم ، وسأله فأخبره أن لطيف باشا طلبهم ، ليعمل معهم رماحة ، فقال : « إن هذا اليوم ليس هو موعد الرماحة »، ومنعهم من الركوب ، وفى الحال أحضر حسن باشا ، وطاهر باشا ، وأحمد أغا ، المسمى بونابارته الخازندار ، وصالح بيك السلحدار ، وإبراهيم أغا أغات الباب ، ومحو بيك وخلافهم ، ودبوس أوغلى وإسماعيل باشا ابن الباشا ، ومحمود بيك الدويدار ، وتوافق الجميع على الإيقاع به ، وأصبحوا يوم السبت [1] مجتمعين ، وقد بلغه الخبر وأخذوا عليه الطرق ، وأرسلوا يطلبونه للحضور فى مجلسهم فامتنع ، وقال : « ما المراد من حضورى » ، فنزل إليه دبوس أوغلى وخدعه ، فلم يقبل فركب وعاد إليه ثانيا يأمره بالخروج من مصر إن لم يحضر مجلسهم ، فقال : « أما الحضور فلا يكون ، وأما الخروج فلا أخالف فيه ، بشرط أن يكون بكفالة حسن باشا ، أو طاهر باشا ، فإنى لا آمن أن يتبعونى ويقتلونى خصوصا وقد أوقفوا بجميع الطرق » ، ففارقه دبوس أوغلى ، فتحير فى أمره ، وأمر بشد الخيول وأراد الركوب، فلم يتسع له ذلك، ولم يزل فى نقض وإبرام إلى الليل ، فشركوا الجهات وأبواب المدينة أيضًا بالعساكر وكثر جمعهم بالقلعة وأبوابها ، وفى تاسع ساعة من الليل ، نزل حسن باشا ومحو بيك فى نحو الألفين من العسكر واحتاطوا بداره بسويقة العزى ، وقد أغلق داره ، فصاروا يضربون عليه بالبنادق

---

(١) ١٨ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٢ ديسمبر ١٨١٣ م .

والقرابين إلى آخر الليل ، فلما أعياهم ذلك هجموا على دور الناس التى حوله وتسلقوا عليه من الأسطحة ، ونزلوا إلى سطح داره ، وقتلوا من صادفوه من عسكره وأتباعه ، واختفى هو فى مخبأ أسفل الدار مع ستة أشخاص من الجوارى ومملوك واحد ، وعلم بمكانهم أغات الحريم ، فداروا بالدار يفتشون عليه ، فلم يجدوه فنهبوا جميع ما فى الدار ، ولم يتركوا بها شيئًا وسبوا الحريم والجوارى والمماليك والعبيد ، وكذلك ما حوله وما جاوره من دور الناس ، ودور حواشيه وهم نيف وعشرون دارا ، حتى حوانيت الباعة وغيرهم التى بالخطة ودار عليّ كتخدا صالح الفلاح ، هذا ما جرى بتلك الناحية ، وباقى نواحى المدينة لايدرون بشىء من ذلك ، إلا أنَّهم لما طلع نهار يوم الأحد (١) ، وخرج الناس إلى الأسواق والشوارع وجدوا العساكر مائجة وأبواب البلد مغلوقة ، وحولها العساكر مجتمعة ، ومنهم من يعدو ومعه شىء من المنهوبات ، فامتنع الناس من فتح الحوانيت والقهاوى التى من عادتهم التبكير بفتحها ، وظنوا ظنا ، واستمر لطيف باشا بالمخبأة إلى الليل واشتد به الخوف ، وتيقن أن العبد الطواشى سينم عليه ويعرفهم بمكانه، فلما أظلم الليل ، وفرغوا من النهب والتفتيش ، وخلا المكان خرج من المخبأة بمفرده ونط من الأسطحة حتى خلص إلى دار خازنداره ، وصحبته كبير عسكره ، وآخر يسمى كاشف دياب من بقايا الأجناد المصرية ، وباتوا بقية تلك الليلة ، ويوم الإثنين (٢) ، والكتخدا وأهل دولته يدأبون فى الفحص والتفتيش عليه ، ويتهمون كثيرا من الناس بمعرفة مكانه ، ومحمود بيك داره بالقرب من داره أوقف أشخاصا من عسكره على الأسطحة ليلا ونهارا لرصده ، وكان المذكور له اعتقاد فى شخص يسمى حسن أفندى اللبلبى ، ولبلب لفظ تركى علم على : الحمص المجوهر ، أى المقلى ، ومن شأن حسن أفندى هذا أنَّه رجل درويش، يدخل إلى بيوت الأعيان والأكابر من الناس الأتراك وغيرهم ، وفى جيوبه من ذلك الحمص ، فيفرق على أهل المجلس منه ، ويلاطفهم ويضاحكهم ويمزح معهم ، ويعرف باللغة التركية ، ويجانس الفريقين فمن أعطاه شيئًا أخذه ، ومن لم يعطه لم يطلب منه شيئًا ، وبعضهم يقول له : « انظر ضميرى أو فالى » ، فيعد على سبحته أزواجا وأفرادا ، ثم يقول : « ضميرك كذا وكذا » ، فيضحكون منه ، فوشى بحسن أفندى هذا إلى كتخدا بيك وباقى الجماعة ، بأنه كان يقول : « لطيف باشا إنَّه سيلى سيادة مصر وأحكامها » ، ويقول له : « هذا وقت انتهاز الفرصة فى غيبة الباشا ، ونحو ذلك » ، وجسموا الدعوى وأنه كان يعتقد صحة كلامه ، ويزوره فى داره ، ورتب له ترتيبا ، وأشاعوا أنَّه أراد أنْ يضم إليه أجناس

---

(١) ١٩ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٣ ديسمبر ١٨١٣ م . (٢) ٢٠ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٤ ديسمبر ١٨١٣ م .

المماليك والخاملين من العساكر وغيرهم ، ويعطيهم نفقات ، ويريد إثارة فتنة ، ويغتال الكتخدا بيك وحسن باشا وأمثالهما على حين غفلة ، ويتملك القلعة والبلد ، وأن اللبلبي يغريه على ذلك ، وكل وقت يقول له : « جاء وقتك » ، ونحو ذلك من الكلام الذى المولى جل جلاله أعلم بصحته ، فأرسل كتخدا بيك إلى اللبلبي فحضر بين يديه فى يوم الإثنين [1] ، فسأله عنه ، فقال : « لا أدرى » ، فقال : « انظر فى حسابك هل تجده أم لا ؟ فمسك سبحته وعدها كعادته » ، وقال : « إنكم تجدونه وتقتلونه » ، ثم إنَّ الكتخدا أشار إلى أعوانه ، فأخذوه ونزلوا به وأركبوه على حماره ، وذهبوا به إلى بولاق ، فأنزلوه فى مركب وانحدروا به إلى شلقان ، وشلحوه من ثيابه وأغرقوه فى البحر .

وفى ذلك اليوم [2] ، عرفهم أغات حريم لطيف باشا بعد أنْ هددوه وقرروه عن محل أستاذه ، وأخبرهم أنَّه فى المخبأة ، وأراهم المكان ففتحوه فوجدوا به الجوارى الستة والمملوك ، ولم يجدوه معهم فسألوهم عنه ، فقالوا : « إنه كان معنا وخرج فى ليلة أمس ، ولم نعلم أين ذهب ، فأخرجوهم وأخذوا ما وجدوه فى المخبأة من متاع وسروج ومصاغ ونقود وغير ذلك ، فلما كان بعد الغروب من ليلة الثلاثاء [3] ، اشتد بلطيف باشا الخوف والقلق ، فأراد أن ينتقل من بيت الخازندار إلى مكان آخر ، فطلع إلى السطح ، وصعد على حائط يريد النزول منها هو ورفيقه البيوكباشى ليخلص إلى حوش مجاور لتلك الدار ، فنظرهما شخص من العسكر المرصد بأعلى سطح دار محمود بيك الدويدار ، فصاح على القريبين منه لينتبهوا له ، فعندما صاح ضربه لطيف باشا رصاصة فأصابته ، وتنبهت المرصدون بالنواحى عند سماع الصيحة ، وبندقة الرصاصة ، وتسارعوا إليه من كل ناحية ، وقبضوا عليه وعلى رفيقه وأتوا بهما إلى محمود بيك فبات عنده ، ورمحت المبشرون إلى بيوت الأعيان يبشرونهم بالقبض عليه ، ويأخذون على ذلك البقاشيش ، فلما طلع نهار يوم الثلاثاء [4] ، طلع به محمود بيك إلى القلعة ، وقد اجتمع أكابرهم بديوان الكتخدا ، واتفقوا على قتله ، ووافقهم على ذلك إسماعيل ابن الباشا بما نمقوه عليه ، لأنه فى الأصل مملوك صهره عارف بيك ، فعندما وصل إلى الدرج قبض عليه الأعوان وهو بجانب محمود بيك فقبض بيده على علاقة سيفه ، وهو يقول له بالتركى « عرظندايم » يعنى أنا فى عرضك ، وماتت يده على قيطان السيف ، فأخرج بعضهم سكينا وقطع القيطان

---

(١) ٢٠ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٤ ديسمبر ١٨١٣م . (٢) ٢٠ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٤ ديسمبر ١٨١٣ م .
(٣) ٢١ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٥ ديسمبر ١٨١٣ م . (٤) ٢١ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٥ ديسمبر ١٨١٣ م .

وجذبوه إلى أسفل سلم الركوبة ، وأخذوا عمامته ، وضربه المشاعلى بالسيف ضربات ، ووقع إلى الأرض ، ولم ينقطع عنقه فكملوا ذبحه مثل الشاة ، وقطعوا رأسه ، وفعلوا برفيقه كذلك ، وعلقوا رؤسهما تجاه باب زويلة طول النهار .

وفى ثانى يوم وهو يوم الأربعاء ثانى عشرينه [1] ، أحضروا أيضًا يوسف كاشف دياب وقتلوه أيضًا عند باب زويلة ، وانقضى أمرهم والله أعلم بحقيقة الحال ، وفتح أهل الأسواق حوانيتهم بعدما تخيل الناس بأنها ستكون فتنة عظيمة ، وأنَّ العسكر ينهبون المدينة ، وخصوصا الكائنون بالعرضى خارج باب النصر ، فإنهم جياع وبردانون وغالبهم مفلس ، لأنَّ معظمهم من الجدد الواردين الذين لم يحصل لهم كسب من نهب أو حادث واقع أدركوه ، ولولا أنَّهم أوقفوا عساكرهم عند الأبواب منعتهم من العبور ، لحصل منهم غاية الضرر .

وانقضت السنة وحوادثها التى ربما استمرت إلى ما شاء الله بدوامها وانقضائها

فمنها : أنَّ الباشا لما فرغ من أمر الجهة القبلية بعدما ولى ابنه إبراهيم باشا عليها ، وحرر أراضى الصعيد ، وقاس جملة أراضيه وفدنه وضبطه بأجمعه ، ولم يترك منه إلا ما قل ، وضبط لديوانه جميع الأراضى الميرية والإقطاعات التى كانت للملتزمين من الأمراء ، والهوّارة ، وذوى البيوت القديمة ، والرزق الأحباسية والسراوى والمتأخرات والمرصد على الأهالى والخيرات ، وعلى البر والصدقة وغير ذلك مثل : مصارف الولاية التى رتبها أهالى الخير المتقدمون لأربابها ، رغبة منهم فى الخير ، وتوسعة على الفقراء المحتاجين ، وذوى البيوت ، والدواوير المفتوحة المعدة لإطعام الطعام للضيفان ، والواردين والقاصدين وأبناء السبيل والمسافرين ، فمن ذلك أن بناحية سهاج دار الشيخ عارف ، وهو رجل مشهور كأسلافه ومعتقد بتلك الناحية وغيرها ، ومنزله محط لرحال الوافدين والقاصدين من الأكابر والأصاغر والفقراء والمحتاجين ، فيقرى الكل بما يليق بهم ، ويرتب لهم التراتيب والإحتياجات ، وعند انصرافهم بعد قضاء أشغالهم يزودهم ويهاديهم بالغلال والسمن والعسل والتمر والأغنام وهذا دأبه ، ودأب أسلافه من قبله على الدوام والاستمرار ، ورزقته المرصدة التى يزرعها وينفق منها ستمائة فدان فضبطوها ، ولم يسمحوا له منها إلا بمائة فدان بعد التوسط والترجى والتشفع ، وأمثال ذلك بجرجا وأسيوط ومنفلوط وفرشوط وغيرهم ، وإذا قال المتشفع والمترجى للمتأمر ينبغى مراعاة مثل هذا ومسامحته ، لأنه يطعم الطعام ، وتنزل بداره الضيفان ، فيقول : « ومن كلفه

(1) ٢٢ ذى الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٦ ديسمبر ١٨١٣ م .

بذلك ؟ » ، فيقال له : « وكيف يفعل إذا نزلت به الضيوف على حسب ما اعتادوه ؟ » ، فيقول : « يشترون ما يأكلون بدراهمهم من أكياسهم ، أو يغلقون أبوابهم ، ويستقلون بأنفسهم وعيالهم ، ويقتصدون فى معايشهم فيعتادون ذلك ، وهذا الذى يفعلونه تبذير وإسراف ونحو ذلك على حسب حالهم وشأنهم فى بلادهم » ، ويقول : « الديوان أحق بهذا فإن عليه مصاريف ونفقات ومهمات ، ومحاربات الأعداء وخصوصا افتتاح بلاد الحجاز » ، ولما حضر إبراهيم باشا إلى مصر وكان أبوه على أهبة السفر إلى الحجاز ، حضر الكثير من أهالى الصعيد يشكون ما نزل بهم ويستغيثون ويتشفعون بوجهاء المشايخ وغيرهم ، فإذا خوطب الباشا فى شىء من ذلك يعتذر بأنه مشغول البال واهتمامه بالسفر ، وأنه أناط أمر الجهة القبلية وأحكامها وتعلقاتها ، لابنه إبراهيم باشا ، وأن الدولة قلدته ولاية الصعيد ، فأنا لا علاقة لى بذلك ، وإذا خوطب ابنه أجابهم بعد المحاججة بما تقدم ذكره ونحو ذلك ، وإذا قيل له : « هذا على مسجد » ، فيقول : « كشفت على المساجد فوجدتها خرابا ، والنظار عليها يأكلون الإيراد والخزينة أولى منهم ، ويكفيهم أنى أسامحهم فيما أكلوه فى السنين الماضية ، والذى وجدته عامرا أطلقت له ما يكفيه وزيادة ، وإنى وجدت لبعض المساجد أطيانا واسعة ، وهى خراب ومعطلة ، والمسجد يكفيه مؤذن واحد وأجرته نصفان ، وإمام مثل ذلك ، وأما فرشه وإسراجه فإنى أرتب له راتبا من الديوان فى كل سنة » ، فإذا تكرر عليه الرجاء أحال الأمر على أبيه ، ولايمكن العود إليه لحركاته وتنقلاته وكثرة أشغاله وزوغانه ، ولما زاد الحال بكثرة المتشكين والواردين ، وبرز الباشا للسفر بل وسافر بالفعل ، فلم يمكث بعده ابنه إلا أياما قليلة يبيت بالجيزة ليلة ، وعند أخيه ببولاق ليلة أخرى ، ثم سافر راجعا إلى الصعيد يتمم ما بقي عليه لأهله من العذاب الشديد ، فإنه فعل بهم فعل التتار عندما جالوا بالأقطار ، وأذل أعزة أهله وأساء أسوأ السوء معهم فى فعله ، فيسلب نعمهم وأموالهم ، ويأخذ أبقارهم وأغنامهم ، ويحاسبهم على ما كان فى تصرفهم واستهلكوه ، أو يحتج عليهم بذنب لم يقترفوه ، ثم يفرض عليهم المغارم الهائلة ، والمقادير من الأموال التى ليست أيديهم إليها طائلة ، ويلزمهم بتحصيلها وغلاقها وتعجيلها ، فتعجز أيديهم عن الإتمام ، فعند ذلك يجرى عليهم أنواع الآلام من الضرب والتعليق والكى بالنار والتحريق ، فإنه بلغنى والعهدة على الناقل ، أنه ربط الرجل ممدودا على خشبة طويلة ، ومسك بطرفيها الرجال ، وجعلوا يقلبوه على النار المضرمة مثل الكباب ، وليس ذلك ببعيد على شاب جاهل سنه دون العشرين عاما ، وحضر من بلده ولم ير غير ما هو فيه ، لم يؤدبه مؤدب ، ولايعرف شريعة

ولامأمورات ولامنهيات ، وسمعت أن قائلا قال له : « وحق من أعطاك » ، قال : « ومن هو الذى أعطانى ؟ » ، قال له : « ربك » ، قال له : « إنه لم يعطنى شيئًا والذى أعطانى أبى ، فلو كان الذى قلت ، فإنه كان يعطينى وأنا ببلدى ، وقد جئت وعلى رأسى قبع مزفت مثل المقلاة » ، فلهذا لم تبلغه دعوى ، ولم يتخلق إلا بالأخلاق التى دربه عليها والده ، وهى تحصيل المال بأى وجه كان ، فأنزل بأهل الصعيد الذل والهوان ، فلقد كان به من المقادم والهوارة كل شهم يستحى الرئيس من مكالمته والنظر إليه بالملابس الفاخرة ، والأكراك السمور ، والخيول المسوّمة والأنعام والأتباع والجند والعبيد والأكمام الواسعة ، والمضايف والإنعامات والإغداقات والتصدقات ، وخصوصا أكابرهم المشهورون ، وهمام ، وما أدراك ما همام ، وقد تقدم فى ترجمته ما يغنى عن الإعادة ، فخربت دور الجميع ، وتشتتوا وماتوا غرباء ، ومن عسر عليه مفارقة وطنه جرى عليه ما جرى على غيره ، وصار فى عداد المزارعين ، وقد رأيت بعض بنى همام ، وقد حضروا إلى مصر ليعرضوا حالهم على الباشا ، لعله يرفق بهم ويسامحهم فى بعض ما ضبطه ابنه من تعلقاتهم يتعيشون به ، وهم أولاد: عبد الكريم، وشاهين، ولدى همام الكبير ، ومعهم حريمهم وجوارهم ، وزوجة عبد الكريم ، ويقولون لها : « الست الكبيرة » ، وهى أم أولاده ، فلما وصلوا إلى ساحل مصر القديمة ، ورأى أرباب ديوان المكس الجوارى وعدتهم ثلاثة حجزوهم وطالبوهم بكمركهن ، فقالوا : « هؤلاء جوارنا للخدمة ، وليسوا مجلوبين للبيع » ، فلم يعبأوا بذلك وقبضوا منهم ما قبضوه ، ثم إنهم لم يتمكنوا من الباشا ، وكان إذ ذاك قد توجه إلى الفيوم ، وعاد إلى العرضى مسافرا إلى الحجاز ، فاستمروا بمصر حتى نفدت نفقاتهم ، ورأيتهم مرة مارين بالشارع وهم مخلقنون وفيهم صغير مراهق ، واتفق أنهم تفاقموا مع ابن عمهم ، وهو عمر وشكوه إلى مصطفى بيك دالى باشا ، بأنه حاف عليهم فى أشياء من استحقاقهم دعوى مفلس على مفلس ، فأحضره وحبسه مدة وما أدرى ما حصل لهم بعد ذلك ، وهكذا :

.... تَخْفِضُ العَالى وتُعْلى مَن سَفَلْ

اللهم إنَّا نعوذ بك من زوال النعم ، ونزول النقم .

وأما من مات فى هذه السنة(١)

فمات ، الأستاذ الشهير، والجهبذ النحرير ، الرئيس المفضل ، والفريد المبجل ، نادرة عصره ، ووحيد دهره ، الشيخ شمس الدين محمد أبو الأنوار بن عبد الرحمن

(١) كتب امام هذا العنوان بهامش ص ١٨٥ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة » .

المعروف بابن عارفين ، سبط بنى الوفاء ، وخليفة السادات الحنفاء ، وشيخ سجادتها ، ومحط رحال سيادتها ، وشهرته غنية عن مزيد الإفصاح ، ومناقبه أظهر من البيان والإيضاح ، وأمه السيدة صفية بنت الأستاذ جمال الدين يوسف أبى الإرشاد بن وفا ، تزوّج بها الخواجا عبد الرحمن المعروف بعارفين ، فأولدها المترجم وأخاه الشيخ يوسف ، وكان أسن منه ، فتربى مع أخيه فى حجر السيادة والصيانة والحشمة ، وقرأ القرآن وتولع بطلب العلم ، وحضر دروس أشياخ الوقت ، وتلقى طريقة أسلافه وأورادهم وأحزابهم عن خاله الأستاذ شمس الدين محمد أبو الإشراق بن وفا ، عن عمه الشيخ عبد الخالق ، عن أبيه الشيخ يوسف أبى الإرشاد ، عن والده أبى التخصيص عبد الوهاب إلى آخر السند المنتهى إلى الأستاذ أبى الحسن الشاذلى ، ولازم العلاّمة القدوة الشيخ موسى البجيرمى ، فحضر عليه كما ذكره فى برنامج شيوخه : أم البراهين ، وشرح المصنف عليها ، والآجرومية ، وشرحها للشيخ خالد ، وشرح الستين مسألة للجلال المحلى ، وهو أوّل أشياخه ، ثم لازم الشيخ خليل المغربى ، فحضر عليه شرح إيساغوجى ، لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، وشرح العصام على السمرقندية ، والفاكهى على القطر ، ومتن التوضيح ، والأشمونى على الخلاصة ، ورسالة الوضع والمغنى ، وحضر دروس شيخ الشيوخ الشيخ أحمد السجيعى الملوى ، فى صحيح البخارى ، والشيخ عبد السلام ، على الجوهرة ، وأجازه بمروياته ومؤلفاته الإجازة العامة ، وكذلك أجازه الشيخ أحمد الجوهرى الشافعى إجازة عامة ، وإجازة خاصة بطريقة مولاى عبد الله الشريف ، ولازم وقرأ وشارك ولده الشيخ محمد الجوهرى الصغير ، وحضر أيضًا دروس الأستاذ الحفنى فى: شرح التلخيص ، للسعد التفتازانى ، وشرح التحرير ، لشيخ الإسلام ، وشرح الألفية لابن عقيل ، والأشمونى ، وحضر دروس الشيخ عمر الطحلاوى المالكى فى : شرح الآجرومية ، للشيخ خالد ، وشيئًا من شرح الهمزية ، للحافظ ابن حجر ، وشيئًا من تفسير الجلالين ، والبيضاوى ، وحضر الشيخ مصطفى السندوبى الشافعى ، فى شرح ابن قاسم الغزى ، على أبى شجاع ، وعلى السيد البليدى ، فى شرح التهذيب ، للخبيصى ، وعلى الشيخ عطية الأجهورى الشافعى ، فى شرح الخطيب على أبى شجاع ، وشرح التحرير لشيخ الإسلام ، وتفسير الجلالين ، وعلى الشيخ محمد النارى ، شرح السلم ، لمصنفه ، وشرح التحرير ، وعلى الشيخ أحمد القوصى ، شرح الورقات الكبير لابن قاسم العبادى ، وسمع المسلسل بالأولية من عالم أهل المغرب فى وقته ، الشيخ محمد بن سودة التاودى الفاسى المالكى عند وروده مصر ، فى سنة اثنين وثمانين ومائة

وألف [1] ، بقصد الحج ، وكتب له إجازة بخطه مع سنده ، وأجازه أيضًا بدلائل الخيرات ، وأحزاب الشاذلي ، وكذلك تلقى الإجازة من الأستاذ المسلك عبد الوهاب بن عبد السلام العفيفي المرزوقي ، وتلقى أيضًا من إمام الحرم المكي الشيخ إبراهيم إبن الرئيس محمد الزمزمي ، الإجازة بالمسبعات واستجازه هو أيضًا بما لأسلافه من الأحزاب ، وكناه بأبي الفوز ، وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة وألف [2] بمكة سنة حجة المترجم.

وصل ، ولما مات، السيد محمد أبو هادى ، وانقرضت بموته سلسلة أولاد الظهور ، وذلك في سنة ست وسبعين ومائة وألف[3] ، تاقت نفس المترجم لخلافة بيتهم ، وتهيأ لذلك ولبس التاج أيضًا ، والعصابة التي يجعلونها عليه ، فلم يتم له ذلك وعورض بسيدى أحمد بن إسماعيل بيك المعروف بالدالى المكنى بأبى الأمداد ، لأنه في طبقته في النسب ، وأمه السيدة أم المفاخر ابنة الشيخ عبد الخالق باتفاق أرباب الحل والعقد ، لكونه من بيت الإمارة ، وقد صار منزلهم كمنازل الأمراء في الاتساع والتأنق والمجالس المزخرفة والقيعان والقصور ، وفي ضمنه البستان بالنخيل والأشجار وما يجتنى منها من الفواكه والثمار ، لأن معظم الوجاهة والسيادة في هذه الأزمان بالمساكن الأنيقة والملابس الفاخرة وكثرة الإيراد والخدم والحشم ، خصوصا إن اقترن بذلك شيء من المزايا المتعدية من بذل الإحسان ، وإكرام الضيفان ، فعند ذلك يصير ربه قطب الزمان ، وفريد العصر والأوان ، فلو فرضنا أنَّ شخصا اجتمعت فيه أوصاف الكمالات المعنوية والمعارف اللدنية ، وخلا عما ذكر ، وكان صعلوكا قليل المال ، كثير العيال ، فلا يعد في الرجال ، ولايلتفت إليه بحال ، حِكم إلهية ، وأحكام ربانية ، فلما تقلدها سيدى أحمد المذكور دون المترجم ، بقى متطلعا يسلى نفسه بالأماني ، ثم قصد الحج في سنة تسع وسبعين[4] ،كما ذكر ، فلما عاد من الحج تزوّج بوالدة الشيخ محمد أبي هادى وأسكنها بمنزل ملاصق لدار الخليفة توصلا وتقربا لمأموله ، ولم تطل مدة الشيخ أبي الإمداد ، وتوفى سنة أثنتين وثمانين [5] ، كما ذكرناه في ترجمته ، وعند ذلك لم يبق للمترجم معارض ، وقد مهد أحواله ، وتثبت أمره مع من يخشى صولته ومعارضته من الأشياخ وغيرهم ، ودفن السيد أحمد ، وركب المترجم في صبحها مع أشياخ الوقت ، والشيخ أحمد البكرى وجماعة الحزب ، ونقبائهم إلى الرباط بالخرنفش ، ودخل إلى خلوة جدهم فجلس

(١) ١١٨٢ هـ/ ١٨ مايو ١٧٦٨ - ٦ مايو ١٧٦٩ م . (٢) ١١٧٩ هـ/ ٣٠ يونيه ١٧٦٥ - ١٨ يونيه ١٧٦٦ م .
(٣) ١١٧٦ هـ/ ٢٣ يوليه ١٧٦٢ - ١١ يوليه ١٧٦٣ م (٤) ١١٧٩ هـ/ ٣٠ يونيه ١٧٦٥ - ١٨ يونيه ١٧٦٦ م .
(٥) ١١٨٢ هـ/ ١٨ مايو ١٧٦٨ - ٦ مايو ١٧٦٩ م .

بها ساعة ، وقرأ أرباب الحزب وظيفتهم ، ثم ركب مع المشايخ إلى أمير البلدة ، وكان إذ ذاك على بيك فخلع عليه ، وركبوا إلى دارهم ومحل سيادتهم المعهودة ، وأصبح متقلدا خلافة أسلافهم ومشيخة سجادتهم ، فكان لها أهلا ومحلا ، وتقدم على أخيه الشيخ يوسف مع كونه أسن منه لما فيه من زيادة الفضيلة ، ولما ثبطه به من مخادعته ، وسلامة صدر أخيه ، وحسن ظنه فيه ، وانتظم أمره ، وأحسن سلوكه بشهامة وحشمة ، ورآسة وتؤدة ، وأدب مع الأشياخ والأقران ، وتحبب إلى أرباب المظاهر والأكابر ، واستجلاب الخواطر ، وسلوك الطرائق الحميدة ، والتباعد عن الأمور المخلة بالمروءة ، والأخذ بالحزم والرفق ، مع الاشتغال فى بعض الأحيان بالمطالعة والمذاكرة فى المسائل الدينية والأدبية ، ومعاشرة الفضلاء ومجالستهم والمناقشة معهم فى النكات ، واقتناء الكتب من كل فن ، كل ذلك مع الجد والتحصيل للأسباب الدنيوية ، وما يتوصل به إلى كثرة الإيراد ، بحسن تداخل وجميل طريقة مبعدة عما يخل بالمقدار ، بحيث يقضى مرامه من العظيم ، وجميل الفضل له ، ويراسل ويكاتب ويشاحح على أدنى شىء ، ويحاسب ولايدفع لأرباب الأقلام عوائدهم المقررة فى الدفاتر ، بل يرون أن أخذها منه من الكبائر ، وكذلك دواوين المكوس المبنى على الإجحاف ، فكل ما نسب له فيها فهو معاف ، وكلما طال الأمل زاد المدد وخصوصا إذا تقلبت الدول ، وارتفعت السفل ، كان الأسبق القديم فى أعينهم هو الجليل العظيم ، وهم لديه صغار لاينظر إليهم إلا بعين الاحتقار ، ولما انقرضت بقايا الشيوخ الذين كان يهابهم ويخضع لهم ويتأدب معهم ، وكانوا على طرائق الأقدمين فى العفة والانجماع عما يخل بتعظيم العلم وأهله ، والتباعد عن بنى الدنيا إلا بقدر الضرورة ، وخلف من بعدهم من هم على خلاف ذلك ، وهم أعاظم مدرسى الوقت ، فأحدقوا به ، وأكثروا من الترداد عليه وعلى موائده ، وبالغوا فى تعظيمه وتقبيل يده ، ومدحوه بالقصائد البليغة طمعا فى صلاته وجوائزه القليلة ، وحصول الشهرة لهم وزوال الخمول والتعارف بمن يتردد إلى داره من الأمراء والأكابر ، وزاد هو أيضًا وجها ووجاهة بمجالستهم ، ولايريهم فضلا بسعيهم إليه ، ويزداد كبرا وتيها وبلغ به أنه لايقوم لأكثرهم إذا دخل عليه ، ومنهم من يدخل بغاية الأدب ، فيضم ثيابه ، ويقول عند مشاهدته : « يا مولاى يا واحد » ، فيجيبه هو بقوله : « يا مولاى يا دائم يا على يا حكيم » ، فإذا حصل بالقرب منه بنحو ذراعين حبى على ركبتيه ومد يمينه لتقبيل يده ، أو طرف ثوبه ، وأما الأدون فلا يقبل إلا طرف ثوبه ، وكذلك أتباعه وخدمه الخواص ، وإذا كان من أهل الذمة أو كبار المباشرين ، وقبلوا يده وخاطبهم فى أشغاله ، وهم قيام ، وانصرفوا طلب الطشت والإبريق ، وغسل

يده بالصابون ، لإزالة أثـر أفواههم ، ولايجيب فى رد التحية إلا بـقول خير خير ، ولايقطع غـالب أوقاته مع مجالـسيه ، وخاصته ومـسامريه إلا بإنتقـاد أهل مصره ، وغيبة غالب أهل عصره، وتنبسط نفسه لذلك وإليه يصغى ، كلا إن الإنـسان ليطغى، وفى سنة تسعين ومائة وألف [1] ، ورد إلى مصر عبد الرزاق أفـندى رئيس الكتاب ، ومن أكابر أهل الدولة ، فتداخل معه واصـطحب به ، وأهدى إليه هدايا ، واستدعاه وأضافه ، وحضـر فى ذلك العام محـمد باشا المعروف بـالعزتى واليا عـلى مصر ، فأنهى إليـه بمعونة الرئيس المذكور احتـياج زاوية أسلافه للعمارة ، ودعا الـباشا لزيارة قبورهم فى يوم المولـد المعتاد السنوى ، وذكر له المقصود ، وأظـهر له بعض الخلل ، وزين له ذلك الفـعل وأنه من تمام الشعائر الإسـلامية ، والمشاهد التى يـجب الاعتناء بشأنها ، والسعى والطواف بحرمها ، وكـان المعين والسفير والمساعد فى ذلك أيضًا ؛ شيخنا مـحدث العصر السيد مـحمد مرتضى ، وهو عنـد العثمانيين مقـبول القول ، وكان عبـد الرزاق الرئيس يـتلقى عنـه المسلسلات والإجـازات ، وقرأ عليه مـقامات الحريـرى فأجاب البـاشا ووعد بإتمـام ذلك ، وكاتـب الدولة ، وورد الأمر بـإطلاق خمـسين كيسا لمصرف العمارة من خزينـة مصر ، فشرع فى هدم حوائطها ووسعها عن وضعها الأصلى ، واندرس فى جدرانها قبور ومـدافن ، وحوطها وزخرفها بالنقوش وأنواع الرخام الملوّن والمموّه بالذهب ، والأعـمدة الرخام ، ثم كاتب الدولة ، وأنهى أنَّ ذلك القـدر لم يكف ، وأنَّ العمـارة لم تكمل والإحـسان بالإتمام ، فأطلـقوا له خمسين كيـسا أخرى ، وأتمها على هذا الـوضع الذى هى عليه الآن ، وأنشـأ حولها مساكن ومخادع ، ووسـع القصر الملاصق لها المختص به لجـلوسه ، ومواضع الحريم أيام الموالد ، ثم أرسل فى أثر ذلك كتخداه ووزيـره الشيخ إبراهيم السندوبى إلى دار السلطنة بمكاتبات ، وأعرض لرجال الدولة والـتمس رفع ما على قرية زفتا وغيرها مما فى حوزه مـن الالتزام من المال المـيرى الذى يدفع إلـى الديوان فى كل سـنة ، وكان إبراهـيم المذكـور غاية فـى الدهاء والحـيل الساسـانية ، والـتصنعات الشـيطانـية ، والتخلـيطات الوهميـة ، وتقلبات الملامـتية ، فتمم مـرامه بما ابتدعه مـن المخرقة ، والإيهامات الملـفقة ، ولم يدفع ما جرت بـه العادة من العوائد ، بل اجـتلب خلاف ذلك فوائد ، ولمـا حضر حسن باشا الجـزايرلى إلى مصر علـى رأس القرن ، وخرج الأمراء المصريون إلى الجهة القبلية، واستباح أموالهم، وقبض على نسائهم وأولادهم، وأمر بإنزالهم سوق المزاد وبيعهم ، زاعما أنهم أرقاء لبيت المـال ، وفعل ذلك فاجتمع الأشياخ وذهبوا إليـه ، فكان المخاطب له المترجم ، قائلا لـه : « أنت أتيت إلى هذه البلـدة ، وأرسلك السـلطان إلى إقـامة العدل ، ورفـع الظلم كـما تقول ، أو لـبيع

(١) ١١٩٠ هـ / ٢١ فبراير ١٧٧٦ - ٨ فبراير ١٧٧٧ م .

الأحرار وأمهات الأولاد ، وهتك الحريم » ، فقال : « هؤلاء أرقاء لبيت المال » ، فقال له : « هذا لايجوز ، ولم يقل به أحد » ، فاغتاظ غيظا شديدا ، وطلب كاتب ديوانه ، وقال له : « أكتب أسماء هؤلاء ، وأخبر السلطان بمعارضتهم لأوامره » ، فقال له السيد محمود البنوفرى : « اكتب ما تريد بل نحن نكتب أسماءنا بخطنا » ، فأفحم وانكف عن إتمام قصده ، وأيضًا تتبع أموالهم وودائعهم ، وكان إبراهيم بيك الكبير قد أودع عند المترجم وديعة ، وكذلك مراد بيك أودع عند محمد أفندى البكرى وديعته ، وعلم ذلك حسن باشا ، فأرسل عسكرا إلى السيد البكرى ، فلم تسعه المخالفة ، وسلم ما عنده ، وأرسل كذلك يطلب من المترجم وديعة إبراهيم بيك ، فامتنع من دفعها ، قائلا : « إنَّ صاحبها لم يمت ، وقد كتبت على نفسى وثيقة ، فلا أسلم ذلك ما دام صاحبها فى قيد الحياة » ، فاشتد غيظ الباشا منه وقصد البطش به ، فحماه الله منه ببركة الأنتصار للحق ، فكان يقول : « لم أر فى جميع الممالك التى ولجتها من اجترأ على مخالفتى مثل هذا الرجل ، فإنه أحرق قلبى » ، ولما ارتحل من مصر ، ورجع المصريون إلى دولتهم ، حصل من مراد بيك فى حق السيد البكرى ما حصل ، وغرمه مبلغا عظيما باع فيه إقطاعه فى نظير تفريطه فى وديعته ، واحتج عليه بامتناع نظيره ، وحصل له قهر تمرض بسببه ، وتسلسل به المرض حتى مات ، ويقال إن مراد بيك أرسل إليه الحكيم ودس له السم فى العلاج ، ثم مات رحمه الله ، وكانت منه هفوة ، ولابد للجواد من كبوة ، ومن لم ينظر فى العواقب ، فليس له الدهر بصاحب ، حتى قيل إنه هو الذى عرف حسن باشا عن ذلك ، لينال به زيادة فى الحظوة عنده ، ويترك منها حصة لنفسه بقرينة ما ظهر عليه فى عقب ذلك من التوسع ، وقد غلب على ظنه بل وظن غالب الناس انقراض المصريين ، وغفلوا عن تقلبات الدهر فى كل حين .

وأما المترجم ، فإنه لما أخذ بالحزم سلم ، ورد الأمانة إلى صاحبها حين قدم ، وحسنت فيهم سيرته ، وزادت عندهم محبته ، وفى عقب ذلك نزل السيد محمد أفندى البكرى المذكور عن وظيفة نظر المشهد الحسينى للمترجم ، وأرسل إليه بصندوق دفاتر الوقف ، وكان نظر المشهد ببيتهم مدة طويلة ، ووعده المترجم بأن يبدله عنه وظيفته النظر على وقف الشافعى ، فلما حصل الفراغ ، واحتوى على الدفاتر ، نكث وطمع على الوظيفتين ، بل ومد يده إلى غيرهما ، لعدم من يعارضه ولايدافعه من الأمراء وغيرهم مثل نظر المشهد النفيسى والزينبى ، وباقى الأضرحة الكثيرة الإيراد التى تصاد بها الدنيا من كل ناد ، وتأتيها الخلائق بالقربانات وأنواع

النذورات ، وأخذ يحاسب المباشرين ، وخدَمة الأضرحة المذكورة على الإيرادات والنذورات ، ويحاققهم على الذرات ، ويسبهم ويهينهم ويضربهم بالجريد المحمص على أرجلهم ، وفعل ذلك بالسيد بدوى مباشر المشهد الحسينى ، وهو من وجهاء الناس الذين يخشى جانبهم ومشهور ومذكور فى المصر وغيره ، وكان معظم انقباض السيد البكرى ، ونزوله عن نظر المشهد ، ضيق صدره من المذكور ومناكدته له ، واستيلائه على المحل ، ومحصول الوقف ، والتقصير فى مصارفه اللازمة ، وينسب التقصير للناظر ، وكان رحمه الله عظيم الهمة يغلب عليه الحياء والمسامحة ، ويرى خلاف ذلك من سفاسف الأمور ، فتنصل من ذلك ، وترك فعله لغيره ، فلما أوقع المترجم بالسيد بدوى وباقى عظماء السدنة ما أوقع انقمع الباقون وذلوا ، وخافوه أشد الخوف ، ووشوا على بعضهم البعض ، وطفق يطالبهم بالنذور والشموع والأغنام والعجول ، وما يتحصل بصندوق الضريح من المال ، وكانوا يختصون بذلك كله ، وأقلهم فى رفاهية من العيش ، وجمع المال مع السفالة والشحاذة حتى من الفقير المعدم المفلس ، والكسرة الناشفة ، وكان إذا أراد الإيقاع بشخص أو إهانته وخشى عاقبة ذلك ، أو ما يلحقه ممن ينتصر له ، مهد له الطريق سرا قبل الإيقاع به ، فإنه لما أراد ضرب السيد بدوى طاف على الشيخ العروسى وأمثاله ، وأسرهم ما فى نفسه ، وامتدت يده أيضًا إلى شهود بيت القاضى ، فكان إذا بلغه أنّ أحدهم كتب حجة استبدال أو إجارة مكان مدة طويلة لناظر أو مستحق ، وكان ذلك المكان يؤول بعد انقراض مستحقيه لضريح من الأضرحة التى تحت نظره ، أحضر ذلك الكاتب ووبخه ولعنه ولربما ضربه ، وأبطل تلك المكاتبة ومحاها من سجل القاضى ، أو يصالحونه على تنفيذ ذلك مع أنّها لا تؤول إلى تلك الجهة إلا بعد سنين وأعوام متطاولة ، وقد نص علماء الشرع على أنّ الوقف والنذر للقبور والأضرحة باطل ، فإن قيل بصحته على الفقراء ، قلنا إنّ سدنة هذه الأضرحة ليسوا بفقراء ، بل هم الآن أغنى الناس ، والفقراء حقيقة خلافهم من أولاد الناس الذين لاكسب لهم ، والكثير من أهل العلم الخاملين ، والذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، ولما استولى المترجم على وظيفة نظر المشهد الحسينى ، قهر السيد بدوى المباشر المذكور ، وأخذ دار سكنه شرقى المسجد وأخرجه منها وهدمها ، وأنشأها دارا لنفسه ينزل بها أيام المولد المعتاد ، ويأتى إليها فى كل جمعة أو جمعتين ، ولما تم بناؤها ونظامها ، وقرب وقت أيام المولد انتقل إليها بخدمه وحريمه ، وتقدم إلى حكام الشرطة بأمر الناس والمناداة على أهل الأسواق والحوانيت بالسهر بالليل ، ووقود السرج والقناديل خمس عشرة ليلة المولد ، وكان فى السابق ليلة واحدة ، وأحدثوا فى تلك الليالى

سيارات وجمعيات وطبولا وزمورا ومناور ومشاعل ، وجمع خلائق من أوباش العالم الذين ينتسبون إلى الطرائق كالأحمدية ، والسعدية ، والشعيبية ، ويتجاوبون في وسط الطبول بألفاظ مستهجنة ، ينادون بها مشايخ طرقهم بكلمات وعبارات تشمئز منها الطباع ، وأمرهم بأن يمروا من تحت داره ، ودعا أمراء البلدة في ظرف تلك الأيام متفرقين ، ودعا عابدين باشا يوم المولد ، ولما سكن بتلك الدار وهي قبالة الميضأة والمراحيض ، فكان يتضرر من الرائحة ، فقصد إبطالها من تلك الجهة ؛ فاشترى دارا قبلي المسجد ، وهي بجانب حائط المسجد الجنوبية الفاصلة بينها وبين المسجد ، وأدخل منها جانبا في المسجد ، وزاد فيه مقدار باكية ، وجعلها مرتفعة عن أرض المسجد درجة لتمتاز عن البناء القديم ، وجعل به محرابا ومن خلفه خلوة يسلك إليها من باب بصدر الليوان المذكور إلى فسحة لطيفة أمام الخلوة ، وبالخلوة شباك مطل على الليوان الصغير الذى بقبة الضريح ، وأنشأ فيما بقي من الدار ميضأة ومراحيض ، وفتح لها بابا من داخل المسجد من آخره بجانب باب السيل ؛ وأبطل الميضأة القديمة لانحراف مزاجه وتأذيه من رائحتها ، وتحول عبور الناس من داخل وخارج إلى هذه الجديدة ، وأتت عليها عدة أيام ، ففاحت الروائح على المصلين ومن بالمسجد ، وما انضاف إلى ذلك أيضًا من البلل والتقذير من أرجل الأوباش لقربها من المسجد ، فلغط الناس ، ومن يحضر في أوقات الصلاة من أتراك خان الخليلي والتجار ، وشنعوا القالة ، وقاموا قومة واحدة ، وأغلقوا الباب ، وأبطلوا تلك الميضأة ، ومنعوا من دخولها ، وساعدهم المتصوفون من أجناسهم ، فانكسف بال المترجم لذلك ، ولم يمكنه تنفيذ فعله ، وأعاد الميضأة القديمة كما كانت ، وجعل المستجدة مربطا للحمير يستغل أجرته بعد أن أزال تلك الميضأة ، ومحا أثر ذلك ، وكان بناء هذه الزيادة سنة ست بعد المائتين [1] ، ثم زاد في منزل سكنهم زيادة من ناحية البركة المعروفة ببركة الفيل خلف البستان ، أخذ في تلك الزيادة مقدارا كبيرا من أرض البركة ، وأنشأه مجلسا مربعا متسعا مطلا على البركة من جهتيه ، وبوسطه عامود من الرخام ، وبلط دور قاعته بالرخام ، وجعل به مخدعا ، وخارجه فسحة كبيرة ، وشبابيكها مطلة على البركة ، وصارت القاعة القديمة المعروفة بالغزال الملتفت بابها في ضمن الفسحة ، وبها باب القيطون ، وسمى هذه المنشية الأسعدية ، وبتلك الفسحة باب يدخل منه إلى منافع ومرافق ، ثم عن له التغيير والتبديل لأوضاع البيت من ناحية أخرى ، فهدم الساتر على القاعة الكبيرة

(١) ١٢٠٦ هـ / ٣١ اغسطس ١٧٩١ - ١٨ اغسطس ١٧٩٢ م .

وفسحتها ، وهى التى يسمونها بأم الأفراح ، وهى من إنشاء الشيخ أبى التخصيص ، وهى أعظم المجالس التى بدارهم ، مزخرفة بالنقوش الذهب ، والقيشانى الصينى بجميع حيطانها ، والرخام الملون ، وبها الفسقية والسلسبيل والقمريات الملونة ، فكشف حائطها ، وأدخل فسحتها فى رحبة الحوش ، وهدم القاعة الأخرى التى كان يصعد إليها بسلم من الفسحة الأخرى ، وأبطل الحواصل التى أسفلها ، وساواها بالأرض ، وعمل بها فسقية بالرخام ومرافقها من داخلها ، وبها باب يتوصل منه إلى الحريم ، وسماها الأنوارية ، نسبة لكنيته ، وأمامها فسحة عظيمة ديوان بدكك وكراسى بجانب البستان ، وبها الطرقة والدهليز الممتد بوسط البستان الموصل إلى القاعة المسماة بالغزال والأسعدية ، وهدم المقعد القديم الذى به العامود وقناطره ، وما كان بظاهر الحاصل المسمى بحاصل السجادة من الحواصل السفلية ، وجعله مسجدا يصلى فيه الجمعة، ونصب فيه منبرا للخطبة ، وذلك لبعد المساجد الجامعة عن داره ، وتعاظمه عن السعى الكثير والاختلاط بالعامة ، وأخذ قطعة وافرة من بيت كتخدا الجاويشية وسع بها البستان ، وغرس بها الأشجار والرياحين والثمار ، وأفنى غالب عمره فى تحصيل الدنيا ، وتنظيم المعاش والرفاهية ، واقتناء كل مرغوب للنفس ، وشراء الجوارى والمماليك والعبيد والحبوش والخصيان ، والتأنق فى المآكل والمشارب والملابس ، واستخراج الأدهان والعطريات والمركبات المفرحة والمنعشة للقوة ، وتعاظم فى نفسه ، وتعالى فى نفسه ، وتعالى على أبناء جنسه ، حتى أنه ترفع على لبس التاج ، وحضور المحيا بالأزهر ليلة المعراج ، وكذا الحضور فى مجلس وردهم الذى هو محل عزهم وفخرهم ، وصار يلبس قاووقا بعمامة خضراء ، تشبها بأكابر الأمراء، وبعدا عن التشبه بالمتعممين والفقهاء والمقرئين ، ولما طالت أيامه وماتت أقرانه ، والذين كان يستحى منهم ويهابهم ، وتقلبت عليه الدول ، واندرجت أكابر الأمراء ، وتأمر أتباعهم ومماليكهم الذين كانوا يقومون على أقدامهم بين يدى مخاديمهم وأسيادهم جلوس بالأدب مع المترجم ، لا جرم كانت هيبته فى قلوبهم أعظم من أسلافهم ، واستصغار هولهم كذلك ، فكان يصدعهم بالكلام وينفذ أمره فيهم ، ويذكر الأمير الكبير بقوله : « ولدنا الأمير فلان » ، وحوائجه عندهم مقضية، وكلامه لديهم مسموع ، وشفاعته مقبولة ، وأوامره نافذة فيهم ، وفى حواشيهم وحريماتهم ، واتفق أن بعض أعاظم المباشرين من الأقباط توقف معه فى أمر ، فأحضره ولعنه وسبه وكشف رأسه وضربه على دماغه بزخمة من الجلد ، ولم يراع حرمة أميره ، وهو إذ ذاك أمير البلدة ، ولما شكا إلى مخدومه ما فعل به ، قال له : « وما تريد أن أصنع بشيخ عظيم ضرب نصرانيا » ، فرحم الله عظامهم .

واتفق أيضًا أنَّ جماعة من أولاد البلد ووجهائها ، اجتمعوا ليلة بمنزل بعض أصحابهم وتباسطوا ، فأخذ بعضهم يسخر ويقلد بعض أصحاب المظاهر ، فوشى للمترجم مجلسهم ، وأنهم أدرجوه فى سخريتهم ، فتسماهم وأحضرهم واحدا بعد واحد ، وعزرهم بالضرب والإهانة ، فكان كل قليل يقع فى بيته الضرب والإهانة لأفراد من الناس ، وكذلك فلاحنو الحصص التى حازها والتزم بها ، فإنَّه زاد فى خراجهم عن شركائه ، ويفرض عليهم زيادات ، ويحبسهم عليها شهورا ويضربهم بالكرابيج ، وبالجملة فقد قلب الموضوع ، وغير الرسم المطبوع ، بعد أن كان منزلهم محل سلوك ورشاد ، وولاية واعتقاد ، فصار كبيت حاكم الشرطة يخافه من غلط أدنى غلطة ، ويتحاماه الناس من جميع الأجناس ، وجلساؤه ومرافقوه لايعارضوه فى شىء بل يوافقوه ، ولايتكلمون معه إلا بميزان وملاحظة الأركان ، ويتأدّبون معه فى رد الجواب ، وحذف كاف الخطاب ، ونقل الضمائر عن وضعها فى غالب الألفاظ ، بل كلها حتى فى الآثار المروية والأحاديث النبوية ، وغير ذلك من المبالغات ، وتحسين العبارات ، والوصف بالمناقب الجليلة ، والأوصاف الجميلة ، حتى أنَّ السيد حسين المنزلاوى الخطيب ، كان ينشىء خطبا يخطب بها يوم الجمعة التى يكون المترجم حاضرا فيها بالمشهد الحسينى ، وبزاويتهم أيام المولد ، ويدرج فيها الإطراء العظيم فى المترجم ، والتوسل به فى كشف المهمات ، وتفريج الكروب ، وغفران الذنوب ، حتى أنى سمعت قائلا يقول بعد الصلاة : « لم يبق على الخطيب إلا أن يقول اركعوا واسجدوا واعبدوا شيخ السادات » ، ولما قدمت الفرنساوية إلى الديار المصرية فى أوائل سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف [1] ، لم يتعرضوا له فى شىء ، وراعوا جانبه وأفرجوا عن تعلقاته ، وقبلوا شفاعاته ، وتردد إليه كبيرهم وأعاظمهم ، وعمل لهم ولائم ، وكنت أصاحبه فى الذهاب إلى مساكنهم ، والتفرج على صنائعهم ونقوشهم وتصاويرهم وغرائبهم إلى أن حضر ركب العثمانيين فى سنة خمسة عشر [2] ، وحصلت بينهم المصالحة على انتقال الفرنساوية من أرض مصر ورجوعهم إلى بلادهم على شروط اشترطوها بينهم وبين وزير الدولة العثمانية .

ومنها : حسابات تدفع إليهم ، وأخرى تخصم عليهم ، وظن المترجم وخلافه إتمام الأمر والارتحال لا محالة ، فعند ذلك لحقه الطمع ، فذكر مصلحة دفعها لكاتب جيشهم فى نظير الإفراج عن تعلقاته ، وأرسل يطلبها من بوسليك مدبر الجمهور ، وكذلك ما قبضه ترجمانه ، فقال : « هذه عوائد لابد منها ، ودخلت فى حساب

(١) ١٢١٣ هـ / ١٥ يونيه ١٧٩٨ - ٤ يونيه ١٧٩٩ م . (٢) ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠٠ - ١٣ مايو ١٨٠١ م .

الجمهور » ، وتغير خاطرهم منه ، وكانت منه هفوة ترتب عليها بينهم وبينه الجفوة ، ولما انتقض الصلح ، وحصلت المفاقمة ، ووقعت المحاربة فى داخل المدينة ، وتترست العساكر الإسلامية وأهل البلد فى النواحى والجهات ، وانقطع الجالب عن أهل البلد مدة ستة وثلاثين يوما ، التزم أغنياء الناس وأصحاب المظاهر الإطعام والإنفاق على المخاربين والمقاتلين فى جهتهم ونواحيهم ، والتزم المترجم كغيره الإنفاق على من حوله ، فلما انقضت أيام المحاربة ، وانتصر الفرنساوية ، ورجع الوزير ومن معه إلى جهة الشام منهزمين ، فعند ذلك انتقم الفرنساوية من المبارزين لهم بأخذ المال بدلا عن الأرواح ، وقبضوا على المترجم وحبسوه وأهانوه أياما ، وفرضوا عليه قدرا عظيما من المال قام بدفعه كما ذكرنا ذلك مفصلا فى محله ، وقيل إنّ الذى زاد الفرنساوية إغراء به مراد بيك حين اصطلح معهم وعمل لهم ضيافة ببر الجيزة ، وسببه أنه لما دهمت الفرنساوية وطلعوا الإسكندرية ، ووصل الخبر إلىّ مصر اجتمع الأمراء بالمساطب ، وطلبوا المشايخ ليشاوروا فى هذا الحادث ، فتكلم المترجم وخاطبهم بالتوبيخ ، وقال : « كل هذا سوء فعالكم وظلمكم ، وآخر أمرنا معكم ملكتمونا للإفرنج » ، وشافه مراد بيك ، « وخصوصا بأفعالك وتعديك أنت وأمرائك على متاجرهم ، وأخذ بضائعهم وإهانتهم » ، فحقدها عليه ، وكتمها فى نفسه حتى اصطلح مع الفرنساوية ، وألقى إليهم ما ألقاه ففعلوا به ما ذكر ، وذلك فى ثانى يوم الضيافة ، فلما رجع العثمانية فى السنة الثانية إلى مصر بمعونة الإنكليز ، وصاروا بالقرب من المدينة ، حبسوا المترجم مع مَن حبس بالقلعة من أرباب المظاهر ، خوفا من إحداثهم فتنة بالبلدة ، ومات ولده الذى كان سماه محمد نور الله ، وهو معوق وممنوع ، فأذنوا له فى حضوره جنازة ولده ، فنزل وصحبته شخص حرس منهم ، فلازمه حتى واراه ، وعاد به ذلك الحرسى إلى القلعة ، وكان هذا الولد مراهقا له من العمر اثنتا عشرة سنة ، كان فى أمله أنْ يكون هو الخليفة فى بيتهم من بعده ، ويأبى الله إلا ما يريد ، ولما انفصل الأمر وارتحل الفرنساوية من أرض مصر ، ودخل إليها يوسف باشا الوزير ومن معه ، تقدم المترجم يشكو إليه حاله وما أصابه ، وادّعى الفقر والإملاق ، مع أنّ الفرنساوية لم يحجزوا عنه شيئًا من تعلقاته وإيراده ، وجعل شكواه وما حصل له سلما للإفراج عن جميع تعلقاته ، وإيراده من غير حلوان كغيره من الناس ، وزاد على ذلك أشياء ومطالب ومسامحات ، ودعا الوزير إلى داره وأفراد رجال الدولة الذين بيدهم مقاليد الأمور ، وعاد إلى حالته فى التعاظم والكبرياء ، وارتحل الوزير بعد استقرار محمد باشا خسرو على ولاية مصر ، وكان سموحا ، وكذلك شريف أفندى الدفتردار فرمح فى غفلتهما واستكثر من التحصيل والإيراد إلى

أن تقلبت الأحوال ، وعادت للمصريين فى سنة ثمان عشرة[1] ، ثم خروجهم ، وما وقع من الحوادث التى تقدم ذكرها ، واستقر محمد على باشا وثبتت قدمه بمعونة العامة والسيد عمر مكرم بمملكة مصر ، وشرع فى تمهيد مقاصده ، فكان السيد عمر يمانعه ، فدبر على إخراجه من مصر ، وجمع المشايخ ، وأحضر المترجم وخلع عليه وقلده النقابة ، وأخرج السيد عمر من مصر منفيا إلى دمياط ، وذلك فى سنة أربع وعشرين كما تقدم [2] ، ووافق فعله ذلك غرض المترجم ، بل ربما كان بمعونته لحقده الباطنى على السيد عمر وتشوفه إلى النقابة ، وادعائه أنَّها كانت ببيتهم لكون الشيخ أبى هادى تولاها أياما ، ثم تولاها بعده أبو الإمداد ، ثم نزل عنها لمحمد أفندى البكرى الكبير، فلم يزل فى نفس المترجم التطلع لنقابة الأشراف ، ويصرح بقوله : « إنَّها من وظائفنا القديمة » ، وأحضر بها مرسوما من دار السلطنة وأخفاه ، ولم يظهره مدة حياة محمد أفندى البكرى الكبير ، فلما مات وتقلدها ولده محمَّد أفندى ادعاها ، وأظهر المرسوم ، وشاع خبر ذلك ، فاجتمع الجم الغفير من الأشراف بالمشهد الحسينى ممانعين ، وقائلين : « لانرضاه نقيبا ولا حاكما علينا » ، فلم يتم له مراده ، فلما توفى محمد أفندى الصغير ، ظنَّ أنه لم يبق له فيها منازع ، فلا يشعر إلا وقد تقلدها السيد عمر بمعونة مراد بيك وإبراهيم بيك لصحبته معهما ، ومرافقته لهما فى الغربة حين كان المصريون بالصعيد ، فسكت على ضغن وغيظ يخفيه تارة ويظهره أخرى ، وخصوصا وهو يرى أنَّ السيد عمر فى ذلك دون ذلك بكثير ، فلما خرج الفرنساوية ، ودخل الوزير إلى مصر وصحبته السيد عمر متقلدا للنقابة كما كان ، وانفصل عنها السيد خليل البكرى ، وارتفع شأن السيد عمر وزاد أمره بمباشرة الوقائع وولاية محمد على باشا ، وصار بيده الحل والعقد ، والأمر والنهى ، والمرجع فى الأمور الكلية والجزئية ، والمترجم يحقد عليه فى الباطن ويظهر له خلافه ، وهو الآخر كذلك ، كقول الشاعر :

أصَادِقُه كرْهًا ويظهِرُ أنَّهُ   صديقى كرهًا والعَدَاوةُ تشْتَدُّ
ولست بمعتَدٌ له بصَداقةٍ   كما أنَّه مِنّى بهَا ليس يعتَدُّ
ولكننى أخشَاهُ وهُوَ يخافُنِى   فيخفَى ويبدوُ بيننا البغضُ والودُّ

فلما أخرج الباشا السيد عمر ، وتقلد المترجم النقابة ، وبلغ مأموله عند ذلك

(١) ١٢١٨ هـ / ٢٣ أبريل ١٨٠٣ - ١٢ أبريل ١٨٠٤م .
(٢) ١٢٢٤ هـ / ١٦ فبراير ١٨٠٩ - ٥ فبراير ١٨١٠ م .

أظهر الكامن فى نفسه ، وصرح بالمكروه فى حق السيد عمر ، ومن ينتمى إليه ، أو يواليه ، وسطر فيه عرضا محضرا إلى الدولة، نسب إليه فيه أنواعا من الموبقات التى

منها : أنه أدخل جماعة من الأقباط فى دفتر الأشراف ، وقطع أناسا من الشرفاء المستحقين ، وصرف راتبهم للأقباط المدخلين .

ومنها : أنه تسبب فى خراب الإقليم ، وإثارة الفتن ، وموالاة البغاة المصريين وتطميعهم فى المملكة حتى أنه وعدهم بالهجوم على البلدة يوم قطع الخليج فى غفلة الباشا ، والناس والعساكر ، وأنه هو الذى أغرى المصريين على قتل على باشا برغل الطرابلسى حين قدم واليا على مصر ، وهو الذى كاتب الإنكليز وطمّعهم فى البلاد مع الألفى حين حضروا إلى سكندرية وملكوها ، ونصر الله عليهم العساكر الإسلامية ، وغير ذلك من عبارات عكس القضية ، وتنميق الأغراض النفسانية ، وكتب الأشياخ عليه خطوطهم وطبعوا تحتها ختومهم ما عدا الطحطاوى الحنفى ، فإنه تنحى عن الشرور ، وامتنع من شهادة الزور ، فأوسعوه سخطا ومقتا ، وعزلوه من الإفتاء ، وقد تقدم خبر ذلك فى حوادث سنة أربع وعشرين[1] ، وإنما المعنى بإعادة ذلك هنا تتمة لترجمة المشار إليه ، وحذرا من نقصها مع النسيان لأكثر جملها ، فلو سلمت الفكرة من النسيان لفاقت سيرته كان وكان ، وفى سنة ست وعشرين [2] أنشأ دارا عظيمة بجانب المنزل ، وصرف جملا من المال ، وأنشأ بها مجالس وقاعات ورواشن ومنافع ومرافق وفساقى ، وأنشأ فيها بستانا غرس فيه أنواع الأشجار المثمرة، وأدخل به ما حازه من دور الأمراء المتخربة ، وكان السيد خليل البكرى اشترى دارا بدرب الفرن ، وذلك بعد خروج الفرنساوية ، وخمول أمره وعزله من مشيخة البكرية والنقابة ، وأنشأ بها بستانا أنيقا وأنشأ قصرا برسم ولده مطلا على البستان ، فلما توفى السيد خليل تعدى على ولده سيدى أحمد وقهره ، وأخذ منه ذلك البستان بأبخس الأثمان ، وخلطه ببستان الدار الجديدة ، وبنى سوره وأحاطه ، وأقام حائطا بينه وبين دار المذكور وطمسها، وأعماها وسدت الحائط شبابيك ذلك القصر وأظلمته، ولم يزل كلما طال عمره زاد كبره ، وقل بره ، وتعدى شره ، ولما ضعفت قواه تقاعد عن القيام لأعاظم الناس إذا دخل عليه محتجا بالإعياء والضعف ، ولازم استعمال المنعشات والمركبات المفرحة :

. . . . وَلايصلِحُ العطارُ مَا أفسَدَ الدهرُ .

---

(١) ١٢٢٤ هـ / ١٦ فبراير ١٨٠٩ - ٥ فبراير ١٨١٠ م .

(٢) ١٢٢٦ هـ / ٢٦ يناير ١٨١١ - ١٥ يناير ١٨١٢ م .

وفى شهر شوال [1] ، من السنة التى توفى فيها ، أحضر ابن أخيه سيدى أحمد الذى تولى المشيخة بعده ، وألبسه خلعة وتاجا ، وجعله وكيلا عنه فى نقابة الأشراف ، وأركبه فرسا بعباءة ، وأرسله إلى الباشا صحبة سيدى محمد المعروف بأبى دفية ، وأمامه جاويشية النقابة على العادة ، فلما دخلا إلى الباشا وعرفه المرسول بأن عمه أقامه وكيلا عنه ، فقال : « مبارك » ، فأشار إليه أن يلبسه خلعة ، فقال : « إنَّ موكله ألبسه ، ولم يتقلدها بالأصالة ، ولو كنت قلدته ، أنا كنت أخلع عليه ، وألبسه » ، فقام ونزل إلى داره التى أسكنه بها عمه ، وهى الدار التى عند المشهد الحسينى ، وحضر إليه الناس للسلام والتهنئة .

وفى هذه السنة [2] أيضًا عنّ للمترجم أن يزيد فى المسجد الحسينى زيادة مضافة لزيادته الأولى التى كان زادها ، فى سنة ست ومائتين وألف [3] ، فهدم الحائط التى كان بناها الجنوبية ، وأدخل القطعة التى كان عمل بها الميضأة ، وزاد باكية أخرى ، وصف عواميد ، وصارت مع القديمة ليوانا واحدا ، وشرع فى بناء دار عظيمة لينزل فيها وقت مجيئه هناك فى أيام المولد وغيره ، عوضا عن الدار التى نزل عنها لابن أخيه ، فتكون هذه بعيدة عن روائح الميضأة القديمة ، وتكون بالشارع ، وتمر من تحتها مواكب الأشاير ، ولايحتاجون إلى تعديهم المسجد ودخولهم من طريق باب القبة ، وجعل بالحائط الفاصل بين الزيادة والدار المستجدة شبابيك مطلة على المسجد ، لينظر منها المجالس والوقودات من يكون بالدار من الحريم وغيرهم ، فما هو إلاَّ وقد قرب إتمام ذلك إلاَّ وقد زاد به الإعياء والمرض ، وانقطع عن النزول من الحريم ، وتمت الزيادة ولم يبق إلاَّ إتمام الدار فيستعجل ويشتم المشد والمهندس ، وينسب إليهم إهمال استحثاث العمال ، ويقول : « قد قرب المولد ولم تكمل الدار ، فأين نجلس أيام المولد » ، هذا وكل يوم يزيد مرضه ، وتورمت قدماه وضعف عن الحركة ، وهو يقول ذلك ، ويؤمل الحياة ، فلما زاد به الحال وتحقق الرحيل إلى مغفرة المولى الجليل ، أوصى لأتباعه بدراهم ، ولذى الفقار الذى كان كتخدا الألفى ، والآن فى خوالة بستان الباشا الذى بشبرا بخمسمائة ريال ، لكون زوجته خشداشة حريمه ، وهما من جوارى إسماعيل بيك الكبير ، وليكون معينا لها ومساعدا فى مهماتها ، ولسيدى محمد أبى دقية مثلها فى نظير خدمته وتقيده وملازمته له ، وأوصى أنّ

(1) شوال ١٢٢٨ هـ / ٢٧ سبتمبر - ٢٥ أكتوبر ١٨١٣ م .
(2) ١٢٢٨ هـ / ٤ يناير - ٢٣ ديسمبر ١٨١٣ م .
(3) ١٢٠٦ هـ / ٣١ أغسطس ١٧٩١ - ١٨ أغسطس ١٧٩٢م .

لايغسل إلاَّ على سريره الهندى الذى كان ينام عليه فى حياته ، ليكون مخالفا للعالم حتى فى حال الموت ، فلما كان يوم الأحد ثامن عشر ربيع الأول من السنة [1] ، انقضى نحبه ، وتوفى إلى رحمة الله تعالى وقت العصر ، وبات بالمنزل ميتا ، فلما أصبح يوم الاثنين [2] ، غسل وكفن كما أوصى على السرير ، وخرجوا بجنازته من المنزل ، ووصلوا بها إلى الأزهر فصلى عليه بعدما أنشد المنشد مرثية من إنشاء العلامة الشيخ حسن العطار ، وجعل براعة استهلالها الإشارة إلى ما كان عليه المترجم من التعاظم والتفاخر ، فقال : « سَلاَمٌ على الدنيا فقدْ ذَهبَ الفخرُ » .

ثم حمل إلى مشهد أسلافه بالقرافة ، ودفن فى التربة التى أعدها لنفسه بجانب مقام جدهم ، وتقلد مشيخة سجادتهم فى ذلك اليوم السيد أحمد ابن الشيخ يوسف ، وهو ابن عمه وعصبته وكنيته أبو الإقبال بإجماع من الخاص والعام ، وجلس هو وأخوه سيدى يحيى لتلقى العزاء ، وفى الصباح حضر إلى الرباط بالقرنفش ، وكان بزاوية الرباط المذكور خلوة جدهم ، أقام بها حين حضر من الغرب إلى مصر ، وعادتهم إذا تولى شخص منهم المشيخة لابد أنْ يأتى فى الصباح ويدخل الخلوة ، فيجلس بها حصة لطيفة فيتروحن وتلبسه الولاية .

فلما كان المترجم هدم حائط تلك الخلوة زاعما أنه خاتمة أوليائه ، وأنه لم يأت من يصلح للمشيخة سواه ، وكأنه أخذ بذلك عهدا وميثاقا ، ولم يعلم أنَّ ربه لم يزل خلاقا ، وأن الولاية ليست بفعل العبد ، ولا بالسعى والقصد ؛ قال تعالى فى محكم آياته : ﴿ اللهُ أعلمُ حيثُ يجْعلُ رِسَالاته ﴾ [3] ، وقال سبحانه : ﴿ ألا إنَّ أولياءَ الله لاَ خوفٌ علَيهِم ولا هم يحزنُون الذين آمَنُوا وكَانُوا يتقُون ﴾ [4] وإن أولياؤه إلا المتقون نسأله التوفيق والهداية ، والحفظ عن أسباب الغواية ، ولما كان ذلك وأحبوا إجراء العادة القديمة ، حضر المتولى وصحبته أشياخ الوقت ، والسيد محمد المحروقى ، وجماعة الحزب وغيرهم من المتفرجين ، وقد جعلوا على محل الخلوة ساترا بدل الحائط المهدوم ، ودخل المتولى خلفها ، وقرأ جماعة الحزب شيئًا من القرآن ، ثم قام النقيب مع الشيخ البكرى فتلقوا الشيخ ، فخرج على الحاضرين متطيلسا ، وصافحهم وركب بصحبتهم إلى القلعة ، فخلع عليه كتخدا بيك خلعة سمور ، وقاموا ونزلوا إلى زاويتهم بالقرافة ، وأمامهم جماعة الحزب وجاويشية النقابة ، فجلسوا حصة وقرءوا أحزابهم ، ثم ركب ورجع إلى المنزل ، وجلس مع أخيه لعمل المأتم والقراءة

(١) ١٨ ربيع الأول ١٢٢٨ هـ / ٢١ مارس ١٨١٣ م . (٢) ١٩ ربيع الأول ١٢٢٨ هـ / ٢٢ مارس ١٨١٣ م .
(٣) سورة : الأنعام رقم (٦) ، آية رقم (١٢٤) . (٤) سورة : يونس رقم (١٠) ، آية رقم (٦٢) .

الجمعية على العادة ، وأرسل كتخدا بيك ساعيا بخبر موته إلى الباشا بالفيوم ، لأنه لما سافر إلى جهة قبلي ، ووصل إلى ناحية بني سويف ، ركب بغلة سريعة العدو ، وركب خلفه خواصه بالهجن والبغال فوصلها في أربع ساعات ، وانقطع أكثر المتوجهين معه ، ومات منهم سبعة عشر هجينا ، ورجع الساعي بعد ثلاثة أيام بجواب الرسالة ، ومضمونها : « عدم التعرض لورثة المتوفى حتى يقدم الباشا من غيبته » ، فبقى الأمر على السكوت أربعة عشر يوما ، وحضر الباشا ليلة الأحد ثامن ربيع الآخر [1] ، فبمجرد وصوله إلى الجيزة أرسل بالختم على منزلهم ، فما يشعرون إلاَّ وحسين كتخدا الكتخدا بيك ، وببيت المال واصل إليهم ومعه آخرون ، فختموا على المجالس التي بالحريم ، ومجلس الجلوس الرجالي ، ختموا على خزائنه ، وقبضوا على الكاتب القبطي المسمى عبد القدوس ، والفراش وحبسوهما ، وعدى الباشا من ليلته إلى بر مصر ، وطلع إلى القلعة ، فركب إليه في صبحها المشايخ ، وصحبتهم ابن أخي المتوفى وهو الذى تولى المشيخة فخاطبوه ، وقالوا له كلامًا معناه : « إنَّ بيوت الأشياخ مكرمة ، ولم تجر العادة بالختم على أماكنهم ، وخصوصا أن هذا المتوفى كان عظيما في بابه ، وأنتم أخبر به ، وكان لكم به مزيد عناية ومراعاة » ، فقال : « نعم إنِّى لا أريد إهانة بيتهم ، ولا أطمع فى شيء مما يتعلق بمشيختهم ولا وظائفهم القديمة ، ولايخفاكم أنَّ المتوفى كان طماعا وجماعا للمال ، وطالت مدته وحاز التزامات وإقطاعات ، وكان لايحب قرابته ولايخصهم بشيء ، بل كتب ما حازه لزوجته وهى جارية نهاية ثمنها ألفا قرش أو أقل أو أكثر ، ولم يكتب لأولاد أخيه شيئًا ، فلا يصح أن أمة تختص بذلك كله ، والخزينة أولى به ، لاحتياجات مصاريف العساكر ومحاربة الخوارج واستخلاص الحرمين وخزينة السلطان، وأنا أرفع الختم رعاية لخواطركم » ، فدعوا له ، وقاموا إلى مجلس الكتخدا ، وخلع على الشيخ المتولى فروة سمور أخرى ، وقلد السيد محمد الدواخلي نقابة الأشراف ، وخلع عليه فروة سمور عوضا عن سيدى أحمد أبي الإقبال المتولي على خلافة السادات ، فانفصل من النقابة ، ونزلت الجاويشية ولوازم النقابة مثل باش جاويش والكاتب أمام الدواخلي وخلفه ، وقلد السيد المحروقي نظارة المشهد الحسيني عوضا عن المتوفى ، وكان فرغ بها لابن أخيه فلم ينفذ الباشا ذلك ، وفي ثاني يوم [2] ، حضر الأعوان إلى بيت السادات وفكوا الختوم ، وطلبوا سقاء الحريم ، فأخذوه معهم ، وأوجعوه بالضرب ، وأحضروا البنَّاءَ وسألوهما عن

---

(١) ٨ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ١٠ أبريل ١٨١٣ م . (٢) ٩ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ١١ أبريل ١٨١٣ م .

محل الخبايا ، ثم رجعوا إلى المنزل ففتحوا مخبأة مسدودة بالبناء ، فوجدوا بها قوالب مساند قطيفة غير محشوّة، ووجدوا نحاسا وقطنا وأوانى صينى فتركوا ذلك ، وذهبوا وأبقوا بالدار عدة من العسكر فباتوا بها ، ثم رجعوا فى ثالث يوم [1] ، وفتحوا مخبأة أخرى فوجدوا بها أكياسا مربوطة فظنوا بداخلها المال ، ففتحوها فوجدوا بها بن قهوة وبغيرها صابون وشموع عسل ، ولم يجدوا شيئًا من المال ، فتركوا تلك الأشياء ونزلوا إلى قاعة جلوسه ، وفتحوا خزانة فوجدوا بها نقودًا فعدوها وحصروها فبلغت مائة وسبعة وعشرين كيسا فأخذوها ، ثم سعى السيد محمد المحروقى فى مصالحة الباشا حتى قرر عليهم ألف كيس وخمسين كيسا وخمسة أكياس برانى لبيت المال ، وخصموا منها الذى وجدوه بالخزانة ، وطولبوا بالباقى ، وذلك بعد التشديد والتهديد على الزوجة وتوعدوها بالتغريق فى البحر إنْ لم تظهر المال ، وأمر الكاتب بحساب إيراده ومصرفه فى كل سنة ، وما صرفه فى الأبنية وينظر ما يتبقى بعد ذلك فى مدة سنين ماضية ، فلم يزل السيد محمد المحروقى يدافع ويسعى حتى تقرر القدر المذكور، والتزم هو بدفعه وحولّت عليه الحوالات ، وضبط الباشا حصص الإلتزام التى كتبت باسم الزوجة ومنها قلقشندة[2] بالقليوبية وسوادة[3] ودفرينه[4] ، بالجهة القبلية وغير ذلك ، وبعد انقضاء عدة الزوجة استأذن السيد المحروقى الباشا فى عقد نكاحها على ابن أخى المتوفى الذى هو السيد أحمد أبو الإقبال الذى تولى خلافة بيتهم ، فأذن بذلك ، فحضر فى الحال ، وأجرى العقد بعد أنْ حكمت عليه بطلاق التى فى عصمته ، وهى جاريتها زوّجته بها فى حياة عمه ، ورزق منها أولادا واستقر المشار إليه فى المنزل خليفة وشيخا على سجادتهم ومحل سيادتهم ، وسكن معه أخوه سيدى يحيى زادهما الله توفيقا وخيرا واتفاقا ، وأشرق نجم المصدر على أفق السعادة إشراقا، فهو أبو الإقبال ، المتحلى بالجمال والكمال .

فى المهدِ ينطقُ عن سَعادةِ جَدِه ... أثرُ النجَابة واضحُ البرهَانِ
إنَّ الهلالَ إذا رأيتَ نُموّه ... أيقنتَ أنْ سَيَزيدُ فى اللّمعَانِ

---

(١) ١٠ ربيع الثانى ١٢٢٨ هـ / ١٢ أبريل ١٨١٣ م .

(٢) قلقشندة : قرية قديمة ، وهى إحدى قرى مركز طوخ ، بمحافظة القليوبية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ١ ، ص ٤٦ .

(٣) سوداة : قرية قديمة ، إحدى قرى مركز المنيا ، محافظة المنيا .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ٣ ، ص ٢٠١ .

(٤) دفرينه : لم نعثر على تعريف بها ، ولعلّ المقصود بها ، قرية دقش مركز سمالوط ، محافظة المنيا .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ٣ ، ص ٢٣٢ .

ومات ، الشيخ الناسك ، محمد بن عبد الرحمن اليوسى المغربى ، ورد إلى مصر وحج ورجع ونزل بدار الحاج مصطفى الهجين العطار ، منجمعا عن خلطة الناس ، والسعى على طريقة حميدة ومذاكرة حسنة ، ويأتى إليه الناس يزورونه ويتبركون به ويسألونه الدعاء ، ويستفهمون منه مسائل ، فيجيب كل إنسان بما يفسر منه بتواضع وانكسار ، وتزهيد فى الدنيا وتمرض سنينا ، وتوفى يوم الثلاثاء ثامن عشرين المحرم[1] ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بجانب الخطيب الشربينى بتربة المجاورين ، وهى القرافة الكبرى .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين وألف[2]

استهل المحرم بيوم الجمعة [3]

فيه [4] ، فى ليلة الجمعة ثامنه [5] ، وردت مكاتبات من الديار الحجازية ، وفيها الإخبار بأن الباشا قبض على الشريف غالب أمير مكة ، وقبض على أولاده الثلاثة ، وأربعة عبيد طواشية من عبيده ، وأرسلهم إلى جدة ، وأنزلهم فى مركب من مراكبه ، وهى واصلة بهم ، والذى وصل بالخبر وصل فى مركب صغيرة ، تسمى السبحان سبقتهم فى الحضور إلى السويس ، وأخبروا أيضًا فى المكاتبة ، أنه لما قبض عليهم أحضر يحيى ابن الشريف سرور وقلده الإمارة عوضا عن عمه غالب ، وقبضوا أيضًا على وزيره الذى بجدة ، وأصحبوه معهم ، وقلد مكانه فى الكمارك شخصا من الأتراك يسمى على الوجاقلى ، فلما وصل الهجان بهذه المكاتبة إلى السيد محمد المحروقى ليلا ، ركب من وقته إلى كتخدا بيك فى بيته ، وأطلعه على المكاتبات ، فلما طلع النهار نهار يوم الجمعة ، ضربوا عدة مدافع من القلعة إعلامًا وسرورا بذلك .

وفيه [6] ، احتفل كتخدا بيك بعمل مهم أيضًا لزواج إسماعيل باشا ابن محمد على باشا ، ومحمد بيك الدفتردار على ابنة الباشا ، وإسماعيل باشا على ابنة عارف بيك ابن خليل باشا التى أحضرها صحبته من إسلامبول ، وقد تقدم ذكر العقد عليهما فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان من السنة الماضية[7] ، قبل توجه

---

(١) ٢٨ محرم ١٢٢٨ هـ / ٣١ يناير ١٨١٣ م . (٢) ١٢٢٩ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٨١٣ - ١٣ ديسمبر ١٨١٤ م .
(٣) ١ محرم ١٢٢٩ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٨١٣ م .
(٤) محرم ١٢٢٩ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٨١٣ - ٢٢ يناير ١٨١٤ م .
(٥) ٨ محرم ١٢٢٩ هـ / ٣١ ديسمبر ١٨١٣ م . (٦) ٨ محرم ١٢٢٩ هـ / ٣١ ديسمبر ١٨١٣ م .
(٧) ٢٧ رمضان ١٢٢٨ هـ / ٢٣ سبتمبر ١٨١٣ م .

الباشا إلى الحجاز ، فألزم كتخدا بيك السيد محمد المحروقى بتنظيم الفرح والاحتياجات واللوازم ، واتفقوا على أن يكون نصبة الفرح ببركة الأزبكية تجاه بيت حريم الباشا ، وطاهر باشا ، وتعمل الولائم واجتماع المدعوين ببيت طاهر باشا ، والمطبخ بخرائب بيت الصابونجى ، وأرسلوا أوزاق التنابيه للمدعوّين على طبقات الناس بالترتيب ، ونصبوا بوسط البركة عدة صوارى لأجل الوقدات والقناديل التى تعمل عليها التصاوير من القناديل ، فترى من البعد صورة مركب ، أو سبعين متقابلين، أو شجرة أو محمل على جمل، أو كتابة مثل: ما شاء الله ، ونحو ذلك ، وصفوا بوسط البركة عدة مدافع صفين متقابلين، ونصب بهلوان الحبل حبله أوله من تجاه بيت الباشا وآخره برأس المنارة التى جهة حارة الفوالة[1] ، خلف رصيف الخشاب حيث الأبنية المتخربة فى الحوادث الماضية بالقرب من القشلة [2] ، وعمارات محمد باشا خسرو التى لم تكمل ، وبهلوان آخر شامى بالناحية الأخرى ، وانتقل السيد محمد المحروقى من داره إلى بيت الشرايبى تجاه جامع أزبك ، لأجل مباشرة المهمات.

فلما أصبح يوم السبت [3] ، وهو يوم الابتداء ، ودعوة الأشياخ ، رتبوهم فرقتين ، فرقة تأتى ضحوة النهار ، وأخرى بعد العصر ، واجتمع بالأزبكية أصناف أرباب الملاعيب ، والمغزلكين ، والحنبازية ، والحبيظية ، والحواة ، والقرداتية ، والرقاصين ، والبرامكة ، وغير ذلك أصناف وأشكال ، فاحتفلت ، وأقبل من كل ناحية أصناف الناس رجال ونساء ، وأقارب وأباعد ، وأكابر وأصاغر ، وعساكر وفلاحون، ويهود ونصارى وأروام ؛ لأجل التفرج حتى ازدحمت الطرق الموصلة إلى الأزبكية من جميع النواحى، بأصناف الناس الذاهبين والراجعين والمترددين ، واستمر ضرب المدافع من ليلة السبت المذكور إلى ليلة الجمعة التالية[4] الأخرى ليلا ونهاراً ، والحرائق والنفوط ، والسواريخ فى الليل ، ولعبت أرباب الملاعيب ، والبهلوانات على الحبال ، وكذلك احتفل النصارى ، وعملوا وقدات وحراقات تجاه حاراتهم ومساكنهم ، وصادف ذلك عيد الميلاد ، وعملوا لهم مراجيح وملاعيب .

وفى أثناء ذلك ، وقع التنبيه على أصحاب الحرف والصنائع بعمل عربات

---

(١) حارة الفوالة : حارة بشارع البكرى الذى يبتدئ بآخر شارع العتبة الخضراء ، وآخر شارع مشتهر . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٨٧ .

(٢) القشلة : سكنات الجند .

(٣) ٩ محرم ١٢٢٩ هـ / ١ يناير ١٨١٤ م . (٤) ١٥ محرم ١٢٢٩ هـ / ٧ يناير ١٨١٤م

مشكلة ، وممثلة بحرفتهم وصنائعهم ، ليمشوا بهم فى زفة العروس ، فاعتنى أهل كل حرفة وصناعة بتنميق وتزيين شكله ، وتباهوا أو تناظروا وتفاخروا على بعضهم البعض ، فكان كل من سولت له نفسه وحدثه الشيطان بأحداث شيء فعله ، وذهب إلى المتعين لذلك فيعطيهم ورقة ؛ لأن ذلك لم يكن لأناس مخصوصة أو عدد مقدر ، بل بتحكماتهم وإلزام بعضهم البعض ، فيفرض رئيس الحرفة على أشخاص أهلها فرائض ودراهم يجمعها منهم وينفقها على العربة ، وما يلزمها من أخشاب وحبال وحمير أو خيل أو رجال يسحبونها ، وما يكتريه أو يستعيره لزينتها من المزركشات والمقصبات والطلعيات ، وأدوات الصنعة التى تتميز بها عن غيرها ، فتصير فى الشكل كأنها حانوت ، والبائع جالس فيها كالحلوانى ، وأمامه الأوانى فيها أنواع الحلوى والسكرى وحوله أوانى الملبس وأقماع السكر معلقة حوله ، والشربات والشربتلى والعطار ، والحريرى والعقاد البلدى والرومى ، والزيات والحداد والنجار ، والخياط والقزاز ، والحباك ، والنشار وهو ينشر الخشب بمنشاره المعلق ، والطحان والفران ومعه الفرن وهو يخبز فيه ، والفطاطرى والجزار وحوله لحم الغنم ، ومثله جزار الجاموس والكبابجى ، والنيفاوى ، وقلاء الجبن والسمك ، والجيارين والجباسين بالحجر ، والثور يدور به وهو ماش بالعربة ، والبناء والمبلط ، والمبيض للنحاس وللبناء والسمكرى ، تتمته إحدى وتسعون عربة ، وفيهم حتى المراكبى فى قنجة كبيرة كاملة العدة ، والقلوع تمشى على الأرض على العجل ، خلاف أربع عربات المختصة بالعروس.

فلما كان يوم الأربعاء [1] ، سحبوا تلك العربات والجروا بمواكبهم وطبولهم وزمورهم ، وأمام كل عربة أهل حرفتها وصناعها مشاة خلف الطبول والزمور وهم مزينون بالملابس ، وملابسهم الفاخرة وأكثرها مستعارة ، فكانوا ينزلون إلى البركة من ناحية باب الهواء ، ويمرون من تحت بيت الباشا إلى ناحية رصيف الخشاب ، ويأتى كبير الحرفة بورقته إلى المتعين لملاقاتهم ، فينعم عليه بخلعة ودراهم ، فيعطى البعض شال كشميرى وألفين فضة ، والبعض طاقة تفصيلة قطنى أو أربعة أذرع جوخ على قدر مقام الصنعة وأهلها ، واستمر مرورهم من أول النهار إلى بعد الغروب ، واصطفوا بأسرهم عند رصيف الخشاب .

ولما أصبح يوم الخميس [2] ، رتبوا مرور الزفة وعين لترتيبها أشخاصا ومنهم السيد محمد ضرب الشمس ، وهو كبير المنظمين ، وكان خروجها من بيت الحريم ،

---

(1) ١٣ محرم ١٢٢٩ هـ / ٥ يناير ١٨١٤ م . (٢) ١٤ محرم ١٢٢٩ هـ / ٦ يناير ١٨١٤ م .

وهو الذى كان سكن الشيخ خليل البكرى ، وذهبوا وانجروا على طريق الموسكى على تحت الربع إلى باب زويلة ، إلى الغورية ، إلى بين القصرين ، إلى سوق مرجوش ، إلى باب الحديد ، إلى بولاق ، إلى سراية إسماعيل باشا التى جددوها قبلى بولاق قريبا من الشون ، فلم تصل إلى منزلها إلا عند الغروب ، وكان فى أول الزفة طائفة من العسكر الدلاة ، ثم والى الشرطة ، ثم المحتسب ، ثم موكب أغات الينكجرية ، وبعدهم المساخر والنقاقير ، وعدتها عشرة نقاقير ، وعلى كل نقارة تفصيلة ، ثم العربات المذكورة ، وفيها أيضًا تجار الغورية ، وطائفة تجار خان الخليلى فى موكب حفل ، وتجار الحمزاوى من نصارى الشوام وغيرهم ، وكان يوما مشهودا اجتمعت فيه الخلائق للفرجة فى طرقها حتى طريق بولاق ، واكترى الناس الأماكن المطلة على الشارع والحوانيت بأغلى الأثمان ، ولما وصلت العروس إلى قصرها ضربوا عدة مدافع من بولاق والأزبكية والجيزة ، وكان العزم على عمل الهم الثانى ، والابتداء فيه من يوم السبت [1] الذى بعد الجمعة ، فرسموا بتأخيره إلى الجمعة الأخرى [2] ، لتأخر أم العريس ، ومن يصحبها من النساء ، وأقمن ببولاق تلك الجمعة ، واستمرت نصبة الصوارى والحبال والآلات على حالها بالأزبكية .

وفى يوم الأحد سابع عشره [3] ، وصل السيد غالب شريف مكة إلى مصر القديمة ، وقد أتت به السفينة من القلزم إلى مرساة ثغر القصير ، فتلقاه إبراهيم باشا ، وحضر صحبته إلى قنا وقوص [4] ، ثم ركب النيل بمن معه من أولاده وعبيده والعسكر الواصلون صحبته ، وحضر إلى مصر القديمة ، فلما وصل الخبر إلى كتخدا بيك ضربوا عدة مدافع من القلعة إعلاما بوصوله وإكراما على حد قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إنكَ أنتَ العَزِيزُ الكَرِيم ﴾[5] ، وركب صالح بيك السلحدار وأحمد أغا أخو كتخدا بيك فى طائفة لملاقاته ، وإحضاره وهيأوا له مكانا بمنزل أحمد أغا أخى كتخدا بيك ، بعطفة إبن عبدالله بيك بخط السروجية ، ليتزل فيه ، وانتظره الكتخدا هناك ، وصحبته بونابارته الخازندار ، ومحمود بيك ، ومحو بيك ، وإبراهيم أغا أغات الباب ، والسيد محمد المحروقى ، فلما وصل إلى الدار نزل الكتخدا والجماعة ولاقوه عند سلم الركوبة ، وقبلوا يده ، ولزم الكتخدا بيده تحت إبطه حتى صعد إلى محل الجلوس الذى أعدوه له ، واستمر الكتخدا قائما على قدميه حتى أذن له فى

---

(١) ١٦ محرم ١٢٢٩ هـ / ٨ يناير ١٨١٤ م .	(٢) ٢٢ محرم ١٢٢٩ هـ / ١٤ يناير ١٨١٤ م .

(٣) ١٧ محرم ١٢٢٩ هـ / ٩ يناير ١٨١٤ م .

(٤) قوص : مدينة قديمة ، اسمها المصرى (Hat Hor) ، واسمها المدنى (Qst, Qs) ، واسمها القبطى (qous) ، وهى قاعدة مركز قوص ، محافظة قنا .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٨٧ - ١٨٩ .

(٥) سورة : الدخان ، رقم (٤٤) ، آية رقم (٤٩) .

الجلوس هو وباقى الجماعة ، وعرفه الكتخدا عن السيد محمد المحروقى فتقدم وقبل يده ، فقام له وسلم عليه ، وجلس بحذاء الكتخدا ، ليترجم عنه فى الكلام ، ويؤانسوه ويطمنوا خاطره ، ثم إن الكتخدا اعتذر له باشتغاله بأحوال الدولة ، واستأذنه فى الذهاب إلى ديوانه ، وعرفه أن أخاه ينوب عنه فى الخدمة ولوازمه فقبل عذره ، وقام منصرفا هو وباقى الجماعة ، ما عدا السيد محمد المحروقى ، ومحمود بيك ، فإن الكتخدا أمرهما بالتخلف عنده ساعة ، فجلسا معه وتغديا صحبته ومعه أولاده الثلاثة وعبيده ، ثم انصرفا إلى منزلهما ، ولم يأذن الكتخدا لأحد من الأشياخ أو غيرهم من التجار بالسلام عليه والاجتماع به ، والذى بلغنا فى كيفية القبض عليه ، أنه لما ذهب الباشا إلى مكة واستمر هو وابنه طوسون باشا مع الشريف غالب على المصادقة والمسالمة والمصافاة ، وجدد معه العهود والأيمان فى جوف الكعبة بأن لا يخون أحد صاحبه ، وكان الباشا يذهب إليه فى قلة ، وهو الآخر يأتى إليه وإلى ابنه كذلك ، واستمروا على ذلك خمسة عشر يوما من ذى القعدة ، دعاه طوسون باشا إليه ، فأتى إليه كعادته فى قلة ، فوجد بالدار عساكر كثيرة ، فعندما استقر به المجلس وصل عابدين بيك فى عدة وافرة ، وطلع إلى المجلس فدنا منه وأخذ الجنبية من حزامه ، وقال له : « أنت مطلوب للدولة » ، فقال : « سمعا وطاعة ولكن حتى أقضى أشغالى فى ظرف ثلاثة أيام وأتوجه » ، فقال : « لاسبيل إلى ذلك والسفينة حاضرة فى انتظارك » ، فحصل فى جماعة الشريف وعبيده رجة ، وصعدوا على أبراج سرايته وأرادوا الحرب ، فأرسل إليهم الباشا ، يقول لهم : « إن وقع حرب أحرقت البلدة ، وقتلت أستاذكم ، وأرسل لهم أيضًا الشريف يكفهم عن ذلك » ، وكان بها أولاده الثلاثة فحضر إليهم الشيخ أحمد تركى ، وهو من خواص الشريف وخدمهم ، وقال لهم : « لم يكن هناك بأس ، وإنما والدكم مطلوب فى مشاورة مع الدولة ، ويعود بالسلامة ، وحضرة الباشا يريد أن يقلد كبيركم نيابة عن أبيه إلى حين رجوعه » ، ولم يزل حتى انخدع كبيرهم لكلامه ، وقاموا معه فذهب بهم إلى محل خلاف الذى به والدهم محتفظا بهم ، وفى الوقت أحضر الباشا الشريف يحيى ابن سرور وهو ابن أخى الشريف غالب ، وخلع عليه وقلده إمارة مكة ، ونودى فى البلدة باسمه وعزل الشريف غالب حسب الأوامر السلطانية ، واستمر الشريف غالب أربعة أيام عند طوسون باشا ، ثم أركبوه وأصحبوا معه عدة من العسكر ، وذهبوا به وبأولاده إلى بندر جدة ، وأنزلوهم السفينة ، وساروا بها من ناحية القصير من صعيد مصر ، وحضر كما ذكر .

وفى يوم الأربعاء [(١)] ، وصل قاصد من الديار الرومية وعلى يده مثالان ، فعمل كتخدا بيك ديوانا فى صبيحة يوم الخميس حادى عشرينه [(٢)] ، وقرئ ذلك ، وهما مثالان يتضمن أحدهما : التقرير لمحمد على باشا على ولاية مصر على السنة الجديدة ، والثانى : الإخبار والبشارة باستيلاء العثمانيين على بلاد الصرب ، ولما فرغوا من قراءتهما ضربوا عدة مدافع من القلعة ، وفى عصرية ذلك اليوم ، حضر حريم الباشا من بولاق إلى الأزبكية فى عربات ، فضربوا لحضورهنّ مدافع من الأزبكية ، وشرعوا فى عمل المهم الثانى لابنة الباشا على الدفتردار ، وافتتحوا ذلك من ليلة السبت [(٣)] ، على النسق المتقدم ، وعملوا العزائم والولائم واحتفلوا أزيد من المهم الأول ، وأحضروا الشريف غالب وأعدوا له مكانا ببيت الشرايبى على حدتة هو وأولاده ، ليتفرجوا على الملاعيب والبهلوانات نهاراً ، والشنك والحراقات ليلا ، وعلى الشريف وأولاده الحرس ، ولايجتمع بهم أحد على الوجه والصورة التى كانوا عليها بالمنزل الذى أنزلوا فيه ، فلما كان فى يوم الأربعاء [(٤)] ، اجتمع أرباب العربات وأصحابها ، وقد زادوا عن الأولى خمسة عشر عربة ، وفيهم معمل الزجاج ، وباتوا بنواحى البركة على النسق المتقدم ، ونصبوا لهم خياما تقيهم من البرد والمطر ، لأن الوقت شات .

ولما أصبح يوم الخميس [(٥)] ، انجرت العربات وموكب الزفة من ناحية باب الهواء ، على قنطرة الموسكى ، على باب الخرق ، على درب الجماميز ، وعطفوا من الصليبة ، على المظفر ، على السروجية ، على قصبة رضوان بيك ، على باب زويلة ، على شارع الغورية ، على الجمالية ، على سوق مرجوش ، على بين السورين ، على الأزبكية ، على باب الهواء ، إلى المنزل الذى أعدوه لها ، وهو بيت ابنة إسماعيل بيك ، وهى بنت إبراهيم بيك ، وكانت متزوّجة بإسماعيل بيك ، ولما مات تزوّج بها مملوكه محمد أغا ويعرف بالألفى ، وقد تولى أغاوية مستحفظان فى هذه الدولة ، واعتنى بهذه الدار وعمر بها مكانين بداخل الحريم ، وزخرفها ونقشها نقشا بديعا صناعة صناع العجم ، واستمروا فى نقشها سنتين ، ولما ماتت المذكورة فى أوائل هذه السنة [(٦)] ، واستمر هو ساكنا فيها ، وأنزل الباشا عنده القاضى المنفصل عن قضاء مصر المعروف ببهجة أفندى ، وقاضى مكة صادق أفندى ، حين حضر من إسلامبول ، ثم أمره الباشا بالخروج منها وإخلائها ، لأجل أن يسكن بها ابنته هذه

---

(١) ٢٠ محرم ١٢٢٩ هـ / ١٢ يناير ١٨١٤ م .
(٢) ٢١ محرم ١٢٢٩ هـ / ١٣ يناير ١٨١٤ م .
(٣) ٢٣ محرم ١٢٢٩ هـ / ١٥ يناير ١٨١٤ م .
(٤) ٢٧ محرم ١٢٢٩ هـ / ٢١ يناير ١٨١٤ م .
(٥) ٢٨ محرم ١٢٢٩ هـ / ٢٢ يناير ١٨١٤ م .
(٦) أول ١٢٢٩ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٨١٣ م .

المزفوفة ، فخرج منها فى أوائل شوّال [1] ، وكذلك سافر القاضيان إلى الحجاز بصحبة الباشا ، وعند ذلك بيضوها وزادوا فى زخرفتها وفرشوها بأنواع الفرش الفاخرة ، ونقلوا إليها جهاز العروس والصناديق ، وما قدم إليها من الهدايا والأمتعة والجواهر ، والتحف من الأعيان وحريماتهم حتى من نساء الأمراء المصريين المنكوبين ، وقد تكلفوا فوق طاقتهم ، وباعوا واستدانوا وغرموا فى النقوط والتقادم والهدايا فى هذين المهمين ، ما أصبحوا به مجردين ومديونين ، وكان إذا قدّمت إحدى المشهورات منهنّ هديتها ، عرضوها على أم العروسين التى هى زوجة الباشا ، فقلبت ما فيها من المصاغ المجوهر والمقصبات وغيرها ، فإن أعجبتها تركتها وإلا أمرت بردها قائلة هذا مقام فلانة التى كانت بنت أمير مصر أو زوجته ، فتتكلف المسكينة للزيادة ونحو ذلك مع ما يلحقها من كسر الخاطر وانكساف البال ، ثم أدخلوا العروس إلى تلك الدار عندما وصلت بالزفة .

ومما حصل : أنَّه قبل مرور موكب الزفة بيومين ، طاف أصحاب الشرطة ومعهم رجال وبأيديهم مقياس ، فكلما مروا بناحية أو طريق يضيق عن القياس هدموا عارضهم من مساطب الدكاكين أو غيرها من الجهتين ، لاتساع الطريق لمرور العربات والملاعيب وغيرها ، فأتلفوا كثيرا من الأبنية ونودى فى يوم الأربعاء [2] بزينة الحوانيت والطرق التى تمر عليها الزفة بالعروس .

ومما حصل : من الحوادث السماوية أن فى يوم الخميس المذكور [3] عندما توسطت الزفة فى مرورها بوسط المدينة ، أطبق الجوّ بالغيام ، وأمطرت السماء مطرا غزيرا حتى تبحرت الطرق ، وتوحلت الأرض وابتلت الخلائق من النساء والرجال المتجمعين للفرجة ، وخصوصا الكائنين بالسقائف وفوق الحوانيت والمساطب ، وأما المتعينون للمشى فى الموكب ولابد الذين لامفر لهم من ذلك ولامهرب ، فاختل نظامهم ، وابتلت ثيابهم ، وتكدرت طباعهم ، وانتقضت أوضاعهم ، وزادت وساوسهم ، وتلفت ملابسهم ، وهطل الغيث على الإبريسم والحرير والشالات الكرخانة والسليمى والكشمير ، وما زينت به العربات من أنواع المزركش والمقصبات ، ونفذت على من بداخلها من القيان ، والأغانى الحسان ، وكثير من الناس وقع بعدما تزحلق ، وصار ثوبه بالوحل أبلق ، ومنهم من ترك الزفة ، وولى هاربا فى عطفة ، يمسح يديه فى الحيط بما تلطخ بها من الرطيط ، وتعارجت

---

(١) ١ شوال ١٢٢٩ هـ / ١٦ سبتمبر ١٨١٤ م . (٢) ٢٧ محرم ١٢٢٩ هـ / ٢١ يناير ١٨١٤ م .

(٣) ٢٨ محرم ١٢٢٩ هـ / ٢٢ يناير ١٨١٤ م .

الحميـر ، وتعثرت البـياجير ، وانهدم تـنور الزجاج ، ولم يـنفع به العـلاج ، وتلف للناس شيء كثير ، ولايندفع قضاء الله حيلة ولا تدبير ، ولم تصل العروس إلى دارها إلا قبيل دنو الشمـس من غروبها ، وعند ذلك انجلى الجوّ ، وانكـشفت بيوت النوّ ، ووافق ذلك اليوم ثالث عشر طوبة [1] ، من شهور القبط المحـسوبة ، وحصل بذلك الغيث العميم النفع لمزارع الغلة والبرسيم .

وفيه [2] ، وردت مكاتـبات من العقبـة فيها الإخبار بـوصول قافلة الحج صـحبة المحمل ، وأميرها مصطفى بيك دالى باشا .

وفي يوم الجمعة تاسع عشرينه [3] ، وصل كثير من الحـجاج والأتراك وغيرهم ، وردوا في البحر إلى بندر السويس ، ووصل تابـع قهوجى باشا ، وأخبر عنه أنه فارق مخدومه من العقبة ، ونزل في مركب مع أم عابدين بيك ، وحضر إلى السويس .

واستهل شهر صفر بيوم الأحد سنة ١٢٢٩ [4]

مما وقع في ذلك اليوم [5] ، من الحوادث أن صناع البارود والكائنين بباب اللوق ، حملوا نحو عشرة أحمال من الجمال أوعية ملآنة بارود ، وهى الظروف المصنوعة من الجلود التي تسمى البطط ، يريدون بها القلعة ، فمروا من باب الخرق إلى ناحية تحت الربع ، فلما وصلوا تجـاه معمل الشمع وبصحبة الجمال شخـص عـسكرى ، فتشاجر مع الجمال ورد عليه القول ، فحنق منه فضربه بفرد الطبنجة فأصابت إحدى البطط ، فالتهبت بالنـار وسرت إلى باقي الأحمال فالتهب الجميع ، وصـعد إلى عنان السماء ، فاحترقت الـسقيفة المظلة عـلى الشارع ، وما بناحيـتها من البيوت والذى أسـفلها من الحوانيـت ، وكذلك من صادف مـروره في ذلك الوقـت ، واحترق ذلك العـسكرى والجمال فيمن احترق ، واتفق مرور امرأة من النسـاء المحتشمات مع رفيقتها فاحترقت ثيابها مـع رفيقتها ، وذهبت تجرى والنـار ترعى فيها ، وكانت دارها بالـقرب من تلك الناحـية ، فلما وصلـت إلى الدار حتى احتـرق ما عليهـا من الثياب ، واحتـرق أكثر جسدها ، ووصلت الأخرى بعـدها وهى محترقة وعريانة ، فماتت من ليـلتها ولحقتها الأخرى في ضحوة اليوم الثاني [6] ، ومات في هذه الحادثة أكثر مـن المائة نفس مـن رجال ونساء وأطفال وصبيان ، وأما الجمـال فأخذوها إلى بيت أبي الشوارب ، وهى

---

(١) ١٣ طوبه ١٥٣٠ ق / ٢٠ يناير ١٨١٤ م .
(٢) ٢٨ محرم ١٢٢٩ هـ / ٢٠ يناير ١٨١٤ م .
(٣) ٢٩ محرم ١٢٢٩ هـ / ٢١ يناير ١٨١٤ م .
(٤) صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٣ يناير - ٢٠ فبراير ١٨١٤ م .
(٥) ١ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٣ يناير ١٨١٤ م .
(٦) ٢ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٤ يناير ١٨١٤ م .

سود محترقة الجلود ، وفيها من خرجت عينه فإما يعالجوها أو ينحروها ، وكل هذا الذى حصل من الحرق والموت والهدم فى طرفة عين .

وفى ثانيه يوم الإثنين (١) ، وصل مصطفى بيك أمير ركب الحجاج إلى مصر ، وترك الحجاج بالدار الحمراء ، فبات فى داره ، وأصبح عائدا إلى البركة ، فدخل مع المحمل يوم الأربعاء (٢) ، ودخل الحجاج وأتعبهم بحيث إنه أخذ المسافة فى أحد وعشرين يوما ، وسبب حضور المذكور أنه ذهب بعساكره وعساكر الشريف من الطائف إلى ناحية تربة (٣) ، والمتأمر عليها امرأة فحاربتهم وانهزم منها شر هزيمة ، فحنق عليه الباشا وأمره بالذهاب إلى مصر مع المحمل .

وفيه (٤) ، أرسل الباشا يستدعى ثنتين أو ثلاثة عينهم من محاظيه وصحبتهن خمسة من الجوارى السود الأسطاوات فى الطبخ ، وعمل أنواع الفطور فأرسلوهن فى ذلك اليوم إلى السويس ، وصحبتهن نفيسة القهرمانة ، وهى من جواريه أيضًا ، وكانت زوجا لقاضى أوغلى المحتسب الذى مات بالحجاز فى العام الماضى .

وفيه (٥) ، أيضاً وصل حريم الشريف غالب فعينوا له دارا يسكنها مع حريمه جهة سويقة العزى ، فسكنها ومعه أولاده ، وعليهم المحافظون ، واستولى الباشا على موجودات الشريف غالب من نقود وأمتعة ، وودائع ومخبآت ، وشرك وتجارات ، وبن وبهار ، ونقود بمكة وجدة والهند واليمن ، شىء لايعلم قدره إلا الله ، وأخرجوا حريمه وجواريه من سرايته بما عليهن من الثياب بعدما فتشوهن تفتيشا فاحشا ، وهتك حرمته ، قل اللهم مالك الملك ، هذا الشريف غالب انتزع من مملكته ، وخرج من دولته وسيادته ، وأمواله وذخائره ، وانسل من ذلك كله كالشعرة من العجين ، حتى أنه لما ركب وخرج مع العسكر وهم متوجهون به إلى جدة ، أخذوا ما فى جيوبه فليعتبر من يعتبر ، وكل الذى وقع له ، وما سيقع له بعد من التغريب وغيره فيما جناه من الظلم ومخالفة الشريعة والطمع فى الدنيا ، وتحصيلها بأى طريق ، نسأل الله السلامة وحسن العاقبة .

وفى يوم الخميس خامسه (٦) ، طاف الآغا أيضًا بأسواق المدينة ، وأمامه المناداة

---

(١) ٢ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٤ يناير ١٨١٤ م . (٢) ٤ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٦ يناير ١٨١٤ م .

(٣) تربة : قرية من قرى العلا بمنطقة إمارة المدينة .

الجاسر ، حمد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .

(٤) ٢ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٤ يناير ١٨١٤ م . (٥) ٢ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٤ يناير ١٨١٤ م .

(٦) ٥ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٧ يناير ١٨١٤ م .

على أبواب الخانات والوكائل من التجار ، بأنهم لايتعاملون فى بيع البن والبهار إلا بحساب الريال المتعارف فى معاملة الناس ، وهو الذى يصرف تسعين نصفا لأن باعة البن لايسمون فى بيعه إلا الفرانسة ، ولاية يضبون فى ثمنه إلا إياها بأعيانها ، ولايقبلون خلافها من جنس المعاملات ، فيحصل بذلك تعب للمتسببين الفقراء والقطاعين ، ومن يشترى بالقنطار أو دونه ، فبهذه المناداة يدفع المشترى ما يشاء من جنس المعاملات ، قروشا أو ذهبا أو فرانسة أو أى صنف من المعاملات ، ويحسبه المعاملة والريال المعروف بين الناس الّذى صرفه تسعون نصفا فضة ، وإذا سمى سعر القنطار فلا يسمى إلا بهذا الريال ، وهذه المناداة بإشارة السيد محمد المحروقى ، بسبب ما كان يقع من تعطيل الأسباب .

وفيه [1] ، سافر محمود بيك وصحبته المعلم غالى للكشف عن قياس الأراضى البحرية ، التى نزل إليها القياسون بصحبة مباشريهم من النصارى والمسلمين ، من وقت انحسار الماء عن الأراضى ، وانتشروا بالأقاليم البحرية ، وهم يقيسون بقصبة تنقص عن القصبة القديمة .

وفى يوم الاثنين تاسعه [2] ، وصل حريم الشريف غالب من السويس ، فأنزلوهن ببيت السيد محمد المحروقى ، وعدتهن خمسة إحداهن جارية بيضاء ، والأربعة حبشيات ، ومعهن جوارى سود وطواشية ، وحضر إليهم سيدهم وصحبته أحمد أغا أخو كتخدا بيك ، وصحبتهم نحو العشرين نفرا من العسكر ، واستمر الجميع مقيمين بمنزل المذكور ، وهو يجرى عليهم النفقات اللائقة بهم والمصاريف ، وفصل لهم كساوى من مقصبات وكشميرى وتفاصيل هندية .

وفى يوم السبت رابع عشره [3] ، خرج محو بيك إلى ناحية الآثار بعساكره ، ليسافر من ساحل القصير إلى الحجاز باستدعاء الباشا ، فاستمر مقيما هناك عدة أيام لمخالفة الريح ، وارتحل فى أواخره [4] ، وفى أوائل هذا الشهر بل والذى قبله [5] ، عملوا كورنتيلة فى سكندرية ودمياط .

---

(1) ٥ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٧ يناير ١٨١٤ م .
(2) ٩ صفر ١٢٢٩ هـ / ٣١ يناير ١٨١٤ م .
(3) ١٤ صفر ١٢٢٩ هـ / ٥ فبراير ١٨١٤ م .
(4) آخر صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٠ فبراير ١٨١٤ م .
(5) ١ صفر ١٢٢٩ هـ / ٢٣ يناير ١٨١٤ م .

واستهل شهر ربيع الأول ١٢٢٩ (١)

فيه (٢) ، رجع محمود بيك والمعلم غالى من سرحتهما .

وفيه (٣) ، انتقل الشريف غالب بعياله من بيت السيد محمد المحروقى إلى المنزل الذى أعدوه له ، وهو بيت لطيف باشا بسويقة العزى بعد ما أصلحوه وبيضوه وأسكنوه به ، وعليه اليسق والعسكر الملازمون لبابه .

وفيه (٤) ، أبرز كتخدا بيك فرمانًا وصل إليه من الباشا ، يتضمن ضبط جميع الالتزام لطرف الباشا ، ورفع أيدى الملتزمين عن التصرف ، بل الملتزم يأخذ فائظه من الخزينة ، فلما أشيع ذلك ضج الناس وكثر فيهم اللغط ، واجتمعوا على المشايخ ، فطلعوا إلى كتخدا بيك وسألوه ، فقال : « نعم ورد من أفندينا أمر بذلك ، ولا يمكنني مخالفته » ، فقالوا له : « كيف تقطعون معايش الناس وأرزاقهم ، وفيهم أرامل وعواجز وللواحدة قيراط أو نصف قيراط يتعيشن من إيراده ، فينقطع عنهن » فقال : « يأخذن الفائظ من الخزينة العامرة » ، فرادوه وناقشوه وهو يهون ويقرب ويبعد إلى أن قالوا له : « نكتب للباشا عرضحالا وننتظر الجواب » ، فأجابهم إلى ذلك من باب المسايرة وفك المجلس ، وشرع الشيخ المهدى فى ترصيف العرضحال ، فكتبوه وختموا عليه بعد امتناع البعض الذى ليس له التزام ، وكثر اللغط فيهم بسبب ذلك .

وفى خامسه (٥) ، حضر جمع كثير من النساء الملتزمات إلى الجامع الأزهر ، وصرخوا فى وجوه الفقهاء ، وأبطلوا الدروس وبددوا محافظهم وأوراقهم ، فتفرقوا وذهبوا إلى دورهم ، وكان قد اجتمع معهم الكثير من العامة ، واستمروا فى هرج إلى بعد العصر ، ثم جاءهم من يقول لهم كلاما كذبا سكن به حدتهم ، فانفض الجمع ، وذهب النساء وهن يقلن نأتى فى كل يوم على هذا المنوال حتى يفرجوا لنا عن حصصنا ومعايشنا وأرزاقنا ، وفى ظن الناس وغفلتهم أن فى الإناء بقية ، أو أنهم يدفعون الرزية ، وما علموا أن البساط قد انطوى ، وكل قد ضل وأضل وغوى ، ومال عن الصراط واتبع الهوى ، وكلب الجور قد كشر أنيابه وعوى ، ولم يجد له طاردا ولا معارضا ولا معاندا ، ولما وصل الخبر إلى كتخدا بيك ، طلب بعض المشايخ ، وقال له : « ما خبر هذه الجمعية بالأزهر » ، فقال له : « بسبب ما

---

(١) ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢١ فبراير - ٢٢ مارس ١٨١٤ م .
(٢) ١ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢١ فبراير ١٨١٤ م . (٣) ١ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢١ فبراير ١٨١٤ م .
(٤) ١ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢١ فبراير ١٨١٤ م . (٥) ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢٥ فبراير ١٨١٤ م .

بلغهم عن قطع معاشهم » ، قال : « ومن قطع معاشهم ، وإنما أنتم الذين تسلطونهم على هذه الفعال لأغراضكم ، ولابد أنى أستخبر على من أغراهم وأخرج من حقه » ، وطلب على أغا الوالى ، وقال له : « أخبرنى عن هؤلاء النساء من أى البيوت » ، فقال : « وما علمى ومن يميزهن وغالبهن وأكثرهن نساء العساكر ، ولا قدرة لى على منعهن » ، وانفض المجلس ، وبردت همتهم وانكمشوا وشرعوا فى تنفيذ ما أمروا به وترتيبه وتنظيمه .

وفيه [١]، حضر محمود بيك والمعلم غالى فأقاما أياما وسافرا فى ثالث عشره [٢].

وفيه[٣] ، أحضروا حسن أغا محرم المعروف بنجاتى من إقليم المنوفية وهو مريض وتوفى فى ثانى يوم [٤] ودفن .

وفى خامس عشره [٥] ، مر الأغا والوالى وأغات التبديل ، وهم يأمرون الناس بكنس الأسواق ورشها حالا فى ذلك الوقت من غير تأخير فابتدر الناس ، ونزلوا من حوانيتهم وبأيديهم المكانس يكنسون بها تحت حوانيتهم ثم يرشونها .

وفى تاسع عشره [٦] ، حضر الشريف عبد الله ابن الشريف سرور ،أرسله الباشا إلى مصر من ناحية القصير منفيا من أرض الحجاز ، فأنزلوه بمنزل أحمد أغا أخى كتخدا بيك محجورا عليه ، ولم يجتمع بعمه ولم يره .

وفيه [٧] ، كثر الطلب للريال الفرانسة بسبب احتياج دار الضرب ، وما يرسل إلى الباشا من ذلك ، وألزموا التجار بإحضار جملة من ذلك ، ويأخذون بدلها قروشا ، فوزعوا مقادير على أفرادهم بما يحتمله ، وجمعوا ما قدروا عليه منها .

وفيه [٨] ، شنق شخص يسمى صالح عند باب زويلة ، واستمر معلقا يومين ، وسبب ذلك أنه يدعي الجذب والولاية ، وتزوّج بامرأة وأخذ متاعها ومالها ، وحصل لها خلل فى عقلها ، فأنهوا أمره إلى كتخدا بيك فأمر بحبسه ، واستخلصوا منه جانبا مما أخذه من متاع المرأة ، وكثر كلام الناس فى حقه فأمر الكتخدا بشنقه .

وفى أواخره [٩] ، حضر إبراهيم بيك ابن الباشا من الجهة القبلية ، ونزل بالبيت

(١) ٥ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢٥ فبراير ١٨١٤ م .
(٢) ١٣ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٤ مارس ١٨١٤ م .
(٣) ٥ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢٥ فبراير ١٨١٤ م .
(٤) ٦ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢٦ فبراير ١٨١٤ م .
(٥) ١٥ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٦ مارس ١٨١٤ م .
(٦) ١٩ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ١٠ مارس ١٨١٤ م .
(٧) ١٩ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ١٠ مارس ١٨١٤ م .
(٨) ١٩ ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ١٠ مارس ١٨١٤ م
(٩) آخر ربيع الأول ١٢٢٩ هـ / ٢٢ مارس ١٨١٤ م .

الذى اشتراه بناحية الجمالية بدرب المسمط [١] ، وهو بيت أحمد بن محرم .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الأربعاء سنة ١٢٢٩ [٢]

وفى ليلة الإثنين سادسه [٣] ، حضر ميمش أغا من ناحية الحجاز ، مرسلا من عند الباشا باستعجال حسن باشا للحضور إلى الحجاز ، وكان قبل ذلك بأيام ، أرسل بطلب سبعة آلاف عسكرى ، وسبعة آلاف كيس ، فشرع كتخدا بيك فى استكتاب أشخاص من أخلاط العالم ما بين مغاربة وصعايده وفلاحى القرى ، فكان كل من ضاق به الحال فى معاشه يذهب ويعرض نفسه ، فيكتبونه وإن كان وجيها جعله أميرا على مائة أو مائتين ، ويعطيه أكياسا يفرقها فى أنفاره ، ويشترى فرسا وسلاحا ، ويتقلد بسيف وطبنجات ، وكذلك أنفاره ، ويلبسون قناطيش ولباسا مثل لبس العسكر ، ويعلق له وزنة بارود تحت إبطه ، ويأخذ على كتفه بندقية ويمشون أمام كبيرهم مثل الموكب ، وفيهم أشخاص من الفعلة الذين يستعملون فى شيل التراب والطين فى العمائر وبرابرة ، وأرسل الكتخدا إلى الفيوم وغيرها بطلب رجال من أمثال ذلك ، وجمعوا الكثير من أرباب الصنائع مثل : الخبازين ، والفرانين ، والنجارين ، والحدادين ، والبياطرة ، وغيرهم من أرباب الصنائع ، ويسحبونهم قهرا ، فأغلق الفرانون مخابزهم ، وتعطل خبيز خبز الناس أياما .

وفيه [٤] ، ورد الطلب لحسن باشا ، فشرع فى تشهيل أحواله ولوازم سفره ، ثم حضر ميمش أغا باستعجاله واستعجال المطلوبات من الأموال وغيرها .

وفيه [٥] ، قبضوا على اليهود الموردين الذين يوردون الذهب والفضة لدار الضرب ، بسبب إحضار الفرانسة ، وقد قلت بأيدى الناس جدا لكثرة أخذها والطلب لها ، وانقطاع مجيئها من بلادها ، فحبسوهم وضربوهم ، ونزلوا فى أسوأ حال متحيرين ، وذلك أنَّ راتب الضربخانة سبعة آلاف فى كل يوم ، عنها ثلاثة وستون ألف درهم ، وقدرها ثلاث مرات من النحاس ، يضربون ذلك قروشا ، حتى بلغ سعر النحاس القراضة مائة وعشرين نصفا فضة .

---

(١) درب المسمط : درب كان معروفا بالجمالية .

(٢) ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٢٣ مارس - ٢٠ أبريل ١٨١٤ م .

(٣) ٦ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٢٨ مارس ١٨١٤ م .

(٤) ٦ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٢٨ مارس ١٨١٤ م .

(٥) ٦ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٢٨ مارس ١٨١٤ م .

وفى تاسعه [1] ، حضر محمود بيك الدويدار والمعلم غالى من سرحتهما إلى مصر ، وهما المتأمران على مباشرة قياس الأراضى ، وتشهيل المال المفروض ، وسبب حضورهما أنَّ إبراهيم باشا أرسل بطلبهما للحضور ، ليتشاور معهما فى أمر ، فأقاما أربعة أيام وعادا راجعين إلى شغلهما .

وفى منتصفه [2] ، سافر إبراهيم باشا عائدا إلى أسيوط ، وذهب صحبته أخوه إسماعيل باشا والبيكات الصغار خوفا وهروبا من الطاعون .

وفيه [3] ، كمل تعمير الجامع الذى عمره دبوس أوغلى الذى بقرب داره التى بغيط العدة [4] ، وهو جامع جوهر العينى [5] ، وكان قد تخرب فهدمه جميعه ، وأنشأه وزخرفه ونقل لعمارته أنقاضا كثيرة ، وأخشابا ورخاما من بيت أبى الشوارب ، وعمل به منبرا بديع الصنعة ، واستخلص جهة أوقافه أطيانا وأماكن من واضعى اليد .

وفيه [6] ، أرسلوا جملة أخشاب إلى الحجاز مطلوبة إلى الباشا .

وفيه [7] ، أيضًا نادوا على سكان الجيزة بالخروج منها بعد عصر يوم السبت [8] ، ومن لايريد الخروج فلا يخرج بعد ذلك ، ومن خرج فلا يدخل ، وأمهلوهم إلى الغروب ، فخرجوا بأمتعتهم وأطفالهم وأولادهم وأوانيهم إلى خارج البلدة ، وبات الأكثر منهم تحت السماء لضيق الوقت على الرحيل إلى بلدة أخرى ، وخرج أيضًا الكثير من عساكرهم وأتباعهم ممن لايريد المقام والحبس ، فكانوا كلما وجدوا من حمل متاعه من أهل البلدة على حمار ليذهب إلى جهة يستقر بها ، رموا به إلى الأرض ، وأخذوا الحمار ، وحصل لأهل الجيزة فى تلك الليلة ما لامزيد عليه من الكرب والجلاء عن أوطانهم ، وكل ذلك مجرد وهم ، مع قلة وجود الطعن ، إلاَّ النزر اليسير .

وفى ثالث عشرينه [9] ، سافرت خزينة المال المطلوبة إلى الباشا إلى جهة

---

(١) ٩ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٣١ مارس ١٨١٤ م . (٢) ١٥ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٦ أبريل ١٨١٤ م .

(٣) ١٥ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٦ أبريل ١٨١٤ م .

(٤) غيط العدة : شارع قديم ، يبدأ من آخر شارع باب الخرق بجوار مسجد السلطان شاه ، وانتهاؤه أول شارع الجيزة تجاه شارع عابدين ، وبه عدة حارات وعطف وأضرحة .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢١٢ - ٢٢٠ .

(٥) جامع جوهر العينى : يقع فى حارة غيط العدة ، أنشأه الأمير جوهر العينى الحبشى كمدرسة ، وقرر بها مدرسا وقارئا للبخارى ، ثم تخربت إلى أن عمَّرها الأمير محمد بيك دبوس أوغلى ، وجعلها جامعا بمنبر.

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ١٦١ .

(٦) ١٥ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٦ أبريل ١٨١٤ م . (٧) ١٥ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٦ أبريل ١٨١٤ م .

(٨) ١٨ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ٩ أبريل ١٨١٤ م . (٩) ٢٣ ربيع الثانى ١٢٢٩ هـ / ١٤ أبريل ١٨١٤ م .

السويس ، وأصحبوا معها علة كبيرة من عسكر الدلاة لخفارتها ، وقدرها ألفان وخمسمائة كيس جميعها قروش .

شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٩ (١)

استهل بيوم الجمعة (٢) .

في ثالثه (٣) ، خرج حسن باشا بعساكره ونزل بوطاقه وخيامه التي نصبت له بالعادلية قبل خروجه بيومين .

وفي رابعه (٤) ، وصلت هجانة من ناحية الحجاز بطلب حسين بيك دالي باشا ، وأخشاب واحتياجات وجمال ، والذي أخبر به المخبرون عن الباشا وعساكره ، أنّ طوسون باشا وعابدين بيك ركبوا بعساكرهم على ناحية تربة التي بها المرأة التي يقال لها غالية ، فوقعت بينهم حروب ثمانية أيام ، ثم رجعوا منهزمين ، ولم يظفروا بطائل ، ولأن العربان نفرت طباعهم من الباشا ، لما حصل منه في حق الشريف من القبض عليه ، وهاجر الكثير من الأشراف ، وانضموا إلى الأخصام ، وتفرقوا في النواحي ، ومنهم شخص يقال له الشريف راجح ، فأتى من خلف العسكر ، وقت قيام الحرب ، وحاربهم ونهب الذخيرة والأحمال ، وقطع عنهم المدد ، وأخبروا أنّ الجمال قل وجودها عند الباشا ، ويشتريها من العربان المسالمين له بأغلى ثمن ، وأخبروا أيضًا أنه واقع بالحرمين غلاء شديد لقلة الجالب ، واحتكار الباشا للغلال الواصلة إليه من مصر ، فيبيعه حتى على عسكره بأغلى ثمن ، مع التحجير على المسافرين والحجاج في استصحابهم شيئًا من الحب والدقيق ، فيفتشون متاعهم في السويس ، ويأخذون ما يجدونه معهم مما يتزودون به في سفرهم من القمح أو الدقيق ، وما يكون معهم من الفرانسة لنفقتهم ، وأعطوهم بدلها من القروش .

وفيه (٥) ، بلغ صرف الريال الفرانسة من الفضة العددية ثمانمائة وعشرين نصفا ، عنها ثمانية قروش ، والمشخص عشرون قرشا ، وقل وجود الفرانسة ، والمشخص بل والمحبوب المصري بأيدي الناس جدا ، ثم نودي على أن يصرف الريال بسبعة قروش ، والمشخص بستة عشر قرشا ، وشددوا في ذلك ، ونكلوا بمن يخالف ذلك ، وعاقبوا من زاد على ذلك في قبض أثمان المبيعات ، وأطلقوا في الناس

---

(١) جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٢١ أبريل - ٢٠ مايو ١٨١٤ م .

(٢) ١ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٢١ أبريل ١٨١٤ م . (٣) ٣ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٢٣ أبريل ١٨١٤ م .

(٤) ٤ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٢٤ أبريل ١٨١٤ م . (٥) ٤ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٢٤ أبريل ١٨١٤ م .

جواسيس وعيونا ، فمن عثروا عليه فى مبيع أو غيره أنه قبض بالزيادة ، أحاطوا به ، وأخذوه وعاقبوه بالحبس والضرب والتغريم ، وربما أرسلوا من طرفهم أشخاصًا متنكرين يأتى أحدهم للبائع فيساومه السلعة كأنه مشتر ، ويدع له فى ضمن الثمن ريالا أو مشخصا ، ويحسبه بحسابه الأول ويناكره فى ذلك ، فربما تجاوز البائع خوفا من بوار سلعته ، وخصوصا إذا كانت البيعة رابحة أو بيعة استفتاح على زعم الباعة ، وقلة الزبون بسبب وقف حال الناس أو إفلاسهم ، فما هو إلا أن يتباعد عنه يسيرا ، فما يشعر إلا وهو بين يدى الأعوان ويلاقى وعده .

وفى منتصفه [١] ، وصلت قافلة من السويس وفيها جملة من العسكر المتمرضين، ونحو العشرة من كبارهم نفاهم الباشا إلى مصر ، وفيهم حجو أوغلى ودالى حسن وعلى أغا درمنلى ، وترجو وحسن أغا أزرجنلى ومصطفى ميسو وأحمد أغا قنبور .

وفيه [٢] ، أيضًا خرج عساكر المغاربة ومن معهم من الأجناس المختلفة إلى مصر العتيقة ، ليذهبوا من ناحية القصير إلى الحجاز ، وأما محو بيك فإنه لم يزل بقنا لقلة المراكب بالقصير التى تحملهم إلى الحجاز .

وفى سادس عشره [٣] ، وصلت قافلة وفيها أنفار من أهل مكة والمدينة ، وسفار وبضائع تجارة بن وأقمشة وبياض شىء كثير ، وقد أتت إلى جدة من تجارات الشريف غالب ، ولم يبلغهم خبر الشريف غالب ، وما حصل له ، فلما حضروا وضع الباشا يده عليه جميعه وأرسله إلى مصر ، فتولى ذلك السيد محمد المحروقى ، وفرقها على التجار بالثمن الذى قدره عليهم ، وألزمهم أن لايدفعوه إلا فرانسة .

وفى هذا الشهر [٤] ، وصل الخبر بموت الشيخ مسعود كبير الوهابية ، وتولى مكانه ابنه عبدالله .

وفيه [٥] ، خرج طائفة الكتبة والأقباط والروزنامجى والجاجرتية ، وذهب الجميع إلى جزيرة شلقان ، ليحرروا دفاتر على الروك الذى راكوه من قياس الأراضى وزيادة الأطيان ، وجفل الكثير من الفلاحين وأهالى الأرياف ، وتركوا أوطانهم وزروعهم ، وهالهم هذا الواقع لكونهم لم يعتادوه ويألفوه ، وباعوا مواشيهم ودفعوا أثمانها فى الذى طلع عليهم فى الزيادات الهائلة ، وسيعودون مثل الكلاب ، ويعتادون سلخ

(١) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٥ مايو ١٨١٤ م . (٢) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٥ مايو ١٨١٤ م .
(٣) ١٦ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٦ مايو ١٨١٤ م .
(٤) جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٢١ أبريل - ٢٠ مايو ١٨١٤ م .
(٥) جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٢١ أبريل - ٢٠ مايو ١٨١٤ م .

الإهاب ، وأما الملتزمون فبقوا حيارى باهتين ، وارتفع أيدى تصرفهم فى حصصهم ، ولايدرون عاقبة أمرهم ، منتظرين رحمة ربهم ، وآن وقت الحصاد وهم ممنوعون عن ضم زرع وساياهم إلى أنْ أذن لهم الكتخدا بذلك ، وكتب لهم أوراقا ، وتوجهوا بأنفسهم أو بمن ينوب عن مخدومه ، وأراد ضم زرعه ، ولم يجد من يطيعه بهم ، وتطاولوا عليهم بالألسنة ، فيقول الحرفوش منهم إذا دعى للشغل بأجرته : « روح انظر غيرى أنا مشغول فى شغلى ، أنتم إيش بقالكم فى البلاد ، قد انقضت أيامكم ، إحنا صرنا فلاحين الباشا » ، وقد كانوا مع الملتزمين أذل من العُبَيد المشترى ، فربما أن العبد يهرب من سيده إذا كلفه فوق طاقته أو أهانه بالضرب ، وأما الفلاح فلا يمكنه ولايسهل به أنْ يترك وطنه وأولاده وعياله ويهرب ، وإذا هرب إلى بلدة أخرى ، واستعلم أستاذه مكانه ، أحضره قهرا ، وازداد ذلا ومقتا وإهانة ، وكان من طرائقهم أنَّه إذا آن وقت الحصاد والتخضير ، طلب الملتزم أو قائم مقامه الفلاحين ، فينادى عليهم الغفير أمس اليوم المطلوبين فى صبحه بالتبكير إلى شغل الملتزم ، فمن تخلف لعذر أحضره الغفير أو المشد وسحبه من شنبه ، وأشبعه سبا وشتما وضربا ، وهو المسمى عندهم بالعونة ، والسخرة ، واعتادوا ذلك يرونه من اللازم الواجب ، وهذا خلاف ما يلقونه من الإذلال والتحكم من مشايخهم ، والشاهد والنصرانى الصراف ، وهو العمدة والعهدة خصوصا عند قبض المال ، فيغالطهم ويناكرهم ، وهم له أطوع من أستاذهم وأمره نافذ فيهم ، فيأمر قائمقام بحبس من شاء أو ضربه محتجا عليهم ببواقى لايدفعها ، وإذا غلّق أحدهم ما عليه من المال الذى وجب عليه فى قائمة المصروف ، وطلب من المعلم ورده ، وهى ورقة الغلاق ، وعده لوقت آخر حتى يحرر حسابه ، فلا يقدر الفلاح على مرادّدته خوفا منه ، فإذا سأله من بعد ذلك ، قال له بقى عليك حبتان من فدان أو خروبتان أو نحو ذلك ، ولايعطيه ورقة الغلاق حتى يستوفى منه قدر المال أو يصانعه بالهدية والرشوة وغير ذلك ، أمور وأحكام خارجة عن إدراك البهيمية فضلا عن البشرية كالشكاوى ونحوها ، وذلك كما إذا تشاجر أحدهم مع آخر على أمر جزئى بادر أحدهم بالحضور إلى الملتزم ، وتمثل بين يديه قائلا أشكو إليك فلانا بمائة ريال مثلا ، فبمجرد قوله ذلك يأمر بكتابة ورقة خطابا إلى قائمقام أو المشايخ بإحضار ذلك الرجل المشتكى ، واستخلاص القدر الذى ذكره الشاكى قليلا أو كثيرا ، أو حبسه وضربه حتى يدفع ذلك القدر ، ويرسل الورقة مع بعض أتباعه ويكتب بهامشها كراء طريقه قليلا أو كثيرا ، ويسمونه حق الطريق ، فعند وصوله أول شىء يطالب به الرجل حق الطريق المعين ، ثم الشكوى ، فإن بادر ودفعها وإلا حبس ، أو حضر به المعين إلى بيت

أستاذه، فيوعده الحبس ويعاقبه بالضرب ، حتى يوفى القدر الذى تلفظ به الشاكى ، وإن تأخر عن حضوره أو حضور المعين أردف بآخر ، وحق طريق الآخر كذلك ، ويسمونها الإستعجالة وغير ذلك ، أحكام وأمور غير معقولة المعنى قد ربوا عليها واعتادوها لايرون فيها بأسا ولا عيبا ، وقد سلط الله على هؤلاء الفلاحين - بسوء أفعالهم وعدم ديانتهم وخيانتهم ، وإضرارهم لبعضهم البعض - من لايرحمهم ولايعفو عنهم ، كما قال فيهم البدر الحجازى :

وسَبْعَةٌ بالفلح قَدْ أنزلَت	لما حَوَوْه من قبيح الفعال
شيوخُهم أستاذُهم والمشَدُّ	والقتل فيما بينهم والقتال
مَع النصَارى كاشفُ الناحية	وزِدْ عليها كَدّهم فى اشتغال
وفقرُهم مَا بين عينيهم	مع اسْوَدادِ الوجْهِ هذا النكال

وإذا التزم بهم ذو رحمة ازدروه فى أعينهم واستهانوا به وبخدمه ، وماطلوه فى الخراج ، وسموه بأسماء النساء ، وتمنوا زوال التزامه بهم وولاية غيره من الجبارين الذين لايخافون ربهم ولايرحمهم ، لينالوا بذلك أغراضهم بوصول الأذى لبعضهم ، وكذلك أشياخهم إذا لم يكن الملتزم ظالما يتمكنون هم أيضًا من ظلم فلاحيهم ، لأنهم لم يحصل لهم رواج إلا بطلب ألملتزم الزيادة والمغارم ، فيأخذون لأنفسهم فى ضمنها ما أحبوا وربما وزعوا خراج أطيانهم وزراعاتهم على الفلاحين ، وقد انخرم هذا الترتيب بما حدث فى هذه الدولة من قياس الأراضى والفدن ، وما سيحدث بعد ذلك من الإحداثات التى تبدو قرائنها شيئًا بعد شيء

وفى ثانى عشرينه (١) ، برّز حسن بيك دالى باشا خيامه إلى خارج باب النصر ، وخرج هو فى ثانى يوم (٢) ، فى موكب ونزل بوطاقه ليتوجه إلى الحجاز على طريق البر .

وفى ليلة الأربعاء سابع عشرينه (٣) ، قبل الغروب بنحو نصف ساعة وصل جراد كثير مثل الغمام ، وصار يتساقط على الدور والأسطحة والأزقة مثل الغمام ، وأفسد كثيرا من الأشجار ، وانقطع أثره فى ثانى يوم (٤) .

(١) ٢٢ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ١٢ مايو ١٨١٤ م .
(٢) ٢٣ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ١٣ مايو ١٨١٤ م .
(٣) ٢٧ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ١٧ مايو ١٨١٤ م .
(٤) ٢٨ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ١٨ مايو ١٨١٤ م .

وفى يوم الاثنين عاشره [١] ، ارتحل حسن باشا من ناحية الشيخ قمر إلى بركة الحج .

وفى منتصفه [٢] ، حضر الروزنامجى والأفندية بعد أن استملى منهم القبط الدفاتر وأسماء الملتزمين ومقادير حصصهم ، ثم حضر محمود بيك والمعلم غالى ومن معهم من الكتبة الأقباط ، وظهر للناس عند حضورهم نتيجة ما صنعوه ونظموه ورتبوه من قياس الأراضى ، وروك البلاك ، وهو أن الأراضى زادت فى القياس بالقصبة التى قاسوا بها ، وحددوها مقدار الثلث أو الربع حتى قاسوا الرزق الأحباسية بأسماء أصحابها ومزارعيها وأطيان الوسايا على حدتها حتى الأجران ، وما لايصلح للزراعة ، وما يصلح من البور الصالح وغير الصالح ، فلما تم ذلك حسبوها بزياداتها بالأفدنة ، ثم جعلوها ضرائب منها : ضريبة خمسة عشر ريالا ، وأربعة عشر ، واثنى عشر ، وأحد عشر ، وعشرة ، مال الفدان بحسب جودة الإقليم والأرض ، فبلغ ذلك مبلغا عظيما بحيث إن البلدة التى كانت يفرض عليها فى مغارم الفرض التى كانوا فرضوها قبل ذلك فى سنيهم الماضية ، ويتشكى منها الفلاحون والملتزمون ويستغيثون ، ويبقى منها بواقى ويعجزون عنها ألف ريال ، طلع عليها فى هذه اللفة عشرة آلاف ريال إلى مائة ألف وأقل وأكثر ، وأحضر الكتخدا إبراهيم أغا الرزاز والشيخ أحمد يوسف وخلع عليهما خلعتين ، وجعلوا لهما ديوانا خاصا لمن يلتزم بالقدر الذى تحرر على حصته التى فى تصرفه ، فيعطونه ورقة تصرف ويكتب على نفسه وثيقة بأجل معلوم ، ويقوم بدفع ذلك ، ويتصرف فى حصته بشرط أن لايكون له إلا أطيان الأوسية إن شاء زرعها وأخذ غلتها ، وإن شاء أجرها لمن شاء ، وليس له من مال الخراج إلا المال الحر المعين بسند الديوان المعروف بالتقسيط ، وما زاد فى قياس الأرض من طين الفلاحة والأوسية فهو للميرى قل أو كثر ، وأما الرزق الأحباسية المرصدة على البر والصدقة ، ولأهل المساجد والأسبلة والمكاتب والخيرات ، فإنهم مسحوها بقياسهم فما وجدوه زائدا عن الحد الأصلى ، جعلوه للديوان ، وما بقى قيدوه وحرروه باسم واضع اليد عليها ، واسم واقفها وزارعها أو ما يمليه المزارع الحاضر وقت القياس، وسؤال المباشرين، وقرروا عليها المال مثل ضريبة البلد ، فإن أثبتها صاحبها وكان بيده سند جديد من أيام الوزير وشريف أفندى ، وما بعده على سبقه لوقت تاريخه ، قيدوا له نصف مال تآجرها ، والنصف الثانى الباقى

---

(١) ١٠ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ١ مايو ١٨١٤ م .
(٢) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٥ مايو ١٨١٤ م .

للديوان ، ورسموا لكاتب الرزق أن يعمل ديوانـا لذلك ومعه عدة من الكتبة ، ويأتى إليه الـناس بأوراق سنداتـهم ، فمن وجد بـيده سندا جـديدا ، كتب له صـورة قيد الكشف بموجب ما هـو بدفتره فى ورقة ، فيذهب بها إلى الديوان فـيقيدون ذلك بعد البحث والتعنت من الطرفين ، ويقع الاشتباه الكثير فى أسماء أربابها وأسماء حيضانها وغيطـانها ، فيكلـفون صاحب الحاجـة بإثبات ما ادعـاه ، ويكتب له أوراقا لمشايخ الناحية وقاضيها بإثبات ما يدعيه ، ويعود مـسافرا ويقاسى ما يقاسيه من مشقة السفر والمصرف ومعاكسة المشايخ وقاضى الناحية ، ثم يعود إلى الديوان بالجواب ، ثم يمكن الاحتجاج علـيه بحجـة أخرى ، وربمـا كان سعيه وتعبه عـلى فدان واحد أو أقل أو أكثر ، وازدحم الناس على بيت كاتب الـرزق ، وانفتح له بذلك باب ، لأنه لايكتب كشفا حتى يأخذ عـليه دراهم تعينت على قدر الأفدنة ، وأضاع الـكثير من الناس ما تلقوه عن أسـلافهم ، وما كانوا يرتزقون مـنه ، وأهملوا تجديد السـندات ، واتكلوا على ما بـأيديهـم من السـندات القديمة لجهـلهم ، أو ظنهم انقـضاء الأمر وعدم دوام الحال ، وتغـير الدولة ، وعـود النسق الأوّل ، أو لـفقرهم وعـدم قدرتهم عـلى ما ابتدعوه من كثرة المصاريف التى تصرف على تجديد السند ، واشتغال مال الحماية التى قدرها شـريف أفندى علـى أراضى الرزق عن كل فـدان عشرة أنصاف أو خـمسة ، فكثـير من الناس استـعظم ذلك ، واعتمـد على أوراقه القديمـة فضاعت عليه رزقته وانحلت وأخذها الغير، والذى لم يرض بالتوت بل ولا حصل حطبه رضى بالولاش، وكان الشأن فـى أمر الرزق أن أراضيها تزيـد عن موقوع أراضى البلاد زيـادة كثيرة ، وخراجها أقل من خراج أراضى البلاد الذى يقال له المال الحر الأصلى ، وليس عليها مصاريـف ولا مغـارم ولا تكالـيـف ، فالمزارع مـن الفلاحين إذا كان تحت يـده تآجر رزقة أو رزقتين ، فإنه يكون مغبوطا ومحسودا فى أهل بلده ، ويدفع لصاحب الأصل القدر النزر ، والمزارع يتلقى ذلك سلفا عن خلف ، ولايقدر صاحب الأصل أن يزيد عليه زيـادة ، وخصوصا إذا كانت تحت يد بـعض مشايخ البلاد ، فـلا يقدر أحد أن يتعـدى عليه مـن الفلاحـين ، ويستأجرهـا من صاحبهـا ، وإنْ فعل لايقـدر على حمايتها ، والكـثير مـن الرزق واسـعة القياس وجدوا مالها قـليل جدا وخصوصا فى الأراضى القبلية ، فإن غالبها رزق وشراوى ومتأخرات لم تمسح ولم يعلم لها فدادين ولا مقادير، وقد تزيد أيضًا بانحسار البحر عن سواحلها، وكذلك فى البلاد البحرية، ولكن دون ذلك ، ومعظـم أراضى الرزق القبلية مرصدة علـى جهات الأوقاف بمصر وغيرها ، والواضـعون أيديهم عليها لايدفـعون لجهاتها ولا لمستحقـيها ، إلا ما هو مرتب ومقرر من الزمـن الأوّل السابق ، وهو شىء قليل ، وليتهـم لو دفعوه فإن فى

أوقاف السلاطين المتقدمة القطعة من الأراضى التى عبرتها أكثر من ألف فدان ، وخراجها خمسون زكيية والزكيية خمس ويبات ، أو من الدراهم ألفان فضة وأقل وأكثر ، وهى تحت يد بعض كبراء البلاد يزرعها ويأخذ منها الألوف من الأرادب من أجناس الغلال ، ويضن ويبخل بدفع ذاك القدر اليسير لجهة وقفه ، ويكسر السنة على السنة ، فإن كانت يد صاحب الأصل قوية ، أو كان واضع اليد فيه خيرية – وقليل ما هم – دفع لأربابها ثمنها بعد أن يرد الخمسين إلى الأربعين بالتكسير والخلط ، ثم يبخس الثمن جداً ، فإن كان ثمن الأردب أربعمائة حسبه بأربعين نصفا أو أقل ، فيعود ثمن الخمسين زكيية إلى ثمن زكيتين وقس على ذلك ، والذى يكون تحت يده شىء من أطيان هذه الأوقاف ، وورثها من بعده ذريته فزرعوها وتقاسموها معتقدين ملكيتها تلقوها بالإرث من مورثهم ، ولايرون أن لأحد سواهم فيها حقا ، ولايهون بهم دفع شىء لأربابه ولو قَلَّ إلا قهرا ، وبالجملة ما أصاب الناس إلا ما كسبت أيديهم ، ولا جنوا إلا ثمرات أعمالهم ، وكان معظم إدارات دوائر عظماء النواحى وتوسعاتهم ومضايفهم من هذه الأرزاق التى كانت تحت أيديهم بغير استحقاق ، إلى أن سلط الله عليهم من استحوذ على جميع ذلك ، وسلب عنهم ما كانوا فيه من النعمة ، وتشتتوا فى النواحى وتغربوا عن أوطانهم ، وخربت دورهم ومضايفهم ، وذهبت سيادتهم ﴿ وكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِن قَرْنٍ هلْ تُحِسُّ مِنْهم مِنْ أَحَدٍ أو تَسْمَعُ لَهُم رِكْزًا ﴾[2] وفى بعض الأرزاق من مات أربابه ، وخربت جهاته ، ونسى أمره ، وبقى تحت يد من هو تحت يده من غير شىء أصلا ، وقد أخبرنى بنحو ذلك شمس الدين بن حمودة من مشايخ برما بالمنوفية ، عندما أحضر إلى مصر فى وقت هذا النظام ، أنه كان فى حوزهم ألف فدان لا علم للملتزم ولا غيره بها ، وذلك خلاف ما بأيديهم من الرزق التى يزرعونها بالمال اليسير ، وخلاف المرصد على مساجد بلادهم التى لم يبق لها أثر ، وكذلك الأسبلة وغيرها ، وأطيانهم تحت أيديهم من غير شىء ، وخلاف فلاحتهم الظاهرة بالمال القليل لمصارف الحج ، لأنها كانت من جملة البلاد الموقوفة على مهمات أمير الحاج ، وقد انتسخ ذلك كله .

وفيه [1] ، أخبر المخبرون أنّ مراكب الموسم وصلت فى هذا العام إلى جدة ، وكان لها مدة سنين ممتنعة عن الوصول ، خوفا من جور الشريف وزواله وتملك الدولة البلاد ، وظنهم فيهم العدل ، فاطمأنوا وعبوا متاجرهم ، وحضروا إلى جدة ، فجمع الباشا مكوسهم فبلغت أربعة وعشرين لكا ، واللك الواحد مائة ألف فرانسا ،

---

(١) ١٥ جمادى الأولى ١٢٢٩ هـ / ٥ مايو ١٨١٤ م . (٢) سورة مريم : الآية رقم (٩٨) .

فيكون أربعة وعشرين مائة ألف فرانسا ، فقبضها منهم بضائع ونقودا ، وحسب البضائع بأبخس الأثمان ، ثم التفت إلى التجار الذين اشتروا البضائع ، وقال لهم : « إنى طلبت منكم مرارا أن تقرضونى المال فادعيتم الإفلاس ، ولما حضر الموسم بادرتم بأخذه ، وظهرت أموالكم التى كنتم تبخلون بها ، فلابد أن تقرضونى ثلثمائة ألف فرانسة » ، فصالحوه على مائتى ألف ، دفعوها له نقودا وبضائع مشترواتهم حسبها لهم العشرة ستة ، ثم فرض على أهل المدينة ثلاثين ألف فرانسة .

واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٩ [١]

فى خامسه [٢] ، ضربوا عدة مدافع ، وأخبروا بوصول بشارة وأن عساكرهم حاربوا قنفدة ، واستولوا عليها ولم يجدوا بها غير أهلها .

وفى سادسه [٣] ، سار حسين بيك دالى باشا بعساكره الخيالة برا .

وفيه [٤] عزم على السفر والد محرم بيك زوج ابنة الباشا إلى بلاده ، وذلك بعد عوده من الحجاز ، فأرسلوا إلى الأعيان تنابيه بالأمر لهم بمهاداته ، ففعلوا وعبوا له بقجا وبنا وأرزا وأقمشة هندية ومحلاوية ، كل أمير على قدر مقامه .

وفى ليلة الاثنين تاسعه [٥] ، حصلت فى وقت أذان العشاء زلزلة نحو دقيقتين ، وكان المؤذنون طلعوا على المنارات ، وشرعوا فى الأذان ، فلما اهتزت بهم ظن كل من كان على منارة سقوطها فأسرعوا بالنزول ، فلما علموا أنها زلزلة طلعوا وأعادوا الأذان ، وسقط من شرائف الجامع الأزهر شرافة ، وتحركت الأرض أيضًا فى خامس ساعة من الليل ، ولكن دون الأولى وكذلك وقت الشروق هزة لطيفة .

وفى حادى عشره [٦] ، هرب الشريف عبدالله بن الشريف سرور فى وقت الفجرية ، ولم يشعروا بهروبه إلا بعد الظهر ، فلما بلغ كتخدا بيك الخبر فتكدر لذلك ، وأرسل إلى مشايخ الحارات وغيرهم وبث العربان فى الجهات ، فلما كان ليلة السبت [٧] ، حضروا به فى وقت الغروب ، وقد حجزوه بحلوان ، وأتوا به إلى بيت السيد محمد المحروقى ، فأخذه إلى كتخدا بيك ، فأرسله إلى بيت أخيه أحمد أغا ، ومن ذلك الوقت ضيقوا عليه ومنعوه من الخروج والدخول ، بعد أن كان مطلق السراح ، يخرج من بيت أحمد أغا ، ويذهب إلى بيت عمه الشريف غالب ويعود وحده ، فعند ذلك ضيقوا عليه وعلى عمه أيضًا .

---

(١) رجب ١٢٢٩ هـ / ١٩ يونيه - ١٨ يوليه ١٨١٤ م .
(٢) ٥ رجب ١٢٢٩ هـ / ٢٣ يونيه ١٨١٤ م .
(٣) ٦ رجب ١٢٢٩ هـ / ٢٤ يونيه ١٨١٤ م .
(٤) ٦ رجب ١٢٢٩ هـ / ٢٤ يونيه ١٨١٤ م .
(٥) ٩ رجب ١٢٢٩ هـ / ٢٧ يونيه ١٨١٤ م .
(٦) ١١ رجب ١٢٢٩ هـ / ٢٩ يونيه ١٨١٤ م .
(٧) ١٤ رجب ١٢٢٩ هـ / ٢ يوليه ١٨١٤ م .

وفى يوم الخميس تاسع عشره [1] ، حضر المشايخ عند كتخدا بيك وعاودوه فى الخطاب فيما أحدثوه على الرزق ، وعرفوه أنَّه يلزم من هذا الإحداث إبطال المساجد والشعائر ، فتنصل من ذلك وقال : « هذا شيء لا علاقة لى فيه ، وهذا شيء أمر به أفندينا ومحمود بيك والمعلم غالى » ، ثم كلموه أيضًا فى صرف الجامكية المعروفة بالسائرة والدعاجوى للفقراء والعامة ، فوعدهم بصرفها وقت ما يتحصل المال ، فإن الخزينة فارغة من المال .

وفى يوم السبت [2] ، حضر محمود بيك والمعلم غالى من سرحتهما فذهب إليهما المشايخ فى ثانى يوم [3] ، ثم خاطبوهما بالكلام فى شأن الرزق ، فأجابهم المعلم غالى ، بقوله : « يا أسيادنا هذا أمر مفروغ منه بأمر أفندينا من عام أوّل من قبل سفره ، فلا تتعبوا خاطركم ، وواجب عليكم مساعدته ، خصوصا فى خلاص كعبتكم ونبيكم من أيدى الخوارج » ، فلم يردوا عليه جوابا وانصرفوا .

وفى يوم الأحد تاسع عشرينه [4] ، حصل كسوف شمس ، وكان ابتداؤه بعد الشروق ومقداره قريبا من ثلثى الجرم ، وتم انجلاؤه فى ثانى ساعة من النهار ، وكانت الشمس ببرج السرطان أربعة وعشرين درجة فى حادى عشر أبيب القبطى [5] .

وفيه [6] ، وصلت القافلة من ناحية السويس ، وأخبر الواصلون عن واقعة قنفدة[7] ، وما حصل بها بعد دخول العسكر إليها ، وذلك أنهم لما ركبوا عليها برا وبحرا وكبيرهم محمود بيك ، وزعيم أوغلى ، وشريف أغا ، فوجدوها خالية ، فطلعوا إليها وملكوها من غير ممانع ولا مدافع ، وليس بها غير أهلها ، وهم أناس ضعاف فقتلوهم وقطعوا آذانهم ، وأرسلوها إلى مصر ليرسلوها إلى إسلامبول ، وعندما علم العربان بمجئ الأتراك خلوا منها ، ويقال لهم عرب العسير ، وترافعوا عنها ، وكبيرهم يسمى طامى [8] ، فلما استقر بها الأتراك ومضى عليهم بها نحو

---

(1) ١٩ رجب ١٢٢٩ هـ / ٧ يوليه ١٨١٤ م .
(2) ٢١ رجب ١٢٢٩ هـ / ٩ يوليه ١٨١٤ م .
(3) ٢٢ رجب ١٢٢٩ هـ / ١٠ يوليه ١٨١٤ م .
(4) ٢٩ رجب ١٢٢٩ هـ / ١٧ يوليه ١٨١٤ م .
(5) ١١ أبيب ١٥٣٠ ق / ١٧ يوليه ١٨١٤ م .
(6) ٢٩ رجب ١٢٢٩ هـ / ١٧ يوليه ١٨١٤ م .
(7) قنفدة : قرية من قرى غامد الزّناد ، فى تهامة ، فى إمارة الباحة .
الجاسر ، حمد : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٨٨ .
(8) طامى : هو طامى بن شعيب ، عيَّنه الأمير سعود بن عبد العزيز أميرا على تهامة وعسير ولمع خلفا لابن عمه عبد الوهاب أبو نقطة ، وأن يقود القوات السعودية بنفسه ، وظل يقوم بعمله حتى عهد محمد على ، وألقى القبض عليه فى جمادى الأولى ١٢٣٠ هـ / ١١ أبريل - ١٠ مايو ١٨١٥ م .
عبد الرحيم ، عبد الرحمن : الدولة السعودية الأولى ، ص ١٩٣ .

ثمانيـة أيام رجعوا عليـهم وأحاطوا بهم ، ومـنعوهم الماء ، فعـند ذلك ركبوا علـيهم وحاربوهم ، فانهزموا وقتـل الكثير منهم ، ونجا محو بيك بنفســه فى نحو سبعة أنفار وكـذلك زعيـم أوغلى وشريف أغا ، فنزلوا فـى سفينة وهربوا فغضـب الباشا ، وقد كان أرسل لهم نجدة من الـشفاسية الخيالة ، فحاربهم العرب ، ورجـعوا منهزمين من ناحية البر وتواتر هذا الخبر .

واستهل شهر شعبان بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٩ (١)

فى ثانيه (٢) ، حضر ميمش أغـا من الديار الحجازية ، وعلى يده فـرمانات خطابا لدبوس أوغلى وآخرين ، يستدعيهم إلى الحضور بعساكرهم ، وكان دبوس أوغلى فى بلده البـرلس ، فتوجه إليه الـطلب ، وكذلك شرع كتخـدا بيك فى استكتـاب عـساكر أتراك ومغاربة وعربان وغير ذلك .

وفى رابعه (٣) ، سافر طـائفة من الـعسكر ، وأرسـل كتخدا بـيك بمنع الحـجاج الواردين من بلاد الـروم وغيرهم ، من النزول إلى الـسفائن الكائنة بسـاحل السويس والقصير ، وبأن يخلوها لأجل نزول العساكر المسافرين ، وبتأخير الحجاج ، وذلك أنه لما وصلت الـبشائر إلى الديـار الرومية بفتـح الحرمين وخلاص مكة وجـدة والطائف والمديـنة ، ووصول ابـن مضيـان والمضايفـى وغيرهـم إلى دار الـسلطنـة ، وهروب الوهابيين إلى بلادهم ، فعملوا ولائم وأفراحا وتـهانى ، وكتبت مراسيم سلطانية إلى بلاد الرومنلى والأنضـول بالبشائر بالفتح ، والإذن والترخـيص والإطلاق ، لمن يريد الحج إلى الحـرمين بالأمـن والأمان ، والرفاهـية والراحة ، فتحركت هـمم مريدى الحج ، لأن لهم سـنين وهم ممتنعون ومتـخوفون عن ورود الحج ، فعند ذلـك أقبلوا أفواجا بـحريمهم وأولادهم ومـتاعهم ، حتـى أنَّ كثيرا من المـتصوفين منـهم باع داره وتعلقـاته وعزم على الحج والمجاورة بـالحرمين بأهله وعيـاله ، ولم يبلغهـم استمرار الحروب ، وما بالحرمين من الغلاء والقحط إلا عند وصولهم إلى ثغر سكندرية ، ولم يتحـققوها إلا بمصر ، فـوقعوا فى حيـرة ما بين مصدق ومـكذب ، فمنهم مـن قصد السفـر ، ولم يرجع عـن عزمه ، وسلـم الأمر لله ، ومنهـم من تأخر بمـصر إلى أن ينكشف له الحال ، وقرروا على كل شخص من المسافرين فى مراكب السويس عشرين فرانسة ، وذلـك خلاف أجرة متاعه ومـا يتزود به فى سفـره ، فإنهم يزنونـه بالميزان

---

(١) شعبان ١٢٢٩ هـ / ١٩ يوليه - ١٦ أغسطس ١٨١٤ م . (٢) ٢ شعبان ١٢٢٩ هـ / ٢٠ يوليه ١٨١٤ م .
(٣) ٤ شعبان ١٢٢٩ هـ / ٢٢ يوليه ١٨١٤ م .

وعلى كل أقة قدر معلوم من الدراهم ، وأما من يسافر فى بحر النيل على جهة القصير فى مراكب الباشا ، فيؤخذ على رأس كل شخص من مصر القديمة إلى ساحل قنا ثلاثون قرشا ، ثم عليه أجرة حمله من قنا إلى القصير ، ثم أجرة بحر القلزم إن وجد سفينة حاضرة وإلا تأخر ، إما بالقصير أو السويس ، حتى يتيسر له النزول ، ويقاسى ما يقاسيه فى مدة انتظاره ، وخصوصا فى الماء وغلو ثمنه ورداءته ، ولايسافر شخص ويتحرك من مبصر إلا بإذن كتخدا بيك ويعطيه مرسوما بالإذن ، وبلغنى أنّ الذين خرجوا من إسلامبول خاصة بقصد الحج نحو العشرة آلاف، خلاف من وصل من بلاد الرومنلي والأنضول وغيرهما، وحضر الكثير من أعيانهم مثل إمام السلطان وغيره ، فنزل البعض بمنزل عثمان أغا وكيل دار السعادة سابقا ، والبعض بمنزل السيد محمد المحروقى ، وبيت شيخ السادات ، ومنهم من استأجر دورا فى الخانات والوكائل .

وفيه[1] ، حضر قاصد من باب الدولة وعلى يده مرسوم ، مضمونه : « الأمر باسترجاع ما أخذ من الشريف غالب من المال والذخائر إليه » ، وكان الباشا أرسل إلى الدولة بسبحتى لؤلؤ عظام من موجودات الشريف ، فحضر بهما ذلك القبجى وردهما إلى الشريف غالب ، ثم سافر ذلك القبجى بالأوامر إلى الباشا بالحجاز .

وفى سابعه [2] ، وصلت هجانة باستعجال العساكر وتوالى حضور الهجانة لخصوص الاستعجال .

وفى يوم السبت تاسع عشره [3] ، أنزلوا الشريف غالب إلى بولاق بحريمه وأولاده وعبيده ، وكان قد وصل إلى مصر أغا معين بقصد سفر المذكور إلى سلانيك ، فنزل صحبته إلى بولاق وصالحوه عما أخذ منه من المال وغيره بخمسمائة كيس ، فأرادوا دفعها له قروشا فامتنع، قائلا : « إنهم أخذوا مالى ذهبا مشخصا وفرانسة ، فكيف آخذ بدل ذلك نحاسا لا نفع بها فى غير مصر » ، فأعطوه مائتى كيس ذهبا وفرانسة ، وتحول بالباقى وكيله مكى الخولانى ، ثم زوّدوه وأعطوه سكرا وبنا وأرزا وشربات وغير ذلك ، ونزل مسافرا إلى المراكب ، صحبة المعين إلى الحجاز من ناحية القصير ، وبرز ابن باشت طرابلس وصحبته عساكر أيضًا إلى ناحية العادلية ، وآخر يقال له : « قنجه بيك » ، ومعهم نحو الألف خيال من العرب والمغاربة على طريق البر إلى الحجاز .

---

(١) ٤ شعبان ١٢٢٩ هـ / ٢٢ يوليه ١٨١٤ م . (٢) ٧ شعبان ١٢٢٩ هـ / ٢٥ يوليه ١٨١٤ م .
(٣) ١٩ شعبان ١٢٢٩ هـ / ٦ أغسطس ١٨١٤ م .

وفى يوم الخميس رابع عشرينه ، الموافق لسادس شهر مسرى القبطى [1] ، أوفى النيل المبارك أذرعه ، فداروا بالرايات ، ونودى بالوفاء ، وكسروا السد فى صبح يوم الجمعة[2] ، بحضرة كتخدا بيك والقاضى والجم الغفير من العساكر .

وفى أواخره [3] ، وصلت الأخبار بأن الباشا توجه إلى الطائف وأبقى حسن باشا بمكة .

واستهل شهر رمضان بيوم الأربعاء سنة ١٢٢٩ [4]

فى رابعه [5] ، حضر موسى أغا تفكچى باشا من الديار الحجازية ، وكان فيمن باشر حرابة قنفدة ، ومن جملة من انهزم بها وهلكت جميع عساكره وخدمه ، ورجع إلى مصر وصحبته أربعة أنفار من الخدم .

وفى عاشره [6] ، خرجت العساكر المجردة لسفر الحجاز إلى بركة الحج وهم : مغاربة وعربان ، وارتحلوا يوم الأحد ثانى عشره [7]

وفي يوم الأربعاء خامس عشره [8] ، برز ديوس أوغلي خارج باب الفتوح ، ليسافر بعساكره إلى الحجاز ، وكذلك حسن أغا سرششمة ، ونصبوا خيامهم ، واستمروا يخرجون من المدينة ويدخلون غدوا وعشيا ، وهم يأكلون ويشربون جهارا في نهار رمضان ، ويقولون : « نحن مسافرون ومجاهدون » ، ويمرون بالأسواق ويجلسون على المساطب ، وبأيديهم الأقصاب والشبكات التى يشربون فيها الدخان من غير احتشام ولا حياء ، ويجوزون بحارات الحسينية على القهاوى فى الضحوة ، فيجدونها مغلوقة ، فيسألون عن القهوجي ويطلبونه ليفتح لهم القهوة ويوقد لهم النار ، ويغلى لهم القهوة ويسقيهم ، فربما هرب القهوجى واختفى منهم ، فيكسرون الباب ، ويعبثون بآلاته وأوانيه ، فما يسعه إلا المجئ وإيقاد النار ، وأشنع من ذلك أنه اجتمع بناحية عرضيهم وخيامهم الجم الكثير من النساء الخواطى والبغايا ، ونصبوا لهم خياما وأخصاصا ، وانضم إليهم بياع البوظة والعرقى والحشاشون والغوازى والرقاصون وأمثال ذلك ، وانحشر معهم الكثير من الفساق وأهل الأهواء والعياق من أولاد البلد ، فكانوا جمعا عظيما يأكلون الحشيش ويشربون المسكرات ، ويزنون

---

(١) ٢٤ شعبان ١٢٢٩ هـ / ١١ أغسطس ١٨١٤ م . (٢) ٢٥ شعبان ١٢٢٩ هـ / ١٢ أغسطس ١٨١٤ م .

(٣) آخر شعبان ١٢٢٩ هـ / ١٦ أغسطس ١٨١٤ م .

(٤) رمضان ١٢٢٩ هـ / ١٧ أغسطس - ١٥ سبتمبر ١٨١٤ م .

(٥) ٤ رمضان ١٢٢٩ هـ / ٢٠ أغسطس ١٨١٤ م . (٦) ١٠ رمضان ١٢٢٩ هـ / ٢٦ أغسطس ١٨١٤ م .

(٧) ١٢ رمضان ١٢٢٩ هـ / ٢٨ أغسطس ١٨١٤ م . (٨) ١٥ رمضان ١٢٢٩ هـ / ٣١ أغسطس ١٨١٤ م .

ويلوطون ، ويشربون الجوزة ، ويلعبون القمار جـهارا فى رمضان ولياليه ، مختلطين مع العساكر كأنما سـقط عن الجميع التكاليف ، وخلصوا مـن الحساب ، وسمعت ممن شاهد بعينـه محمود بيك المهردار الذى هـو أعظم أعيانهم ، وهو المتولـى على قياس الأراضى مع المعـلم غالى ، وهو جالس فى ديـوانهم المخصوص بالقرب مـن سويقة اللالا ، وهو يشرب فـى النارجيلة التنـباك ، ويأتونه بالغداء جـهارا ، ويقول : « أنا مسافر الشرقية لعمل نظام الأراضى » .

وفى غايته [1] ، وصلت هجانة باستعجال العساكر .

واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة ١٢٢٩ [2]

فى ليلته [3] ، قلدوا عبدالله كاشف الدرندلى أميرا على ركب الحجاج .

وفى يوم السبت ثالثه [4] ، خرج دبوس أوغلى فى موكب إلـى مخيمه ، وكذلك حسن أغا سرششمة ليسافر إلى الحجاز .

وفى يوم الـسبت حادى عـشره [5] ، نزلوا بكسـوة الكعبة بالطبـول والزمور إلى المشهد الحسينى واجتمع الناس على عادتهم للفرجة .

وفيه [6] ، انتقل محمود بـيك والمعلم غالى إلى بيت حسن أغـا نجاتى ، وعملوا ديوانهـم فيه ، وأتلفـوا الجنينة الـتى به ، وجلسـوا تحت أشجارها ، وربـط الأقباط حميرهـم فيها ، وشرع محمـود بيك فى عمارة الجهة الـقبلية منه ، وانـزوت صاحبة المنزل فى ناحية منه .

وفى سابع عشره [7] ، ارتحل دبوس أوغلى وحسن أغا سـرششمة ، ومن معهم من العساكر من منزلتهم متوجهين إلى الديار الحجازية .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه [8] ، رسم كتخدا بيك بنفى طائفة من الفقهاء من ناحـية طندتا إلـى أبى قير ، بسـبب فتيا أفـتوها فى حادثة بـبلدهم ، وقضـى بها قاضيهم ، وأنهيـت الدعوى إلى ديوان مصر ، فطلبوا إلى إعـادة الدعوى ، فحضروا

---

(١) غاية رمضان ١٢٢٩ هـ / ١٥ سبتمبر ١٨١٤ م .

(٢) شوال ١٢٢٩ هـ / ١٦ سبتمبر - ١٤ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٣) ١ شوال ١٢٢٩ هـ / ١٦ سبتمبر ١٨١٤ م .

(٤) ٣ شوال ١٢٢٩ هـ / ١٨ سبتمبر ١٨١٤ م .

(٥) ١١ شوال ١٢٢٩ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٨١٤ م .

(٦) ١١ شوال ١٢٢٩ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٨١٤ م .

(٧) ١٧ شوال ١٢٢٩ هـ / ٢ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٨) ٢٢ شوال ١٢٢٩ هـ / ٧ أكتوبر ١٨١٤ م .

وترافعوا إلى قاضى العسكر ، وأثبتوا عليهم الخطأ ، فرسم بنفى الشاكى والمفتيين والقاضى رابعهم .

وفى يوم السبت رابع عشرينه [١] ، عملوا موكبا لخروج المحمل ، واستعد الناس للفرجة على عادتهم ، فكان عبارة عن نحو مائة جمل تحمل روايا الماء والقرب ، وعدة من طائفة الدلاة على رؤوسهم طراطير سود قلابق [٢] ، وأمير الحاج على شكلهم ، وخلفه أرباب الأشاير ببيارقهم وشراميطهم وطبولهم وزمورهم وجوقاتهم ، وخلفهم المحمل فكان مدة مرورهم مع تقطيعهم وعدم نظامهم نحو ساعتين ، فأين ما كان يعمل من المواكب بمصر التى يضرب بحسنها وترتيبها ونظامها المثل فى الدنيا ، فسبحان مغير الشؤون والأحوال .

وفيه [٣] ، خرجت زوجة الباشا الكبيرة وهى أم أولاده ، تريد الحج إلى خارج باب النصر فى ثلاثة تختوت ، والمتسفر بها بونابارته الخازندار ، وقد حضر لوداعها ولدها إبراهيم باشا من الصعيد ، وخرج لتشييعها هو وأخوه إسماعيل باشا ، وصحبتهما محرم بيك زوج ابنتها حاكم الجيزة ومصطفى بيك دالى باشا ، ويقال : « إنه أخوها » ، وكذلك محمد بيك الدفتردار زوج ابنتها أيضًا ، وطاهر باشا ، وصالح بيك السلحدار ، وارتحلت ومن معها فى سادس عشرينه [٤] إلى بندر السويس، وفى ذلك اليوم برزت عساكر المغاربة وغيرهم ممن تعسكر ، وارتحل أمير الحج من الحصوة إلى البركة .

وفى يوم الثلاثاء [٥] ، خرجت عساكر كثيرة مجردين للسفر .

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه [٦] ، ارتحل أمير الحج ومن معه من البركة فى تاسع ساعة من النهار ، وفى ذلك اليوم هبت رياح غربية شمالية باردة ، واشتد هبوبها أواخر النهار ، وأطبقت السماء بالغيوم والقتام ، وأبرق البرق برقا متتابعا وأرعدت رعدا له دوى متصل ، ولما قرب من سمت رؤوسنا كان له صوت عظيم مزعج ، ثم نزل مطر غزير استمر نحو نصف ساعة ، ثم سكن بعد أن تبحرت منه الأزقة والطرق ، وكان ذلك اليوم رابع شهر بابه القبطى [٧] .

---

(١) ٢٤ شوال ١٢٢٩ هـ / ٩ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٢) قلابق : فى التركية « قلبق » و « قلباق » تعنى غطاء رأس مدبب أو أسطوانى ، دخلت الفارسية بلفظها ومعناها و « قرة قلبق » تعنى أصحاب القلابق السود .

سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

(٣) ٢٤ شوال ١٢٢٩ هـ / ٩ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٤) ٢٦ شوال ١٢٢٩ هـ / ١١ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٥) ٢٧ شوال ١٢٢٩ هـ / ١٢ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٦) ٢٩ شوال ١٢٢٩ هـ / ١٤ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٧) ٤ بابه ١٥٣٠ ق / ١٤ أكتوبر ١٨١٤ م .

وفيه [1] ، ورد الخبر من السويس أنَّ امرأة الباشا لما وصلت إلى هنا ، وجدت عالما كبيرا من الحجاج المختلفة الأجناس ممنوعين من نزول المراكب ، فصرخوا فى وجهها وشكوا إليها تخلفهم ، وأن أمير البندر مانعهم من النزول فى المراكب ، وبذلك المنع يفوتهم الحج الذى تجشموا الأسفار ، وصرفوا أيضًا الأموال من أجله ، وهم فى مشقة عظيمة من عدم الماء ، ولايمكنهم الرجوع لعدم من يحملهم ، وأن أمير البندر يشتط عليهم فى الأجرة ، ويأخذ على كل رأس خمسة عشر فرانسا ، فحلفت أنها لاتنزل إلى المركب حتى ينزل جميع من بالسويس من الحجاج المراكب ، ولايؤخذ منهم إلا القدر الذى جعلته على كل فرد منهم ، فكان ما حكمت به هذه الحرمة صار لها به منقبة حميدة وذكرا حسنا ، وفرجا لهؤلاء الخلائق بعد الشدة .

واستهل شهر ذى القعدة بيوم السبت سنة ١٢٢٩ [2]

وفى يوم الإثنين [3] ، نادى المنادى بوقود قناديل سهارى على البيوت والوكائل ، وكل أربع دكاكين قنديل .

وفى ثامنه [4] ، جرسوا شخصا وأركبوه على حمار بالمقلوب ، وهو قابض بيده على ذنب الحمار ، وعمموه بمصارين ذبيحة ، وعلى كتفه كرش ، بعد أن حلقوا نصف لحيته وشواربه ، قيل : « إن سبب ذلك أنَّه زوَّر حجة تقرير على أماكن ، تتعلق بامرأة أجنبية ، وباع بعض الأماكن ، وكانت تلك المرأة غائبة من مصر ، فلما حضرت وجدت مكانها مسكونا بالذى اشتراه ، فرفعت قصتها إلى كتخدا بيك ، ففعل به ذلك بعد وضوح القضية .

وفى ثانى عشره [5] ، سافر عبدالله ابن الشريف سرور إلى الحجاز باستدعاء من الباشا ، فأعطوه أكياسا وقضى أشغاله وخرج مسافرا .

وفيه [6] ، وقعت حادثة بحارة الكعكيين [7] بين شخصين من الدلاتية ، رمحا خلف غلام بدوى ، عمل نفسه عسكريا مع طائفة المغاربة ، يدعى أحدهما أنَّ له عنده دراهم ، فهرب منهما إلى الخطة المذكورة ، فرمحا خلفه وبيد كل منهما سيفه

---

(١) ٢٩ شوال ١٢٢٩ هـ / ١٤ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٢) ذى القعدة ١٢٢٩ هـ / ١٥ أكتوبر - ١٣ نوفمبر ١٨١٤ م .

(٣) ٣ ذى القعدة ١٢٢٩ هـ / ١٧ أكتوبر ١٨١٤ م . (٤) ٨ ذى القعدة ١٢٢٩ هـ / ٢٢ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٥) ١٢ ذى القعدة ١٢٢٩ هـ / ٢٦ أكتوبر ١٨١٤ م . (٦) ١٢ ذى القعدة ١٢٢٩ هـ / ٢٦ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٧) حارة الكعكيين : يعنى شارع الكعكيين الذى يبتدى من آخر شارع الغورية على يسار الذاهب إلى العقادين ، وآخره أول شارع الباطنية ، وطوله (٣١٠ مترا) .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٦٦ .

مسلولا ، فدخل الغلام إلى عطفة الحمام[1] ، وفزعت عليهما المغاربة المتعسكرون القاطنون بتلك الناحية ، وضربوا عليهما بنادق ، فسقط حصان أحد الدلاة وأصيب راكبه ، وهرب رفيقه إلى كتخدا بيك فأخبره ، فأمر بإحضار كبراء المغاربة ، وطالبهم بالضارب ، فلم يتبين أمره ، وقبضوا على الغلام الهارب فحبسوه ، وفى ذلك الوقت حصل فى الناس فزعة وأغلقت أهل سوق الغورية والشوائين والفحامين حوانيتهم ، وبقى ذلك الغلام محبوسا ، ومات الدلاتى المضروب فى ليلة السبت خامس عشره [2] ، فأحضروا ذلك الغلام إلى باب زويلة ، وقطعوا رأسه ظلما ، ولم يكن هو الضارب .

وفى عشرينه [3] ، سافر ابن باشت طرابلس وسافر معه عسكر المغاربة الخيالة .

واستهل شهر ذى الحجة الحرام ختام سنة ١٢٢٩ [4]

فى أوّله [5] ، ورد نجاب من الحجاز وأخبر بموت طاهر أفندى ، وهو أفندى ديوان الباشا ، وكان موته فى شهر شوّال [6] ، بالمدينة حتف أنفه ، وورد الخبر أيضًا بصلح الشريف راجح مع الباشا وأنّه قابله وأكرمه وأنعم عليه بمائتى كيس ، وأخبر أيضًا بأنه تركه الباشا بناحية الكلخة [7] ، وهى ما بين الطائف وتربة ، وانقضت السنة بحوادثها فى هذه السنة .

وأما من مات فى هذه السنة[8]

فمات ، العمدة الفاضل الفقيه النبيه ، الشيخ حسين المعروف بابن الكاشف الدمياطى ، ويعرف بالرشيدى ، تعلق بالعلم ، وانخلع من الإمرية والجندية ، وحضر أشياخ العصر ، ولازم حضور الشيخ عبدالله الشرقاوى ، وانتقل من مذهب الحنفية إلى الشافعية ، لملازمته لهم فى المعقول والمنقول ، وتلقى عن السيد مرتضى أسانيد الحديث والمسلسلات ، وحفظ القرآن فى مبدأ أمره برشيد ، وجوّده على السيد

---

(١) عطفة الحمام : توجد أربع عطف باسم عطفة الحمام ، وأقربها إلى مكان الواقعة ، عطفة الحمام التى من جهة اليمين بشارع درب الجديد .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٤٧ .

(٢) ١٥ ذى القعدة ١٢٢٩ هـ / ٢٦ أكتوبر ١٨١٤ م . (٣) ٢٠ ذى القعدة ١٢٢٩ هـ / ٣ نوفمبر ١٨١٤ م .

(٤) ذى الحجة ١٢٢٩ هـ / ١٤ نوفمبر - ١٣ ديسمبر ١٨١٤ م .

(٥) ١ذى الحجة ١٢٢٩ هـ / ١٤ نوفمبر ١٨١٤ م . (٦) شوال ١٢٢٩ هـ / ١٦ سبتمبر - ١٤ أكتوبر ١٨١٤ م .

(٧) ناحية الكلخة : قرية تقع فى وادى كلاخ ، فى إمارة الطائف .

الجاسر ، حمد : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢١٩ .

(٨) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٢١٥ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة » .

صديق ، وحفظ شيئًا من المتون قبل مجيئه إلى مصر ، وأكب على الاشتغال بالأزهر ، وتزيا بزى الفقهاء ، يلبس العمامة والفرجية ، وتصدر ودرس فى الفقه والمعقول وغيرهما ، ولما وصل محمد باشا خسرو إلى ولاية مصر ، اجتمع عليه عند قلعة أبى قير فجعله إماما يصلى خلفه الأوقات ، وحضر معه إلى مصر ، ولم يزل مواظبا على وظيفته ، وانتفع بنسبته إليه ، واقتنى حصصا وإقطاعات ، وتقلد قضايا مناصب البلاد البنادر ، ويأخذ ممن يتولاها الجعالات والهدايا ، وأخذ أيضًا نظر وقف أزبك وغيره ، ولم يزل تحت نظره بعد انفصال محمد باشا خسرو ، واستمر المذكور على القراءة والإقراء حتى توفى أواخر السنة (١) .

ومات ، الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجمل ، وهو أخو الشيخ سليمان الجمل ، تفقه على أخيه ولازم دروسه وحضر غيره من أشياخ العصر ، ومشى على طريقة أخيه فى التقشف والانجماع عن خلطة الناس ، ولما مات أخوه - وكان يملى الدروس بجامع المشهد الحسينى بين المغرب والعشاء على جمع من مجاورى الأزهر والعامة - تصدر للإقراء فى محله فى ذلك الوقت ، فقرأ الشمائل والمواهب ، والجلالين ، ولم يزل على حالته حتى توفى ثانى عشر ذى الحجة (٢) .

ومات ، الشيخ المفيد محمد الإسناوى الشهير بجاد المولى ، ممن جاور بالأزهر ، وحضر دروس أشياخ الوقت من أهل عصره ، ولازم الشيخ عبدالله الشرقاوى فى دروسه ، وبه تخرج ، وواظب عليه فى مجالس الذكر ، وتلقى عنه طريقة الخلوتية ، وألبسه التاج ، وتقدم فى خطابة الجمعة والأعياد بالجامع الأزهر ، بدلا عن الشيخ عبد الرحمن البكرى عندما رفعوها عنه ، وخطب بجامع عمرو بمصر العتيقة يوم الاستسقاء عندما قصرت زيادة النيل فى سنة ثلاث وعشرين (٣) ، وتأخر فى الزيادة عن أوانه ، ولما حضر محمد باشا خسرو إلى مصر ، وصلى صلاة الجمعة بالأزهر فى سنة سبع عشرة (٤) ، خلع عليه بعد الصلاة فروة سمور ، فكان يخرجها من الخزنة ويلبسها وقت خطبة الجمعة والأعياد ، وواظب على قراءة الكتب للمبتدئين ، كالشيخ خالد ، والأزهرية ، ثم قرأ شرح الأشمونى على الخلاصة ، واشتهر ذكره ، ونما أمره فى أقل زمن ، وكان فصيحا مفوها فى التقرير والإلقاء

---

(١) آخر ١٢٢٩ هـ / ١٣ ديسمبر ١٨١٤ م .
(٢) ١٢ ذى الحجة ١٢٢٩ هـ / ٢٥ نوفمبر ١٨١٤ م .
(٣) ١٢٢٣ هـ / ٢٨ فبراير ١٨٠٨ - ١٥ فبراير ١٨٠٩ م .
(٤) ١٢٢٧ هـ / ١٦ يناير ١٨١٢ - ٣ يناير ١٨١٣ م .

لتفهيم الطلبة ، ولم يزل على حالة حميدة فى حسن السلوك والطريقة ، حتى توفى فى شهر الحجة [1] ، وقد ناهز الأربعين .

سنة ثلاثين ومائتين وألف[2]

استهل المحرم بيوم الثلاثاء [3] .

فى خامسه [4] ، وصل نجاب من الحجاز وعلى يده مكاتبات بالأخبار عن الباشا والحجاج بأنهم حجوا ووقفوا بعرفة وقضوا المناسك .

وفى تاسعه [5] ، حضر إبراهيم باشا من الجهة القبلية إلى داره بالجمالية .

وفى عاشره يوم الخميس [6] ، وصل فى ليلته قابجى وعلى يده تقرير للباشا من الحجاز إلى ساحل القصير ، فضربوا لذلك مدافع من القلعة .

وفى صبحها [7] ، خرج ابن الباشا وأخوه وكذلك أكابر دولتهم إلى ناحية البساتين ، ومنهم من عدى النيل إلى البر الغربى لملاقاته على مقتضى عادته فى عجلته فى الحضور ، وعلى حساب مضى الأيام من يوم وصوله إلى القصير ، فغابوا فى انتظاره حتى انقضى النهار ثم رجعوا .

وفى صبح اليوم الثانى [8] ، خرجوا ثم عادوا إلى دورهم آخر النهار ، واستمروا على الخروج والرجوع ثلاثة أيام ، ولم يحضر وكثر لغط الناس عند ذلك ، واختلفت رواياتهم ، وأقاويلهم مدة أيام ليلا ونهارا ، ثم ظهر كذب هذا الخبر وأن الباشا لم يزل بأرض الحجاز ، وقيل إن سبب إشاعة خبر مجيئه أنه وصل إلى ساحل القصير سفينة بها سبعة عشر أشخاص من العسكر ، فسألهم الوكيل الكائن بالقصير عن مجيئهم ، فأجابوه أنهم مقدمة الباشا ، وأنه واصل فى أثرهم ، فعندما سمع جوابهم أرسل خطابا إلى كاتب من الأقباط بقنا يعرفه بقدوم الباشا ، فكتب ذلك القبطى خطابا إلى وكيل شخص من أعيان كتبة الأقباط بأسيوط ، يسمى المعلم بشارة ، فعندما وصله الجواب ، أرسل جوابا إلى موكله بشارة المذكورة بمصر بذلك الخبر ، وفى الحال طلع به إلى القلعة ، وأعطاه لإبراهيم باشا ، فانتقل به إبراهيم باشا إلى

---

(١) ذى الحجة ١٢٢٩ هـ / ١٤ نوفمبر - ١٣ ديسمبر ١٨١٤ م .
(٢) ١٢٣٠ هـ / ١٤ ديسمبر ١٨١٤ - ١ ديسمبر ١٨١٥ م .
(٣) ١ محرم ١٢٣٠ هـ / ١٤ ديسمبر ١٨١٤م .
(٤) ٥ محرم ١٢٣٠ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨١٤م .
(٥) ٩ محرم ١٢٣٠ هـ / ٢٢ ديسمبر ١٨١٤م .
(٦) ١٠ محرم ١٢٣٠ هـ / ٢٣ ديسمبر ١٨١٤م .
(٧) ١٠ محرم ١٢٣٠ هـ / ٢٣ ديسمبر ١٨١٤م .
(٨) ١١ محرم ١٢٣٠ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٨١٤م .

مجلس كتخدا بيك ، فخلع كتخدا بيك على بشارة خلعة ، وأمر بضرب المدافع ، ونزلت المبشرون ، وانتشروا بالبشائر إلى بيوت الأعيان ، وأخذ البقاشيش ، ولما حصل التراخى والتباطئ والتأخر فى الحضور بعد الإشاعة ، أخذ الناس فى اختلاق الروايات والأقاويل كعادتهم ، فمنهم من يقول إنه حضر مهزوما ، ومنهم من يقول مجروحا ، ومنهم من يثبت موته ، والشيء الذى أوجب فى الناس هذه التخليطات ما شاهدوه من حركات أهل الدولة ، وانتقال نسائهم من المدينة ، وطلوعهم إلى القلعة بمتاعهم ، وإخلاء الكثير منهم البيوت ، وانتقال طائفة الأرنؤد من الدور المتباعدة واجتماعهم وسكناهم بناحية خطة عابدين ، وكذلك انتقل إبراهيم باشا إلى القلعة ، ونقل إليها الكثير من متاعه ، وأغرب من هذا كله إشاعة اتفاق عظماء الدولة على ولاية إبراهيم باشا على الأحكام عوضا عن أبيه فى يوم الخميس [1] ، ويرتبوا له موكبا يركب فيه ذلك اليوم ، ويشق من وسط المدينة ، واجتمع الناس للفرجة عليه ، واصطفوا على المساطب والدكاكين ، فلم يحصل وظهر كذب ذلك كله وبطلانه ، واتفق فى أثناء ذلك من زيادة الأوهام والتخيلات ، أن رضوان كاشف المعروف بالشعراوى ، سد باب داره التى بالشارع بخط باب الشعرية ، وفتح له بابا صغيرا من داخل العطفة التى بظاهره ، فأوشى بعض مبغضيه إلى كتخدا بيك فعلته فى هذا الوقت ، والناس يزداد بهم الوهم ، ويعتقدون صحة ما دار بينهم من الأكاذيب ، وخصوصا كونه من الأعيان المعروفين فطلبه كتخدا بيك ، وقال له : « لأي شيء سددت باب دارك، وما الذى قاله المنجم لك » ، فقال : « إن طائفة من العسكر تشاجروا بالخطة ، ودخلوا إلى الدار وأزعجونا ، فسددتها من ناحية الشارع ، بعدا من الشر ، وخوفا مما جرى على دارى سابقا من النهب » ، فلم يلتفت لكلامه ، وأمر بقتله فشفع فيه صالح بيك السلحدار وحسن أغا مستحفظان ، فعفا عنه من القتل ، وأمر بضربه فبطحوه وضربوه بالعصى ، ثم نزل بصحبته الأغا إلى داره وفتح الباب كما كان .

وفى رابع عشرينه [2] ، وصلت مكاتبات من الديار الحجازية من عند الباشا ، وخلافه ، مؤرخة فى ثالث عشر ذى الحجة [3] ، يذكرون فيها أن الباشا بمكة ، وطوسون باشا ابنه بالمدينة ، وحسن باشا وأخاه عابدين بيك وخلافهم بالكلخة ما بين الطائف وتربة .

---

(١) ١٠ محرم ١٢٣٠هـ / ٢٣ ديسمبر ١٨١٤م. (٢) ٢٤ محرم ١٢٣٠ هـ / ٦ يناير ١٨١٤م .

(٣) ١٣ ذى الحجة ١٢٢٩ هـ / ١٦ نوفمبر ١٨١٤ م .

واستهل شهر صفر الخير بيوم الخميس سنة ١٢٣٠ [(١)]

فى خامس عشرينه [(٢)] ، نودى بنقص مصارف أصناف المعاملة ، وقد وصل صرف الريال الفرانسة من الفضة العددية إلى ثلثمائة وأربعين نصفا ، عنها ثمانية قروش ونصف ، فنودى عليه بنقص نصف قرش ، والمحبوب وصل إلى عشرة قروش ، فنودى عليه بتسعة قروش ، وشددوا فى هذه المناداة تشديدا زائدا ، وقتل كل من زاد على ذلك من غير معارضة ، وكتبوا مراسيم إلى جميع البنادر ، وفيها التشديد والتهديد والانتقام ممن يزيد .

وفى أواخره [(٣)] ، التزم المعلم غالى بمال الجزية التى تطلب من النصارى على خمسة وثمانين كيسا ، وسبب ذلك أن بعض أتباع المقيد لقبض الجوالى ، قبض على شخص من النصارى ، وكان من قسوسهم ، وشدد عليه فى الطلب وأهانه ، فأنهوا الأمر إلى المعلم غالى ، ففعل ذلك قصدا لمنع الإيذاء عن أبناء جنسه ، ويكون الطلب منه عليهم ، ومنع المتظاهرين بالإسلام عنهم .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم السبت سنة ١٢٣٠ [(٤)]

فى تاسعه [(٥)] ، وصلت قافلة طيارى من الحجاز ، قدم صحبتها السيد عبدالله الأقماعى ، ومعها هجانة من الحجاز ، وعلى يدهم مكاتبات ، وفيها الأخبار والبشرى بنصرة الباشا على العرب ، وأنه استولى على تربة ، وغنم منها جمالا وغنائم ، وأخذ منهم أسرى ، فلما وصلت الأخبار بذلك ، انطلق المبشرون إلى بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش ، وضربوا فى صبحها مدافع كثيرة من القلعة .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره [(٦)] ، كان المولد النبوى ، فنودى فى صبحه بزينة المدينة وبولاق ومصر القديمة ، ووقود القناديل والسهر ثلاثة أيام بلياليها ، فلما أصبح يوم الأربعاء [(٧)] ، والزينة بحالها إلى بعد أذان العصر ، نودى برفعها ، ففرح أهل الأسواق بإزالتها ورفعها ، لما يحصل لهم من التكاليف والسهر فى البرد والهواء ، خصوصا وقد حصل فى آخر ليلة رياح شديدة باردة .

---

(١) صفر ١٢٣٠ هـ / ١٣ يناير - ١٠ فبراير ١٨١٥ م . (٢) ٢٥ صفر ١٢٣٠ هـ / ٦ فبراير ١٨١٥ م .
(٣) آخر صفر ١٢٣٠ هـ / ١٠ فبراير ١٨١٥ م .
(٤) ربيع الأول ١٢٣٠ هـ / ١١ فبراير - ١٢ مارس ١٨١٥ م .
(٥) ٩ ربيع الأول ١٢٣٠ هـ / ١٩ فبراير ١٨١٥ م . (٦) ١١ ربيع الأول ١٢٣٠ هـ / ٢١ فبراير ١٨١٥ م .
(٧) ١٢ ربيع الأول ١٢٣٠ هـ / ٢٢ فبراير ١٨١٥ م .

وفى هذه الأيام ، سافر محمود بيك والمعلم غالى ومن يصحبهم من النصارى الأقباط ، وأخذوا معهم طائفة من الكتبة الأفندية المختصين بالروزنامة ومنهم : محمد أفندى ابن حسين أفندى المنفصل عن الروزنامة ، ونزلوا لإعادة قياس الأراضى ، وتحرير الرى والشراقى ، وسبقهم القياسون بالأقصاب ، نزلوا وسرحوا قبلهم بنحو عشرة أيام ، وشرع كشاف النواحى فى قبض الترويجة من المزارعين ، وفرضوا على كل فدان الأدنى تسع ريالات إلى خمسة عشر ، بحسب جودة الأراضى ورداءتها ، وهذا الطلب فى غير وقته ، لأنه لم يحصل حصاد للزرع ، وليس عند الفلاحين ما يقتاتون منه ، ومن العجب أنَّه لم يقع مطر فى هذه السنة أبدًا ، ومضت أيام الشتاء ، ودخل فصل الربيع ، ولم يقع غيث أبدا سوى ما كان يحصل فى بعض الأيام من غيوم ، وأهوية غربية ينزل مع هبوبها بعض رشاش قليل لا تبتل الأرض منه ، ويجف بالهواء بمجرد نزوله .

وفى أواخره [١] ، ورد لحضرة الباشا هدية من بلاد الإنكليز ، وفيها طيور مختلفة الأجناس والأشكال كبار وصغار ، وفيها من يتكلم ويحاكى ، وآلة مصنوعة لنقل الماء يقال لها الطلمبة ، وهى تنقل الماء إلى المسافة البعيدة ، ومن الأسفل إلى العلو ، ومرآة زجاج نجف كبيرة قطعة واحدة ، وساعة تضرب مقامات موسيقى فى كل ربع يمضى من الساعة ، بأنغام مطربة وشمعدان به حركة غريبة ، كلما طالت فتيلة الشمعة غمز بحركة لطيفة ، فيخرج منه شخص لطيف من جانبه فيقط رأس الفتيلة بمقص لطيف بيده ، ويعود راجعا إلى داخل الشمعدان ، هذا ما بلغنى ممن ادعى أنه شاهد ذلك .

وفيه [٢] ، عملوا تسعيرة على المبيعات والمأكولات مثل : اللحم والسمن والجبن والشمع ، ونادوا بنقص أسعارها نقصانا فاحشا ، وشددوا فى ذلك بالتنكيل والشنق والتعليق ، وخرم الآناف ، فارتفع السمن والزبد والزيت من الحوانيت ، وأخفوه ، وطفقوا يبيعونه فى العشيات بالسعر الذى يختارونه على الزبون ، وأما السمن فلكثرة طلبه لأهل الدولة شح وجوده ، وإذا ورد منه شىء خطفوه ، وأخذوه من الطريق بالسعر الذى سعره الحاكم ، وانعدم وجوده عند القبانية ، وإذا بيع منه شىء ، بيع سرا بأقصى الثمن ، وأما السكر والصابون فبلغا الغاية فى غلو الثمن ، وقلة الوجود، لأن إبراهيم باشا احتكر السكر بأجمعه الذى يأتى من الصعيد ، وليس بغير الجهة القبلية شىء منه ، فيبيعه على ذمته ، وهو فى الحقيقة لأبيه ، ثم صار نفس الباشا يعطى لأهل المطابخ بالثمن الذى يعينه عليهم ، ويشاركهم فى ربحه ، فزاد غلو

(١) آخر ربيع الأول ١٢٣٠ هـ / ١٢ مارس ١٨١٥ م . (٢) آخر ربيع الأول ١٢٣٠ هـ / ١٢ مارس ١٨١٥ م .

ثمنه على الناس ، وبيع الرطل من السكر الصعيدى الذى كان يباع بخمسة أنصاف فضة بثمانين نصفا ، وأما الصابون ففرضوا على تجاره غرامة ، فامتنع وجوده وبيع الرطل الواحد منه خفية بستين نصفا وأكثر ، وفى هذه الأيام غلا سعر الحنطة والفول، وبيع الأردب بألف ومائتى نصف فضة ، خلاف الكلف والأجرة ، مع أنَّ الأهراء والشون ببولاق ملآنة بالغلال ، ويأكلها السوس ، ولايخرجون منها للبيع شيئًا ، حتى قيل لكتخدا بيك فى إخراج شىء منها ، يباع فى الناس ، فلم يأذن ، وكأنه لم يكن مأذونا من مخدومه .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الإثنين سنة ١٢٣٠ (١)

فى ثامنه (٢) ، عمل محرم بيك الكورنتيلة بالجيزة على نسق السنة الماضية من إخراج الناس وإزعاجهم ، تطيرا وخوفا من الطاعون .

وفيه (٣) ، خوزقوا شيخ عرب بلى فيما بين قبة العزب والهمايل بعد حبسه أربعة أشهر .

وفى يوم الجمعة ثامن عشرينه (٤) ، ضربت مدافع وأشيع الخبر بوصول شخص عسكرى بمكاتبات من الباشا وخلافه ، والخبر بقدوم الباشا ، وانتشرت المبشرون إلى بيوت الأعيان وأصحاب المظاهر على عادتهم ، لأخذ البقاشيش ، فمن قائل إنَّه وصل إلى القصير ، ومن قائل إنَّه نزل إلى السفينة بالبحر ، ومنهم من يقول إنه حضر إلى السويس ، ثم اختلفت الروايات ، وقالوا : « إنَّ الذى وصل إلى السويس حريم الباشا فقط » ، ثم تبين كذب هذه الأقاويل ، وأنها مكاتبات فقط مؤرخة أواخر شهر صفر (٥) ، يذكرون فيها أن الباشا حصل له نصر واستولى على ناحية يقال لها بيشة ، ورنية (٦) ، وقتل الكثير من الوهابيين ، وأنه عازم على الذهاب إلى ناحية قنفدة ، ثم ينزل بعد ذلك إلى البحر ، ويأتى إلى مصر ، ووصل الخبر بوفاة الشيخ إبراهيم كاتب الصرة .

---

(١) ربيع الثانى ١٢٣٠ هـ / ١٣ مارس - ١٠ أبريل ١٨١٥ م .

(٢) ٨ ربيع الثانى ١٢٣٠ هـ / ٢٠ مارس ١٨١٥ م . (٣) ٨ ربيع الثانى ١٢٣٠ هـ / ٢٠ مارس ١٨١٥ م .

(٤) ٢٨ ربيع الثانى ١٢٣٠ هـ / ٩ أبريل ١٨١٥ م . (٥) آخر صفر ١٢٣٠ هـ / ١٠ فبراير ١٨١٥ م .

(٦) بيشة ورنية : بيشة مدينة معروفة ، يتبعها عدد من القرى فى إمارة عسير ، ورنية بلدة ، ثانى إمارة فى إمارة مكة المكرمة .

الجاسر ، حمد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٥ ، جـ ٢ ، ص ٦٥٢ .

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٠ (١)

فى سادسه يوم الأحد (٢) ، ضربت مدافع بعد الظهيرة ، لورود مكاتبة بأن الباشا استولى على ناحية من النواحى جهة قنفدة .

وفى يوم الجمعة ثامن عشره (٣) ، وصل المحمل إلى بركة الحج وصحبته من بقى من رجال الركب مثل : خطيب الجبل ، والصيرفى ، والمحملجية ، ووردت مكاتبات بالقبض على طامى الذى جرى منه ما جرى فى وقائع قنفدة السابقة ، وقتله العساكر ، فلم يزل راجح الذى اصطلح مع الباشا ينصب له الحبائل حتى صاده ، وذلك أنَّه عمل لابن أخيه مبلغا من المال إن هو أوقعه فى شركه ، فعمل له وليمة ودعاه إلى محله فأتاه آمنا ، فقبض عليه ، واغتاله طمعا فى المال ، وأتوا به إلى عرضى الباشا ، فوجهه إلى بندر جدة فى الحال ، وأنزلوه السفينة ، وحضروا به إلى السويس ، وعجلوا بحضوره ، فلما وصل إلى البركة ، والمحمل إذ ذاك بها خرجت جميع العساكر فى ليلة الإثنين حادى عشرينه (٤) ، واشجروا فى صبحها طوائف وخلفهم المحمل ، وبعد مرورهم دخلوا بطامى المذكور وهو راكب على هجين وفى رقبته الحديد ، والجنزير مربوط فى عنق الهجين ، وصورته رجل شهم عظيم اللحية ، وهو لابس عباءة عبدانى ، ويقرأ وهو راكب ، وعملوا فى ذلك اليوم شنكا ومدافع ، وحضر أيضًا عابدين بيك وتوجه إلى داره فى ليلة الإثنين (٥)

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٣٠ (٦)

فى خامسه (٧) ، وصلت عساكر فى داوات إلى السويس ، وحضروا إلى مصر وعلى رؤوسهم شلنجات فضة ، إعلاما وإشارة بأنهم مجاهدون وعائدون من غزو الكفار ، وأنهم افتتحوا بلاد الحرمين ، وطردوا المخالفين لديانتهم حتى أن طوسون باشا وحسن باشا كتبا فى امضائهما على المراسلات بعد اسمهما لفظة المغازى ، والله أعلم بخلقه .

---

(١) جمادى الأولى ١٢٣٠ هـ / ١١ أبريل - ١٠ مايو ١٨١٥ م .
(٢) ٦ جمادى الأولى ١٢٣٠ هـ / ١٦ أبريل ١٨١٥ م .
(٣) ١٨ جمادى الأولى ١٢٣٠ هـ / ٢٨ أبريل ١٨١٥ م .
(٤) ٢١ جمادى الأولى ١٢٣٠ هـ / ١ مايو ١٨١٥ م .
(٥) ٢١ جمادى الأولى ١٢٣٠ هـ / ١ مايو ١٨١٥ م .
(٦) جمادى الثانية ١٢٣٠ هـ / ١١ مايو - ٨ يونيه ١٨١٥ م .
(٧) ٥ جمادى الثانية ١٢٣٠ هـ / ١٥ مايو ١٨١٥ م

وفى تاسعه (١) ، أخرجوا عساكر كثيرة ، وجهوهم إلى الثغور ، ومحافظة الأساكل خوفا من طارق يطرق الثغور ، لأنه أشيع أن بونابارته كبير الفرنساوية خرج من الجزيرة التى كان بها ، ورجع إلى فرانسا وملكها ، وأغار على بلاد الجورنه ، وخرج بعمارة كبيرة ، لايعلم قصده إلى أى جهة يريد ، فربما طرق ثغر الإسكندرية أو دمياط على حين غفلة ، وقيل غير ذلك ، وسئل كتخدا بيك عن سبب خروجهم ، فقال : « خوفا عليهم من الطاعون ، ولئلا يوخموا المدينة ، لأنه وقع فى هذه السنة موتان بالطاعون ، وهلك الكثير من العسكر وأهل البلدة ، والأطفال والجوارى والعبيد ، خصوصا السودان ، فإنه لم يبق منهم إلا القليل النادر وخلت منهم الدور » .

وفى منتصفه (٢) ، أخرج كتخدا بيك صدقة تفرق على الأولاد الأيتام الذين يقرءون بالكتاتيب ويدعون برفع الطاعون ، فكانوا يجمعونهم ، ويأتى بهم فقهاؤهم إلى بيت حسين كتخدا الكتخدا عند حيضان مصلى ، ويدفعون لكل صغير ورقة بها ستون نصفا فضة ، يأخذ منها جزءًا الذى يجمع الطائفة منهم ، ويدعى أنه معلمهم زيادة عن حصته ، لأن معظم المكاتب مغلوقة ، وليس بها أحد بسبب تعطيل الأوقاف ، وقطع إيرادهم ، وصار لهذه الأطفال جلبة وغوغاء فى ذهابهم ورجوعهم فى الأسواق ، وعلى بيت الذى يقسم عليهم .

واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٣٠ (٣)

فى سادسه يوم الأربعاء (٤) ، وصلت هجانة من ناحية قبلى ، وأخبروا بوصول الباشا إلى القصير ، فخلع عليهم كتخدا بيك كساوى ، ولم يأمر بعمل شنك ولا مدافع حتى يتحقق صحة الخبر .

وفى ليلة الجمعة ثامنه (٥) ، احترق بيت طاهر باشا بالأزبكية والبيت الذى بجواره أيضًا .

وفى يوم الجمعة (٦) المذكور ، وقبل العصر ضربت مدافع كثيرة من القلعة والجيزة ، وذلك عندما ثبت وتحقق ورود الباشا إلى قنا وقوص ، ووصل أيضًا حريم الباشا ، وطلعوا إلى قصر شبرا ، وركب للسلام عليها جميع نساء الأكابر والأعيان

---

(١) ٩ جمادى الثانية ١٢٣٠ هـ / ١٩ مايو ١٨١٥ م . (٢) ١٥ جمادى الثانية ١٢٣٠ هـ / ٢٥ مايو ١٨١٥ م .
(٣) رجب ١٢٣٠ هـ / ٩ يونيه - ٨ يوليه ١٨١٥ م . (٤) ٦ رجب ١٢٣٠ هـ / ١٤ يونيه ١٨١٥ م .
(٥) ٨ رجب ١٢٣٠ هـ / ١٦ يونيه ١٨١٥ م . (٦) ٨ رجب ١٢٣٠ هـ / ١٦ يونيه ١٨١٥ م .

بهداياهم وتقادمهم ، ومنعوا المارين من المسافرين والفلاحين الواصلين من الأرياف ، المرور من تحت القصر الذى هو الطريق المعتادة للمسافرين ، فكانوا يذهبون ويمرون من طريق استحدثوها منعطفة خلف تلك الطريق ، ومستبعدة بمسافة طويلة .

وفى ليلة الخميس رابع عشره [1] ، انخسف جرم القمر جميعه بعد الساعة الثالثة ، وكان فى آخر برج القوس .

وفى ليلة الجمعة خامس عشره [2] ، وصل الباشا إلى الجيزة ليلا ، فأقام بها إلى آخر الليل ، ثم حضر إلى داره بالأزبكية ، فأقام بها يومين ، وحضر كتخدا بيك ، وأكابر دولته للسلام عليه ، فلم يأذن لأحد ، وكذلك مشايخ الوقت ذهبوا ورجعوا ، ولم يجتمع به أحد سوى ثانى يوم [3] ، وترادفت عليه التقادم والهدايا من كل نوع من أكابر الدولة والنصارى بأجناسهم خصوصا الأرمن ، وخلافهم بكل صف من التحف حتى السرارى البيض بالحلى والجواهر وغير ذلك ، وأشيع فى الناس فى المصر وفى القرى بأنه تاب عن الظلم ، وعزم على إقامة العدل ، وأنه نذر على نفسه أنه إذا رجع منصورا ، واستولى على أرض الحجاز أفرج للناس عن حصصهم ، ورد الأرزاق الأحباسية إلى أهلها ، وزادوا على هذه الإشاعة أنه فعل ذلك فى البلاد القبلية ، وردّ كل شىء إلى أصله ، وتناقلوا ذلك فى جميع النواحى وباتوا يتخيلونه فى أحلامهم ، ولما مضى من وقت حضوره ثلاثة أيام ، كتبوا أوراقا لمشاهير الملتزمين مضمونها : « أنه بلغ حضرة أفندينا ما فعله الأقباط من ظلم الملتزمين والجور عليهم فى فائظهم ، فلم يرض بذلك ، والحال أنكم تحضرون بعد أربعة أيام ، وتحاسبوا على فائظكم وتقبضونه ، فإن أفندينا لايرضى بالظلم ، وعلى الأوراق إمضاء الدفتردار » ، ففرح أكثر المغفلين بهذا الكلام ، واعتقدوا صحته ، وأشاعوا أيضًا أنه نصب تجاه قصر شبرا خوازيق للمعلم غالى وأكابر القبط .

وفى رابع عشرينه [4] ، حضر الكثير من أصحاب الأرزاق الكائنين بالقرى والبلاد مشايخ وأشرافا وفلاحين ، ومعهم بيارق وأعلام مستبشرين وفرحين بما سمعوه وأشاعوه ، وذهبوا إلى الباشا وهو يعمل رماحة بناحية القبة ، برمى بنادق كثيرة وميدان تعليم ، فلما رآهم وأخبروه عن سبب مجيئهم ، فأمر بضربهم وطردهم ففعلوا بهم ذلك ورجعوا خائبين .

---

(١) ١٤ رجب ١٢٣٠ هـ / ٢٢ يونيه ١٨١٥ م . (٢) ١٥ رجب ١٢٣٠ هـ / ٢٣ يونيه ١٨١٥ م .
(٣) ١٦ رجب ١٢٣٠ هـ / ١٦ يونيه ١٨١٥ م . (٤) ٢٤ رجب ١٢٣٠ هـ / ١ يوليه ١٨١٥ م .

وفيه [١] ، حضر محمود بيك والمعلم غالى من سرحتهما ، وقابلا الباشا وخلع عليهما وكساهما وألبسهما فراوى سمور ، فركب المعلم غالى وعليه الخلعة ، وشق من وسط المدينة ، وخلفه عدة كثيرة من الأقباط ليراه الناس ، ويكمد الأعداء ، ويبطل ما قيل من التقولات ، ثم قام هو ومحمود بيك أياما قليلة ، ورجعا لأشغالهما وتتميم أفعالهما من تحرير القياس وجبى الأموال ، وكانا أرسلا قبل حضورهما عدة كثيرة من الجمال الحاملة للأموال فى كل يوم ، قطارات بعضها إثر بعض من الشرقية ، والغربية ، والمنوفية وباقى الأقاليم .

وفيه [٢] ، حضر شيخ طرهونة [٣] بجهة قبلى ، ويسمى كُرَيِّم ، بضم الكاف وفتح الراء وتشديد الياء ، وسكون الميم ، وكان عاصيا على الباشا ، ولم يقابله أبدا ، فلم يزل يحتال عليه إبراهيم باشا ويصالحه ويمنيه حتى أتى إليه وقابله وأمنه ، فلما حضر الباشا أبوه من الحجاز أتاه على أمان ابنه ، وقدّم معه هدية وأربعين من الإبل ، فقبل هديته ، ثم أمر برمى عنقه بالرميلة .

واستهل شهر شعبان سنة ١٢٣٠ [٤]

والناس فى أمر مريج من قطع أرزاقهم وأرباب الالتزامات والحصص التى ضبطها الباشا ، ورفع أيديهم عن التصرف فى شىء منها خلا طين الأوسية ، فإنه سامحهم فيه ، سوى ما زاد عن الروك الذى قاسوه ، فإنه لديوانه ووعدهم بصرف المال الحر المعين بالسند الديوانى فقط ، بعد التحرير والمحاققة ومناقضة الكتبة الأقباط فى القوائم ، وأقاموا منتظرين إنجاز وعده أياما يغدون ويروحون ، ويسألون الكتبة ومن له وصلة بهم ، وقد ضاق خناقهم من التفليس وقطع الإيراد ، ورضوا بالأقل وتشوفوا لحصوله ، وكل قليل يوعدون بعد أربعة أيام وثلاثة أيام حتى تحرر الدفاتر ، فإذا تحررت قيل : « إن الباشا أمر بتغييرها ، وتحريرها على نسق آخر » ، ويكرر ذلك ثانيا وثالثا على حسب تفاوت المتحصل فى السنين ، وما يتوفر فى الخزينة قليلا أو كثيرا .

---

(١) ٢٤ رجب ١٢٣٠ هـ / ١ يوليه ١٨١٥ م . (٢) ٢٤ رجب ١٢٣٠ هـ / ١ يوليه ١٨١٥ م .

(٣) عرب طرهونة : عرب ينتمون إلى قبيلة أبو كرايم ، كانوا يستقرون بمصر الوسطى ، ويسكنون الخيام فوق أرضهم .

أ. جومار : العرب والعربان فى مصر الوسطى ، فى : العرب فى ريف مصر وصحراواتها ، وصف مصر ، جـ ٢ ، ترجمة : زهير الشايب ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٤) شعبان ١٢٣٠ هـ / ٩ يوليه - ٦ أغسطس ١٨١٥ م .

وفيه (١) ، وصل رجل تركى علـى طريق دمياط ، يزعم أنه عاش من الـعمر زمنا طويلا ، وأنه أدرك أوائل القرن العاشر (٢) ، ويذكر أنه حضر إلى مـصر مع الـسلطان سليم ، وأدرك وقته وواقعته مع السلطان الغورى ، وكان فى ذلك الوقت تابعا لبعض البيرقدارية وشاع ذكره ، وحكى من رآه أن ذاته تـخالف دعواه ، وامتحنه البعض فى مذاكرة الأخبار والوقائع ، فحصل منه تخليـط ، ثم أمر الباشا بنفيه وإبعاده ، فأنزلوه فى مركب وغاب خبره ، فيقال : « إنهم أغرقوه » ، والله أعلم .

وفى خامس عشرينه (٣) ، عملوا الديـوان ببيت الدفتردار ، وفتـحوا باب صرف الفائظ عـلى أرباب حصص الالتزام ، فـجعلوا يعطون منـه جانبا ، وأكثر ما يـعطونه نصف القدر الذى قرروه وأقل وأزيد قليلاً .

وفيه (٤) ، أمر الباشا لجميـع العساكر بالخروج إلى الميدان لعمل التـعليم والرماحة خارج باب النصـر حيث قبة العزب ، فخـرجوا من ثلث الليل الأخـير ، وأخذوا فى الرماحة والبندقة المتواصلة المتتابعـة مثل الرعود على طريقة الإفرنج ، وذلك من قبيل الفجر إلى الـضحوة ، ولما انقضى ذلك رجعوا داخـلين إلى المدينة فى كبكبـة عظيمة حتى زحموا الطرق بخيولهم من كل ناحية ، وداسوا أشخاصا من الناس بخيولهم بل وحميرا أيـضًا ، وأشيع أنَّ الباشـا قصـده إحصـاء العسكر وتـرتيبهم علـى النظام الجديد وأوضـاع الإفـرنج ، ويلبسهم الملابس المـقمطة ، ويغير شكـلهم ، وركب فى ثانى يوم (٥) ، إلى بولاق ، وجمع عساكـر ابنه إسماعيل باشا وصنفهـم على الطريقة المعروفة بالنظام الجـديد ، وعرفهم قصده فعل ذلك بجميع الـعساكر ، ومن أبى ذلك قابله بالـضرب والطرد والنفى بعد سـلبه حتى من ثيابه ، ثـم ركب من بولاق وذهب إلى شبرا ، وحصل فـى العسكر قلقلة ولغط ، وتـناجوا فيما بينهم ، وتـفرق الكثير منهم عن مخـاديمهم وأكابرهم ، ووافقهم علـى النفور بعض أعيانهم ، واتـفقوا على غدر الباشا ، ثم إن الباشا ركب من قصر شبرا وحـضر إلى بيت الأزبكية ليلة الجمعة ثامن عشرينه (٦) ، وقد اجتمع عند عابدين بيك بـداره جماعة من أكابرهم فى وليمة ، وفيهم حجو بيك وعبدالله أغا صارى جلة ، وحـسن أغا الأرزنجلى ، فتفاوضوا بينهم أمر الباشـا ، وما هو شارع فيه ، واتـفقوا على الهجـوم عليه فى داره بالأزبـكية فى الفجرية ، ثم إن عابديـن بيك غافلهم وتركهم فى أنسهم ، وخرج مـتنكرا مسرعا إلى

(١) ١ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٩ يوليه ١٨١٥ م .

(٢) أول القرن العاشر الهجرى / ٢١ سبتمبر ١٤٩٥ م .

(٣) ٢٥ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٢ اغسطس ١٨١٥ م .

(٤) ٢٥ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٢ اغسطس ١٨١٥ م .

(٥) ٢٦ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٣ اغسطس ١٨١٥ م .

(٦) ٢٨ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٣ اغسطس ١٨١٥ م .

الباشا وأخبره ، ورجع إلى أصحابه فأسرع الباشا فى الحال الركوب فى سادس ساعة من الليل ، وطلب عساكر طاهر باشا فركبوا معه ، وحوط المنزل بالعساكر ، ثم أخلف الطريق، وذهب على ناحية الناصرية ، ومرمى النشاب ، وصعد إلى القلعة ، وتبعه من يثق به من العساكر ، وانخرم أمر المتوافقين ، ولم يسعهم الرجوع عن عزيمتهم ، فساروا إلى بيت الباشا يريدون نهبه ، فمانعهم المرابطون ، وتضاربوا بالرصاص والبنادق ، وقتل بينهم أشخاص ، ولم ينالوا غرضا ، فساروا على ناحية القلعة ، واجتمعوا بالرميلة وقراميدان ، وتحيروا فى أمرهم واشتد غيظهم ، وعلموا أن وقوفهم بالرميلة لايجدى شيئًا وقد أظهروا المخاصمة ، ولا ثمرة تعود عليهم فى رجوعهم ، وسكونهم بل ينكسف بالهم ، وتتذل أنفسهم ، ويلحقهم اللوم من أقرانهم الذين لم ينضموا إليهم ، فاجمع رأيهم لسوء طباعهم وخبث عقيدتهم وطرائقهم ، أنهم يتفرقون فى شوارع المدينة ، وينهبون متاع الرعية وأموالهم ، فإذا فعلوا ذلك فيكثر جمعهم وتقوى شوكتهم ، ويشاركهم المتخلفون عنهم لرغبة الجميع فى القبائح الذميمة ، ويعودون بالغنيمة ، ويحوصلون من الحواصل ، ولايضيع سعيهم فى الباطل ، كما يقال فى المثل ما قدر على ضرب الحمار فضرب البرذعة ، ونزلوا على وسط قصبة المدينة على الصليبة على السروجية ، وهم يكسرون ويهشمون أبواب الحوانيت المغلوقة ، وينهبون ما فيها لأن الناس لما تسامعوا بالحركة أغلقوا حوانيتهم وأبوابهم ، وتركوا أسبابهم طلبا للسلامة ، وعندما شاهد باقيهم ذلك أسرعوا اللحوق وبادروا معهم للنهب والخطف ، بل وشاركهم الكثير من الشطار والزعر والعامة المقلين والجياع ، ومن لادين له ، وعند ذلك كثر جمعهم ، ومضوا على طريقهم إلى قصبة رضوان إلى داخل باب زويلة ، وكسروا حوانيت السكرية وأخذوا ما وجدوه من الدراهم ، وما أحبوه من أصناف السكر ، فجعلوا يأكلون ويحملون ويبددون الذى لم يأخذوه ، ويلقونه تحت الأرجل فى الطريق ، وكسروا أوانى الحلوا وقدور المربيات وفيها ما هو من الصينى والبياغورى والإفرنجى ، ومجامع الأشربة وأقراص الحلوا الملونة والرشال والملبس والفانيد والحماض والبنفسج، وبعد أن يأكلوا ويحملوا هم وأتباعهم ومن انضاف لهم من الأوباش البلدية والحرافيش والجعيدية ، يلقون ما فضل عنهم على قارعة الطريق بحيث صار السوق من حد باب زويلة إلى المناخلية مع اتساعه وطوله ، مرسوما ومنقوشا بألوان السكاكر وأقراص الأشربة الملونة ، وأعسال المربيات سائلة على الأرض ، وكان أهل السوق المتسببون جددوا وطبخوا أنواع المربيات والأشربة عند وفور الفواكه وكثرتها فى هوانها ، وهو هذا الشهر [1] المبارك مثل الخوخ والتفاح والبرقوق والتوت والقرع المسير

---

(١) شعبان ١٢٣٠ هـ / ٩ يوليه - ٦ أغسطس ١٨١٥ م .

والحصرم والسفرجل . وملؤا الأوعية وصففوها فى حوانيتهم للمبيع ، وخصوصا على موسم شهر رمضان[1] ، ومضوا فى سيرهم إلى العقادين الرومى والغورية والأشرفية وسوق الصاغة ، ووصلت طائفة إلى سوق مرجوش ، فكسروا أبواب الحوانيت والوكائل والخانات ، ونهبوا ما فى حواصل التجار من الأقمشة المحلاوى والبز والحرير والزردخان ، ولما وصلت طائفة إلى رأس خان الخليلى ، وأرادوا العبور والنهب فزعت فيهم الأتراك والأرنؤد الذين يتعاطون التجارة الساكنون بخان اللبن والنحاس وغيرهما ، وضربوا عليهم بالرصاص ، وكذلك من سوق الصرماتية والأتراك الخردجية الساكنون بالرباع بباب الزهومة ، جعلوا يرمون عليهم من الطيقان بالرصاص حتى ردوهم ومنعوهم . وكذلك تعصبت طائفة المغاربة الكائنون بالفحامين وحارة الكعكيين رموا عليهم بالرصاص ، وطردوهم عن تلك الناحية ، وأغلقوا البوّابات التى على رؤوس العطف ، وجلس عند كل درب أناس ، ومن فوقهم أناس من أهل الخطة بالرصاص تمنع الواصل إليهم ، ووصلت طائفة إلى خان الحمزاوى ، فعالجوا فى بابه حتى كسروا الخوخة التى فى الباب ، وعبروا الخان وكسروا حواصل التجار من نصارى الشوام وغيرهم ، ونهبوا ما وجدوه من النقود ، وأنواع الأقمشة الهندية والشامية والمقصبات وبالات الجوخ والقطيفة والأصطوقة وأنواع الأطلس ، والألاجات والسلاوى والجنفس والصندل والحبر ، وأنواع الشيت ، والحرير الخام والإبريسم وغير ذلك ، وتبعهم الخدم والعامة فى النهب ، وأخرجوا ما فى الدكاكين والحواصل من أنواع الأقمشة ، وأخذوا ما أعجبهم واختاروه وانتقوه ، وتركوا ما تركوه ، ولم يقدروا على حمله مطروحا على الأرض ودهليز الخان ، وخارج السوق يطؤون عليه بالأرجل والنعالات ، ويعدو القوى على الضعيف ، فيأخذ ما معه من الأشياء الثمينة ، وقتل بعضهم البعض ، وكسروا أبواب الدكاكين التى خارج الخان بالخطة ، وأخرجوا ما فيها من التحف والأوانى الصينى والزجاج المذهب ، والكاسات البلور ، والصحون والأطباق والفناجين البيشة وأنواع الخردة ، وأخذوا ما أعجبهم وما وجدوه من نقود ودراهم ، وهشموا البواقى وكسروه ، وألقوه على الأرض تحت الأرجل شقافا متنوعة ، وكذلك فعلوا بسوق البندقانيين ، وما به من حوانيت العطارين ، وطرحوا أنواع الأشياء العطرية بوسط الشارع تداس بالأرجل أيضًا ، وفعلوا ما لاخير فيه من نهب أموال الناس والإتلاف ، ولولا الذين تصدوا لدفعهم ومنعهم بالبنادق والكرانك ، وغلق البوّابات لكان الواقع أفظع من ذلك ، ولنهبوا

---

(١) رمضان ١٢٣٠ هـ / ٦ أغسطس - ٥ سبتمبر ١٨١٥ م .

أيضًا البيوت ، وفجروا بالنساء والعياذ بالله ، ولكن الله سلّم ، وشاركهم فى فعلهم الكثير من الأوباش والمغاربة المدافعين أيضًا ، فإنهم أخذوا أشياء كثيرة ، وكانوا يقبضون على من يمر بهم ممن يقدرون عليه من النهابين ، ويأخذون ما معهم لأنفسهم ، وإذا هشمت العساكر حانوتا وخطفوا منها شيئًا ، ولحقهم من يطردهم عنها ، استأصل اللاحقون ما فيها ، واستباح الناس أموال بعضهم البعض ، وكان هذا الحادث الذى لم نسمع بنظيره فى دولة من الدول فى ظرف خمس ساعات ، وذلك من قبيل صلاة الجمعة [١] إلى قبيل العصر ، حصل للناس فى هذه المدة اليسيرة من الانزعاج والخوف الشديد ، ونهب الأموال وإتلاف الأسباب والبضائع ما لايوصف ، ولم تصل الجمعة فى ذلك اليوم ، وأغلقت المساجد الكائنة بداخل المدينة ، وأخذ الناس حذرهم ولبسوا أسلحتهم ، وأغلقوا البوّابات ، وقعدوا على الكرانك والمرابط والمتاريس ، وسهروا الليالى ، وأقاموا على التحذر والتحفظ والتخوّف أياما وليالى .

وفى يوم السبت تاسع عشرينه [٢] ، الموافق لآخر يوم من شهر أبيب القبطى ، أوفى النيل المبارك أذرعه ، وكان ذلك اليوم أيضًا ليلة رؤية هلال رمضان ، فصادف حصول الموسمين فى آن واحد ، فلم يعمل فيها موسم ولاشك على العادة ، ولم يركب المحتسب ولا أرباب الحرف بموكبهم وطبولهم وزمورهم ، وكذلك شنك قطع الخليج ، وما كان يعمل فى ليلته من المهرجان فى النيل وسواحله ، وعند السد ، وكذلك فى صبحه ، وفى البيوت المطلة على الخليج ، فبطل ذلك جميعه ، ولم يشعر بهما أحد وصام الناس باجتهادهم ، وكان وفاء النيل فى هذه السنة من النوادر ، فإن النيل لم تحصل فيه الزيادة بطول الأيام التى مضت من شهر أبيب إلا شيئًا يسيرا حتى حصل فى الناس وهم زائد ، وغلا سعر الغلة ورفعوها من السواحل والعرصات ، فأفاض المولى فى النيل ، واندفعت فيه الزيادة العظيمة ، وفى ليلتين أوفى أذرعه قبل مظنته ، فإن الوفاء لايقع فى الغالب إلا فى شهر مسرى [٣] ، ولم يحصل فى أواخر أبيب [٤] إلا فى النادر ، وإنى لم أدركه فى سنين عمرى أوفى فى أبيب إلا مرة واحدة ، وذلك فى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف [٥] ، فتكون المدة بين تلك وهذه المدة سبعا وأربعين سنة .

---

(١) ٢٨ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٥ اغسطس ١٨١٥ م . (٢) ٢٩ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٦ اغسطس ١٨١٥ م .
(٣) مسرى ١٥٣٠ ق / ٦ اغسطس - ٥ سبتمبر ١٨١٥ م .
(٤) آخر أبيب ١٥٣٠ ق / ٥ اغسطس ١٨١٥ م . (٥) ١١٨٣ هـ / ٧ مايو ١٧٦٩ - ٢٦ ابريل ١٧٧٠ م .

وفيه [1] ، أرسل الباشا بطلب السيد محمد المحروقى ، فطلع إليه وصحبته عدة من عسكر المغاربة لخفارته ، فلما واجهه ، قال له : « هذا الذى حصل للناس من نهب أموالهم فى صحائفى والقصد أنكم تتقدمون لأرباب المنهوبات ، وتجمعونهم بديوان خاص طائفة بعد أخرى ، وتكتبون قوائم لكل طائفة بما ضاع له على وجه التحرير والصحة ، وأنا أقوم لهم بدفعه بالغا ما بلغ » ، فشكر له ودعا له ، ونزل إلى داره وعرف الناس بذلك ، وشاع بينهم ، فحصل لأربابه بعض الاطمئنان ، وطلع إلى الباشا كبار العسكر مثل عابدين بيك ، ودبوس أوغلى ، وحجو بيك ، ومحو بيك ، واعتذروا وتنصلوا ، وذكروا وأقروا أن هذا الواقع اشتركت فيه طوائف العسكر ، وفيهم من طوائفهم وعساكرهم ، ولايخفاه خبث طباعهم ، فتقدم إليهم بأن يتفقدوا بالفحص وإحصاء ما حازه وأخذه كل من طوائفهم وعساكرهم ، وشدد عليهم فى الأمر بذلك ، فأجابوه بالسمع والطاعة ، وامتثلوا لأمره ، وأخذوا فى جمع ما يمكنهم ، وإرساله إلى القلعة ، وركبوا وشقوا بشوارع المدينة وأمامهم المناداة بالأمان ، وأحضر الباشا المعمار ، وأمره بجمع النجارين والمعمرين وأشغالهم فى تعمير ما تكسر من أخشاب الدكاكين والأسواق ، ويدفع لهم أجرتهم ، وكذلك الأخشاب على طرف الميرى .

واستهل شهر رمضان بيوم الإثنين سنة ١٢٣٠ [2]

والناس فى أمر مريج وتخوّف شديد ، وملازمون للسهر على الكرانك ، ويتحاشون المشى والذهاب والمجئ ، وكل أهل خطة ملازم لخطته وحارته ، وكل وقت يذكرون وينقلون بينهم روايات وحكايات ووقائع مزعجات ، وتطاولت أيدى العساكر بالتعدى والأذية والفتك والقتل لمن ينفردون به من الرعية .

وفى ثانى ليلة [3] ، طلع السيد محمد المحروقى ، وطلع صحبته الشيخ محمد الدواخلى نقيب الأشراف ، وابن الشيخ العروسى ، وابن الصاوى ، المتعينون فى مشيخة الوقت ، وصحبتهم شيخ الغورية وطائفته ، وقد ابتدؤا بهم فى إملاء ما نهب لهم من حوانيتهم ، بعدما حرروها عند السيد محمد المحروقى ، وتحليفهم بعد الإملاء على صدق دعواهم، وبعد التحليف والمحاققة يتجاوز عن بعضه لحضر الباشا،

---

(١) ٢٩ شعبان ١٢٣٠ هـ / ٦ أغسطس ١٨١٥ م .

(٢) رمضان ١٢٣٠ هـ / ٧ أغسطس - ٥ سبتمبر ١٨١٥ م .

(٣) ٢ رمضان ١٢٣٠ هـ / ٨ أغسطس ١٨١٥ م .

ثم يثبتون لـه الباقى ، فاستقر لأهل الغـورية خاصة مائة وثمانون كيـسا ، فدفع لهم ثلثيها وأخر لهم الثلث وهو ستون كيسا ، يستوفونها فيما بعد ، إما من عروضهم إن ظهر لـهم منها شـىء أو من الخزينة ، ولازم الجـماعة الطلـوع والنزول فى كل لـيلة لتحرير بـواقى المنهـوبات ، وأيضًا اسـتقر لأهل خان الحمزاوى نحـو من ثلاثة آلاف كيس كذلك ، ولطائفة الـسكرية نحو من سبعين كيسا خصمت لـهم من ثمن الـسكر الذى يبتاعونه من الباشا ، واستمر الباشـا بالقلعة يدبر أموره ، ويجذب قلوب الناس من الرعـية وأكابر دولتـه بما يفعلـه من بذل المال ، ورد المنـهوبات حتى تـرك الناس يسخطـون على العسكر ويـترضـون عنه ، ولو لـم يفعل ذلك وثارت العـساكر هذه الثورة ، ولم يـقع منهم نهب ولاتعـد لساعدتهم الرعـية ، واجتمعت عليـهم أهالى القرى وأرباب الإقطاعات لشدة نكايتهم من الباشا بضبط الرزق والإلتزامات ، وقياس الأراضى وقطع المـعايش ، وذلك من سوء تدبيـر العسكر وسعادة البـاشا ، وحسن سياسته باستجلابه الخواطر وتملقه بالكلام اللين والتصنع ، ويلوم على فعل العسكر ، ويقول بمسمع الحاضرين : « ما ذنب الناس معهم ، خصوصا خصامهم معى ، أو مع الرعية ها أنـا لى منزل بالأزبكـية فيـه أموال وجواهر وأمتعة وأشياء كـثيرة ، وسراية ابنى إسماعـيل باشا ببولاق ، ومنزل الدفـتردار ونحو ذلك » ، ويتحسـبـل ويتحوقل ويعمل فكرته ويدبر أمره فى أمر العسكر وعظائمهم ، وينعم عليهم ويعطيهم الأموال الكثيرة والأكياس العديدة لأنفسهم وعساكرهم ، وتـنتبذ طائفة منهـم ، ويقـولون : « نحن لم ننهب ، ولم يحصل لنا كسب » ، فيعطيهم ويفرق فيهم المقادير العظيمة ، فأنعم على عابدين بيك بألف كيس ، ولغيره دون ذلك .

وفى أثناء ذلك ، أخرج جـردة من عسكر الدلاة ليسافروا إلـى الديار الحجازية ، فبرزوا إلـى خارج باب الفـتوح حيث المـكان المسمى بـالشيخ قـمر ، ونصبـوا هناك وطاقهم وخرجت أحمالهم وأثقالهم .

وفى لـيلة الخمـيس [1] ، ثارت طـائفة الـطبجيـة وخاضوا وضـجوا وهم نـحو الأربعمائة ، وطلبوا نفـقة فأمر لهم بخمسة وعشرين كيسا ، ففـرقت فيهم فسكتوا ، وفى يوم الخميس المذكور [2] ، نزل كتخـدا بيك وشق من وسط المدينـة ، ونزل عند جامع الغورية ، وجلس فيه ، ورسم لأهل السوق بفتح حوانيتهم ، وأن يجلسوا فيها فامتـثلوا ، وفتحـوا الحـوانيـت وجلسوا علـى تخوف ، كل ذلك مع عـدم الراحة والهدوّ ، وتـوقع المكروه والـتطير من الـعسكر ، وتـعدى السفهـاء منهم فـى بعض

(١) ٤ رمضان ١٢٣٠ هـ / ١٠ اغسطس ١٨١٥ م . (٢) ٤ رمضان ١٢٣٠ هـ / ١٠ اغسطس ١٨١٥ م .

الأحايين ، والتحرز والاحتراس ، وأما النصارى فإنهم حصنوا مساكنهم ونواحيهم وحاراتهم ، وسدوا المنافذ ، وبنوا كرانك ، واستعدوا بالأسلحة والبنادق ، وأمدّهم الباشا بالبارود وآلات الحرب دون المسلمين ، حتى أنهم استأذنوا كتخدا بيك فى سد بعض الحارات النافذة التى يخشون وقوع الضرر منها ، فمنع من ذلك ، وأما النصارى ، فلم يمنعهم ، وقد تقدم ذكر فعله مع رضوان كاشف عندما سد باب داره وفتحه من جهة أخرى ، وعزره وضربه وبهدله بوسط الديوان .

وفيه [١] ، وصل نجيب أفندى وهو قبى كتخدا الباشا عند الدولة إلى بولاق ، فركب إليه كتخدا بيك ، وأكابر الدولة والأغا والوالى وقابلوه ونَظَّموا له موكبا من بولاق إلى القلعة ، ودخل من باب النصر ، وحضر صحبته خلع برسم الباشا وولده طوسون باشا ، وسيفان وشلنجان وهدايا ، وأحقاق نشوق [٢] مجوهرة ، وعملوا لوصوله شنكا ومدافع من القلعة وبولاق .

وفيه [٣]، ارتحل الدلاة المسافرون إلى الحجاز ودخل حجو بيك إلى المدينة بطائفته.

وفى ضحوة ذلك اليوم [٤] ، بعد انفضاض أمر الموكب ، حصل فى الناس زعجة وكرشات ، وأغلقوا البوابات والدروب ، واتصل هذا الانزعاج بجميع النواحى حتى إلى بولاق ومصر القديمة ، ولم يظهر لذلك أصل ولا سبب من الأسباب مطلقا .

وفى تلك الليلة [٥] ، ألبس الباشا حجو بيك خلعة وتَوَّجَه بطرطور طويل ، وجعله أميرا على طائفة من الدلاة ، وانخلع هو وأتباعه من طريقتهم التركية التى كانوا عليها ، وهؤلاء الطائفة التى يقال لهم دلاة ، ينسبون أنفسهم إلى طريقة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأكثرهم من نواحى الشام وجبال الدروز والمتأولة ، وتلك النواحى يركبون الأكاديش وعلى رؤوسهم الطراطير السود ، مصنوعة من جلود الغنم الصغار ، طول الطرطور نحو ذراع ، وإذا دخل الكنيف نزعه من على رأسه ، ووضعه على عتبة الكنيف ، وما أدرى أذلك تعظيم له عن مصاحبته معه فى الكنيف ، أو الخوف وحذر من سقوطه ، إن انصدم بأسكفة الباب فى صحن

---

(١) ٤ رمضان ١٢٣٠ هـ / ١٠ اغسطس ١٨١٥ م .
(٢) أحقاق نشوق : اى علَب النشوق .
(٣) ٤ رمضان ١٢٣٠ هـ / ١٠ اغسطس ١٨١٥ م .
(٤) ٤ رمضان ١٢٣٠ هـ / ١٠ اغسطس ١٨١٥ م .
(٥) ٤ رمضان ١٢٣٠ هـ / ١٠ اغسطس ١٨١٥ م .

المرحاض أو الملاقى ، وهؤلاء الطائفة مشهورة فى دولة العثمانيين بالشجاعة والإقدام فى الحروب، ويوجد فيهم من هو على طريقة حميدة ، ومنهم دون ذلك ، وقليل ما هم ، ولكونهم من تمام النظام رتبهم الباشا من أجناسه وأتراكه خلاف الأجناس الغريبة ، ومن بقى من أولئك يكون تبعا لا متبوعا .

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره [1] ، حصل مثل ذلك المتقدم من الانزعاج والكرشات بل أكثر من المرة الأولى ، ورمحت الرامحون ، وأغلقت الحوانيت ، وطلبت الناس السقائين الذين ينقلون الماء من الخليج ، وبيعت القربة بعشرة أنصاف فضة والراوية بأربعين ، فنزل الأغا وأغات التبديل ، وأمامهم المناداة بالأمان ، وينادون على العساكر أيضًا ومنعهم من حمل البنادق ، ويأمرون الناس بالتحفظ ، واستمر هذا الأمر والارتجاج إلى قبيل العصر ، وسكن الحال ، وكثر مرور السقائين وبيعت القربة بخمسة أنصاف والراوية بخمسة عشر ، ولم يظهر لهذه الحركة سبب أيضًا ، وتقوّل الناس بطول نهار ذلك اليوم أصنافا وأنواعا من الروايات والأقاويل التى لا أصل لها .

وفى يوم الأربعاء سابع عشره [2] ، حضر الشريف راجح من الحجاز ، ودخل المدينة وهو راكب على هجين ، وصحبته خمسة أنفار على هجن أيضًا ، ومعهم أشخاص من الأرنؤد من أتباع حسن باشا الذى بالحجاز ، فطلعوا به إلى القلعة ، ثم أنزلوه إلى منزل أحمد أغا أخى كتخدا بيك .

وفى ليلة الخميس [3] ، قلد الباشا عبدالله أغا المعروف بصارى جله ، وجعله كبيرًا على طائفة من الينكجرية أيضًا [4] ، وجعل على رأسه الطربوش الطويل المرخى على ظهره كما هى عادتهم ، هو وأتباعه ، وكان من جملة المتهومين بالمخامرة على الباشا .

وفيه [5] ، برز أمر الباشا لكبار العسكر بركوب جميع عساكرهم الخيول ، ومنعهم من حمل البنادق ، ولايكون منهم راجل أو حامل للبندقية إلا من كان من أتباع الشرطة والأحكام ، مثل : الوالى ، والأغا ، وأغات التبديل ، ولازم كتخدا

---

(١) ١٦ رمضان ١٢٣٠ هـ / ٢٢ أغسطس ١٨١٥ م . (٢) ١٧ رمضان ١٢٣٠ هـ / ٢٢ أغسطس ١٨١٥ م .

(٣) ١٨ رمضان ١٢٣٠ هـ / ٢٣ أغسطس ١٨١٥ م .

(٤) كتب أمام الرقم بالأصل ، بهامش ص ٢٢٧ ، طبعة بولاق « فى بعض النسخ الينكرية التفكجية أ هـ » وما هو مدون بالأصل هو الأصوب .

(٥) ١٨ رمضان ١٢٣٠ هـ / ٢٣ أغسطس ١٨١٥ م .

بيك ، وأيوب أغا تابع إبراهيم أغا أغات التبديل ، والوالى المرور بالشوارع والجلوس فى مراكز الأسواق مثل : الغورية ، والجمالية ، وباب الحمزاوى ، وباب زويلة ، وباب الخرق ، وأكثر أتباعهم مفطرون فى نهار رمضان ، ومتجاهرون بذلك من غير احتشام ، ولا مبالاة بانتهاك حرمة شهر الصوم ، ويجلسون على الحوانيت والمساطب، يأكلون ويشربون الدخان ، ويأتى أحدهم وبيده شبك الدخان ، فيدنى مجمرته لأنف ابن البلد على غفلة منه ، وينفخ فيه على سبيل السخرية ، والهزيان بالصائم ، وزادوا فى الغىّ والتعدى ، وخطف النساء نهارا وجهارا ، حتى اتفق أنّ شخصا منهم أدخل امرأة إلى جامع الأشرفية ، وزنى بها فى المسجد بعد صلاة الظهر فى نهار رمضان.

وفى أواخره [1] ، عملوا حساب أهل سوق مرجوش ، فبلغ ذلك أربعمائة وخمسين كيسا ، قبضوا ثلثيها وتأخر لهم الثلث ، كل ذلك خلاف النقود لهم ولغيرهم ، مثل : تجار الحمزاوى ، وهو شىء كثير ، ومبالغ عظيمة ، فإن الباشا منع من ذكرها ، وقال : « لأى شىء يؤخرون فى حوانيتهم وحواصلهم النقود ، ولايتجرون فيها » ، واتفق لتاجر من أهل سوق أمير الجيوش أنه ذهب من حاصله من حواصل الخان ثمانية آلاف فرانسة ، فلم يذكرها ومات قهرا ، وكذلك ضاع لأهل خان الحمزاوى ، من صرر الأموال والنقود والودائع والرهونات والمصاغ والجوهر مما يرهنه النساء على ثمن ما يشترونه من التجار ، والتفاصيل والمقصبات ، أو على ما يتأخر عليهم من الأثمان ما لايدخل تحت الحصر ، ويُستحيا من ذكره ، وضاع لرجل يبيع الفسيخ والبطارخ تجاه الحمزاوى من حانوته أربعة آلاف فرانسة ، فلم يذكرها ، وأمثال ذلك كثير ، وانقضى شهر رمضان والناس فى أمر مريج وخوف وانزعاج ، وتوقع المكروه ، ولم ينزل الباشا من القلعة بطول الشهر ، وذلك على خلاف عادته ، فإنه لايقدر على الاستقرار بمكان أياما ، وطبيعته الحركة حتى فى الكلام ، وكبار العساكر والسيد محمد المحروقى ، ومن يصحبه من المشايخ ونقيب الأشراف. مستمرون على الطلوع والنزول فى كل يوم وليلة ، وللمتقيدين بالمنهوبين ديوان خاص ، وفرق الباشا كساوى العيد على أربابها ، ولم يظهر فى هذه القضية شخص معين ، والكثير من العساكر الذين يمشون مع الناس فى الأسواق يظهرون الخلاف والسخط ، ويظهر منهم التعدى ويخطفون عمائم الناس والنساء جهارا ، ويتوعدون الناس بعودهم فى النهب ، وكأنما بينهم وبين أهل البلدة عداوة قديمة أو ثارات

---

(1) آخر رمضان ١٢٣٠ هـ / ٥ سبتمبر ١٨١٥ م .

يخلصونها منهم ، وفيهم من يظهر التأسف والتندم واللوم على المعتدين ، ويسفه رأيهم ، وهو المحروم الذى غاب عن ذلك ، وبالجملة فكل ذلك تقادير إلهية ، وقضايا سماوية ، ونقمة حلت بأهل الإقليم وأهله من كل ناحية ، نسأل الله العفو والسلامة وحسن العاقبة ، ومما اتفق أن بعض الناس زاد بهم الوهم ، فنقل ماله من حانوته أو حاصله الكائن ببعض الوكائل أو الخانات إلى منزله ، أو حرز آخر فسرقها السراق ، وحانوته أو حاصله لم يصبه ما أصاب غيره ، وتعدد نظير ذلك لأشخاص كثيرة ، وذلك من فعل أهل البلدة ، يراقبون بعضهم بعضا ، ويداورونهم فى أوقات الغفلات فى مثل هذه الحركات ، ومنهم من اتهم خدمه وأتباعه ، وتهددهم وشكاهم إلى حكام الشرطة ، ويغرم مالا على ذلك أيضًا ، وهم بريؤون ولايفيده إلا ارتكاب الإثم والفضيحة ، وعداوة الأهل والخدم ، وزيادة الغرم ، وغالب ما بأيدى التجار أموال الشركاء والودائع والرهونات ، ويطالبه أربابها ، ومنهم قليل الديانة ، وذهب من حانوته أشياء ، وبقى أشياء ، فادعى ضياع الكل لقوة الشبهة .

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٠ (١)

وهو يوم عيد الفطر (٢) ، وكان فى غاية البرودة والخمول ، عديم البهجة من كل شىء ، لم يظهر فيه من علامات الأعياد إلا فطر الصائمين ، ولم يغير أحد ملبوسه بل ولا فصل ثيابا مطلقا ولا شيئًا جديدا ، ومن تقدم له ثوب وقطعه وفصله فى شعبان (٣) تأخر عند الخياط مرهونا على مصاريفه ولوازمه ؛ لتعطل جميع الأسباب من بطانة وعقادة وغيرها ، حتى إنه إذا مات ميت لم يدرك أهله كفنه إلا بمشقة عظيمة ، وكسد فى هذا العيد سوق الخياطين وما أشبههم من لوازم الأعياد ، ولم يعمل فيه كعك ولا شريك ولاسمك مملح ولا نُقْل ، ولم يخرجوا إلى الجبانات والمدافن أيضًا كعادتهم ، ولانصبوا خياما على المقابر ، ولم يحسن فى هذه الحادثة إلا امتناع هذه الأمور ، وخصوصا خروج النساء إلى المقابر ، فإنه لم يخرج منهن إلا بعض حرافيشهن على تخوف ، ووقع لبعضهن من العسكر ما وقع عند باب النصر والجامع الأحمر (٤) .

---

(١) شوال ١٢٣٠ هـ / ٦ سبتمبر - ٤ أكتوبر ١٨١٥ م .

(٢) ١ شوال ١٢٣٠ هـ / ٦ سبتمبر ١٨١٥ م .

(٣) شعبان ١٢٣٠ هـ / ٩ يوليه - ٦ أغسطس ١٨١٥ م .

(٤) الجامع الأحمر : يقع بالأزبكية فى حارة القبلية ، قريبا من ميدان الأزبكية ، ولما تخرب ، عمّره الأمير سليمان أغا السلحدار ، وجدده .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ١١٣ - ١١٤

وفى ثالثه [1] ، نزل الباشا من القلعة من باب الجبل ، وهو فى عدة من عسكر الدلاة والأتراك الخيالة والمشاة وصحبته عابدين بيك ، وذهب إلى ناحية الآثار ، فعيد على يوسف باشا المنفصل عن الشام ، لأنه مقيم هناك لتغيير الهواء بسبب مرضه ، ثم عدى إلى الجيزة وبات بها عند صهره محرم بيك ، ولما أصبح ركب السفائن وانحدر إلى شبرا وبات بقصره ، ورجع إلى منزله بالأزبكية ، ثم طلع إلى القلعة .

وفى يوم الثلاثاء ثامنه [2] ، عمل ديوانا وجمع المشايخ المتصدرين وخاطبهم ، بقوله : « إنه يريد أن يفرج عن حصص الملتزمين ، ويترك لهم وساياهم يؤجرونها ويزرعونها لأنفسهم ، ويرتب نظاما لأجل راحة الناس ، وقد أمر الأفندية كتاب الروزنامة بتحرير دفاتر ، وأمهلهم اثنى عشر يوما ، يحررون فى ظرفها الدفاتر على الوجه المرضى » ، فأثنوا عليه خيرا ، ودعوا له ، فقال الشيخ الشنوانى : « ونرجو من أفندينا أيضًا الإفراج عن الرزق الأحباسية كذلك » ، فقال : « كذلك ننظر فى محاسبات الملتزمين ونحررها على الوجه المرضى أيضًا ، ومن أراد منهم أن يتصرف فى حصته ، ويلتزم بخلاص ما تحرر عليها من المال الميرى لجهة الديوان من الفلاحين بموجب المساحة والقياس صرفّناه فيها ، وإلا أبقاها على طرفنا ، ويقبض فائظه الذى يقع عليه التحرير من الخزينة نقدا وعدا » ، فدعوا له أيضًا وسكتوا ، فقال لهم : « تكلموا فإنى ما طلبتكم إلا للمشاورة معكم » ، فلم يفتح الله عليهم بكلمة، يقولها أحدهم غير الدعاء له ، على أنَّ الكلام ضائع لأنها حيل ومخادعة تروج على أهل الغفلات ، ويتوصل بها إلى إبراز ما يرومه من المرادات ، وعند ذلك انفض المجلس ، وانطلقت المبشرون على الملتزمين بالبشائر ، وعود الالتزام لمتصرفهم ويأخذون منهم البقاشيش مع أن الصورة معلولة ، والكيفية مجهولة ، ومعظم السبب فى ذكره ذلك أن معظم حصص الالتزام كان بأيدى العساكر وعظمائهم وزوجاتهم، وقد انحرفت طباعهم ، وتكدرت أمزجتهم بمنعهم عنه وحجزهم عن التصرف ، ولم يسهل بهم ذلك ، فمنهم من كظم غيظه وفى نفسه ما فيها ، ومنهم من لم يطق الكتمان وبارز بالمخالفة والتسلط على من لاجناية عليه ، فلذلك الباشا أعلن فى ديوانه بهذا الكلام بمسمع منهم ، لتسكن حدتهم ، وتبرد حرارتهم إلى أن يتم أمر تدبيره معهم .

وفيه [3] ، وصلت هجانة وأخبار ومكاتبات من الديار الحجازية بوقوع الصلح بين

---

(١) ٣ شوال ١٢٣٠ هـ / ٨ سبتمبر ١٨١٥ م . (٢) ٨ شوال ١٢٣٠ هـ / ١٣ سبتمبر ١٨١٥ م .
(٣) ٨ شوال ١٢٣٠ هـ / ١٣ سبتمبر ١٨١٥ م .

طوسون باشا وعبدالله بن مسعود الذى تولى بعد موت أبيه كبيراً على الوهابية ، وأن عبدالله المذكور ترك الحروب والقتال ، وأذعن للطاعة وحقن الدماء ، وحضر من جماعة الوهابية نحو العشرين نفرا من الأنفار إلى طوسون باشا ، ووصل منهم اثنان إلى مصر ، فكأنّ الباشا لم يعجبه هذا الصلح ، ولم يظهر عليه علامات الرضا بذلك ، ولم يحسن نزل الواصلين ، ولما اجتمعا به وخاطبهما عاتبهما على المخالفة فاعتذرا وذكرا أن الأمير مسعود المتوفى كان فيه عناد وحدة مزاج ، وكان يريد الملك وإقامة الدين وأما ابنه الأمير عبدالله فإنه لين الجانب والعريكة ، ويكره سفك الدماء على طريقة سلفه الأمير عبد العزيز المرحوم ، فإنه كان مسالما للدولة حتى أن المرحوم الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة ، ولم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة فى شىء ، ولم يحصل التفاقم والخلاف إلا فى أيام الأمير مسعود ، ومعظم الأمر للشريف غالب بخلاف الأمير عبدالله ، فإنه أحسن السير وترك الخلاف ، وأمن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين ، ونحو ذلك من الكلمات والعبارات المستحسنات ، وانقضى المجلس وانصرفا إلى المحل الذى أمرا بالنزول فيه ، ومعهما بعض أتراك ملازمون لصحبتهما مع أتباعهما فى الركوب والذهاب والإياب ، فإنه أطلق لهما الإذن إلى أىّ محل أراداه ، فكانا يركبان ويمران بالشوارع بأتباعهما ومن يصحبهما ويتفرجان على البلدة وأهلها ، ودخلا إلى الجامع الأزهر فى وقت لم يكن به أحد من المتصدرين للإقراء والتدريس ، وسألوا عن أهل مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، وعن الكتب الفقهية المصنفة فى مذهبه ، فقيل انقرضوا من أرض مصر بالكلية ، واشتريا نسخا من كتب التفسير والحديث مثل : الخازن ، والكشاف ، والبغوى ، والكتب الستة المجمع على صحتها ، وغير ذلك ، وقد اجتمعت بهما مرتين ، فوجدت منهما أنسا وطلاقة لسان ، واطلاعا وتضلعا ومعرفة بالأخبار ، والنوادر ، ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق ، وحسن الأدب فى الخطاب ، والتفقه فى الدين ، واستحضار الفروع الفقهية ، واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف ، واسم أحدهما عبدالله ، والآخر عبد العزيز ، وهو الأكبر حسا ومعنى .

وفى يوم السبت تاسع عشره (١) ، خرجوا بالمحمل إلى الحصوة خارج باب النصر ، وشقوا به من وسط المدينة ، وأمير الركب شخص من الدلاة يسمى أوزون أوغلى ، وفوق رأسه طرطور الدالاتية ، ومعظم الموكب من عساكر الدلاة وعلى رؤوسهم الطراطير السود بذاتهم المستبشعة ، وقد عم الأقاليم المسخ فى كل شىء ،

---

(١) ١٩ شوال ١٢٣٠ هـ / ٢٤ سبتمبر ١٨١٥ م .

فقد تغص الطبيعة ، وتتكدر النفس إذا شاهدت ذلك أو سمعت به ، وقد كانت نضارة الموكب السالفة في أيام المصريين ، ونظامها وحسنها وترتيبها وفخامتها وجمالها وزينتها التي لم يكن لها نظير في الربع المعمور ، ويضرب بها المثل في الدنيا كما ، قال قائلهم فيها :

مصرُ السعيدةُ مالَها من مَثيل ... فيها ثلاثةٌ من الهنَا والسُّرورْ
موَاكبُ السلْطانِ وبحْرُ الوفا ... ومَحْملُ الهادِي نهار يَدُورْ

فقد فُقدت هذه الثلاثة في جملة المفقودات .

وفي ثالث عشريته [1] ، وصل قابجى وعلى يده تقرير ولاية مصر لمحمد على باشا على السنة الجديدة ، فعملوا لذلك الواصل موكبا من بولاق إلى القلعة ، وضربوا مدافع وشنكا وبنادق .

واستهل شهر ذي القعدة الحرام بيوم الأربعاء سنة ١٢٣٠ [2]

في سادس عشره [3] ، سافر الباشا إلى الإسكندرية وأخذ صحبته عابدين بيك وإسماعيل باشا ولده وغيرهما من كبرائهم وعظمائهم ، وسافر أيضًا نجيب أفندى وسليمان أغا وكيل دار السعادة سابقا ، تابع صالح بيك المصرى المحمدى إلى دار السلطنة ، وأصحب الباشا إلى الدولة وأكابرها الهدايا من الخيول والمهارى والسروج المكللة بالذهب واللؤلؤ والمخيش ، وتعابى الأقمشة الهندية المتنوعة من الكشمير والمقصبات والتحف ، ومن الذهب المضروب السكة أربعة قناطير ، ومن الفضة الثقيلة في الوزن والعيار عدة قناطير ، ومن السكر المكرر مرارا ، وأنواع الشراب خافاه في القدور الصينى وغير ذلك .

وفيه [4] ، وردت الأخبار بوصول طوسون باشا إلى الطور ، فهرعت أكابرهم وأعيانهم إلى ملاقاته ، وأخذوا في الاهتمام وإحضار الهدايا والتقادم ، وركبت الخوندات والنساء والستات أفواجا أفواجا يطلعن إلى القلعة ، ليهنين والدته بقدومه .

وفي غايته [5] ، وصل طوسون باشا إلى السويس ، فضربوا مدافع إعلاما بقدومه ، وحضر نجيب أفندى راجعا من الإسكندرية ، لأجل ملاقاته ؛ لأنه قبى كتخداه اليوم أيضًا عند الدولة كما هو لوالده .

---

(١) ٢٣ شوال ١٢٣٠ هـ / ٢٨ سبتمبر ١٨١٥ م . (٢) ذى القعدة ١٢٣٠ هـ / ٥ أكتوبر - ٣ نوفمبر ١٨١٥ م .
(٣) ١٦ ذى القعدة ١٢٣٠ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٥ م . (٤) ١٦ ذى القعدة ١٢٣٠ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٥ م .
(٥) غاية ذى القعدة ١٢٣٠ هـ / ٣ نوفمبر ١٨١٥ م .

واستهل شهر ذى الحجة الحرام بيوم الجمعة سنة ١٢٣٠ (١)

فى رابعه يـوم الإثنين (٢) ، نودى بزينـة الشارع الأعظـم لدخول طوسـون باشا سرورا بقدومه ، فلما أصبـح يوم الثلاثاء خامسه (٣) ، احتفل الناس بـزينة الحوانيت بالشـارع ، وعملوا له مـوكبا حافلا ، ودخـل من باب النصـر وعلى رأسه الطـلخان وشعار الـوزارة ، وطلع إلى القـلعة ، وضربوا فـى ذلك اليوم مـدافع كثيرة وشـنكا وحراقات .

وفى ليلة الجمعة خامس عشره (٤) ، سافر طوسون باشا المـذكور إلى الإسكندرية ليراه أبوه ، ويسلم هـو عليه ، وليرى هو ولدا له وُلِدَ فى غيبته ، يـسمى عباس بيك صحبه معه جده مـع حاضنته ، وسنه دون الستين ، يقـال : « إن جده قصد إرساله إلى دار السلطنة ، فلم يـسهـل بأبيـه ذلك ، وشـق عليه مفارقـته وخصوصا كونه لم يره » ، وسافر صحبة طوسون باشا لجيب أفندى عائدا إلى الإسكندرية .

وفى يـوم السبـت عشريـنه (٥) ، حضـر طوسـون باشـا إلى مـصر راجـعا مـن الإسكندرية فى تطريدة ومعه ولده ، فكانت مدة غـيبته ذهابا وإيابا ثمانية أيام ، فطلع إلى القلعة ، وصار ينـزل إلى بستان بطريق بولاق ظاهر التبانـة ، عمَّره كتخدا بيك ، وبنى به قصرا فيقيم به غالب الأيام التى أقـامها بمصر ، وانقضت السنة وما تجدد فيها من استمرار المبتدعـات والمكوس والتحكير ، وإهمال السوقة والمتـسببين حتى عم غلو الأسعار فى كل شىء ، حتى بلغ سعر كل صـنف عشرة أمثال سعره فى الأيام الخالية مع الحجر على الإيراد وأسباب المعاش ، فلا يهنـأ بعيش فى الجملة إلا من كان مكاسا أو فى خدمة من خدم الـدولة ، مع كونه على خطـر ، فإنه وقع لكثير ممـن تقدم فى منصب أو خدمة أنه حوسب وأهين ، وألزم بما رافعـوه فيه ، وقد استهلكه فى نفقات نفسه وحواشيه ، فباع ما يملكه واستدان ، وأصبح ميؤوسا مديونا ، وصارت المعايش ضنـكا ،وخصـوصا الواقع فـى اختلاف المـعاملات والـنقود ، والزيـادة فى صرفـها وأسعارهـا ، واحتجاج الباعـة والتجار والمتـسببين بذلـك ، وبما حدث عليهـا من مال المكس مع طمعهم أيضًا ، وخصوصا سفلة الأسواق وبياعى الخضارات ، والجزارين، والزيـاتين ، فإنـهم يدفعـون ما هو مـرتب علـيهم لـلمحـتسب ميـاومة ومشـاهرة ، ويخلّصون أضعافه من الـناس ولا رادع لهم ؛ بل يسعرون لأنفسهم حـتى أنَّ البطيخ

(١) ذى الحجة ١٢٣٠ هـ / ٤ نوفمبر - ١ ديسمبر ١٨١٥ م (٢) ٤ ذى الحجة ١٢٣٠ هـ / ٧ نوفمبر ١٨١٥ م .
(٣) ٥ ذى الحجة ١٢٣٠ هـ / ٨ نوفمبر ١٨١٥ م . (٤) ١٥ ذى الحجة ١٢٣٠ هـ / ١٨ نوفمبر ١٨١٥ م .
(٥) ٢٠ ذى الحجة ١٢٣٠ هـ / ٢٣ نوفمبر ١٨١٥ م .

فى أوان كثرته ، تباع الـواحدة التى كانت تساوى نصفين بعـشرين وثلاثين ، والرطل من العنب الشرقاوى الذى كان يباع فى السابـق بنصف واحد ، يبيعونه يوما بعشرة ، ويوما باثنى عشر ، ويوما بثمانية ، وقس على ذلك الخوخ ، والبرقوق ، والمشمش، وأما الزبيب والتين واللـوز والبندق والجوز والأشياء التى يقال لها اليـميش التى تجلب من بلاد الروم ، فبلغـت الغاية فى الثمن بل قد لاتوجد فـى أكثر الأوقات ، وكذلك ما يجلب من الشام مثل : الملبن والقمـر الدين والمشمش الحموى والعناب ، وكذلك الفستق والصنوبر وغير ذلك مما يطول شرحه ، ويزداد بطول الزمان قبحه .

ذكر من مات فى هذه السنة [1]

ومـات، فى هذه السنة ، العلامة الأوحد ، والفهامة الأمجد ، محقق عصره ، ووحيد دهره ، الجـامع لأشتات العلوم ، والمـنفرد بتحقـيق المنطوق والمفهـوم ، بقية الفصحاء والفـضلاء المتقدمين ، والمتميز عـن المتأخرين ، الشيخ محمـد بن أحمد بن عرفة الـدسوقى المالـكى ، ولد ببلـدة دسوق من قرى مـصر ، وحضر إلـى مصر ، وحفظ الـقرآن وجوّده على الشـيخ محمد المنـير ، ولازم حضور دروس الشيـخ على الصعـيدى ، والشيخ الدرديـر ، وتلقى الكـثير من المعـقولات عن : الشيخ مـحمد الجناجى الشهيـر الشافعى ، وهو مالكى ، ولازم الوالد حسن الجـبرتى مدة طويلة ، وتلقى عنه - وبـواسطة الشيخ محمد بن إسـماعيل النفراوى - علم الحكـمة والهيئة والهندسة ، وفن التـوقيت ، وحضر عليه أيضًا فى فقه الحنفـية ، وفى المطول وغيره برواق الجبرت بـالأزهر ، وتصدر للإقراء والتـدريس وإفادة الطلبة ، وكـان فريدا فى تسهيل المعانى ، وتـبيين المبانى ، يفك كل مشكل بواضح تقريـره ، ويفتح كل مغلق برائق تحريره ، ودرسـه مجمع أذكياء الطلاب ، والمهرة مـن ذوى الأفهام والألباب ، مع لين جانـب وديانة وحسن خلق وتواضـع ، وعدم تصنع واطراح تكـلف ، جاريا على سـجيته لايرتـكب ما يتكـلفه غيره من الـتعاظم وفخـامة الألفاظ ، ولهـذا كثر الآخذون عليه والمـترددون إليه ، وله تآليفات واضـحة العبارات سهلة المآخـذ ملتزمة بتوضيح المشكل فمـن تآليفه : حاشية على مختصر السعد علـى التلخيص ، وحاشية على شرح الشـيخ الدردير على سيدى خليـل فى فقه المالكية ، وحاشـية على شرح الجلال المحلى على البردة ، وحـاشية على الكـبرى للإمـام السنوسـى ، وحاشية على شرحه للصغرى، وحاشية على شرح الرسالة الوضعية، هذا ما عنى بجمعه وكتابته ،

(١) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٢٣١ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة » .

ويبقى مسوَّدات لم يتيسر له جمعها ، ولم يزل على حالته فى الإفادة والإلقاء ، والإفتاء - وخطه حسن وخلقه أحسن - إلى أن تعلل ، وتوفى يوم الأربعاء الحادى والعشرين من شهر ربيع الثانى (١) ، وخرجوا بجنازته من درب الدليل (٢) ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بتربة المجاورين بالمدفن الذى بداخل المحل الذى يسمى بالطاولية ، وقام بكلفة تجهيزه وتكفينه ومصاريف جنازته ، ومدفنه ، الجناب المكرم السيد محمد المحروقى ، وكذلك مصاريف المأتم بمنزله ، وأرسل من قيده لذلك من أتباعه ، بإدارة المطبخ ولوازمه من الأغنام والسمن والأرز والعسل والحطب والفحم والقهوة ، وجميع الاحتياجات للمقرئين ، ومن يأتى لتعزية أولاده جزاه الله خيرا ، واستمر إجراؤه لذلك فى الثلاث جمع المعتادة بالمنزل ، وما يعمل فى صبح يوم الجمعة بالمدفن من الكعك والشريك الذى يفرق على الفقراء والحاضرين والتربة والخدَمة ، وقد رثاه أمثل من عنه أخذ ، وأكمل من له تتلمذ ، صاحبنا العلامة ، وصديقنا الفهامة ، المنفرد الآن بالعلوم الحكمية ، والمشار إليه فى العلوم الأدبية ، صاحب الإنشاء البديع ، والنظم الذى هو كزهر الربيع الشيخ حسن العطار ، حفظه الله من الأغيار بقوله شعراً :

أحَاديثُ دهرٍ قد ألمَّ فأوجَعَا ... وحلَّ بنادى جَمْعنَا فتَصدَّعَا
لقد صَالَ فينَا البينُ أعظمَ صَولَة ... فلمْ يخلُ مِن وقعِ المصيبةِ مَوْضعَا
وجَاءتْ خُطوبُ الدهرِ تَترى فكُلما ... مضى حادثٌ يَعقُبه آخرُ مسرعَا
وحَلَّ بِنا مَالم نكُن فى حسَابه ... مِنَ الدهرِ مَا أبكَى العيُونَ وأفزعَا
خُطوبُ زمَان لوْ تَمادى أقلُّهَا ... بشَامخِ رَضْوى أو ثَبِيرٍ تَضَعْضعَا
وأصبحَ شأنُ النَاسِ مَا بينَ عَائدٍ ... مَرِيضًا وثَانٍ للْحَبِيب مُشَيعًا
لَقدْ كَانَ روضُ العيشِ بالأمْنِ يانعاً ... فأضحَى هَشِيمًا ظلُّهَ متَقشّعَا
أيحسُنُ أن لا يبذُلَ الشخْصُ مُهجةً ... ويبكِى دَمًا أنْ أفنَت العَينُ أدمُعا
وقد سَارَ بالأحبابِ فى حينِ غَفْلةٍ ... سَرِيرُ المنَايَا عاجلاً مُتَسَرِّعَا
وفى كُل يوم روعةٌ بعد روعةٍ ... فللّه مَا قَاسَى الفؤادُ وروِّعا
عزاءٌ بَنِى الدنيا بفَقْد أئمةٍ ... لكَاسِ مَرِيرِ الموتِ كلٌّ تَجرَّعَا
يميناً لقدْ جَلَّ المصَابُ بشَيخِنَا الـ ... ـدسوقى وعادَ القلبُ بالهَم مترَعَا

---

(١) ٢١ ربيع الثانى ١٢٣٠ هـ / ٢ أبريل ١٨١٥ م .

(٢) درب الدليل : يعرف بعطفة الدليلة فى الجهة اليمنى من شارع الغريب .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٦ .

وشَابــتْ قــلُوبٌ لا مَفَارق عِنْدَمــا تَنــكّرت الأسْمــاعُ صَوتَ الــذى نَعَا

فــللنــاسِ عُذْرٌ فــى البُكَاء وللأسـى عــليــه وأمَّا فــى الــسّواء فَتــجْزَعَا

وكـيــفَ وقــدْ مــاتــتْ عُلُومٌ بِفَقْده لَــقَــدْ كَان فِيــهَا جَهْبَذِيــا سَمَيْذَعَا

فَمَنْ بَعْدهُ يــجلُو دجــنَّةَ شُبْهَةٍ ويــكْشِفُ عن ستــر الــدَّقائــق مَقْنَعَا

وإنْ ذُو اجْتهـــاد قــد تعثَّر فَهْمهُ فــيــاليــتَ شِعْرِى مَنْ يــقُولُ لــه لَعَا

يــقَررُ فـــى فَنِّ الــبيَان بِمَــنْطِقٍ بـــديـــعٌ مَعَانِيــه يتُوجِه مَسْمَعَا

وسَار مَسِيــرَ الــشَمْــسِ غُرُّ عُلُومه فــفِى كُلِّ أفْقٍ أشْرقَتْ فــيــه مَطــلَعَا

وأبــقَى بــتَآلِيــفَاته بَيــتَّنا هُدًى بــهَا يسْلُكُ الــطلابُ لــلحقِّ مَهْيــعَا

وحَلَّ بـــتـــحْرِيـــراته كُلَّ مُشْكلٍ فــلَمْ يبْقَ للإشــكَال فى ذاكَ مَطــمَعَا

فـــأىُّ كـــتـــابٍ لــم يَفُك خِتَامَهُ إذا مَا سِواهُ مــن تَعــاصِيــه ضَيــعَا

ومَن يــبــتَغِى تــعــدادَ حُسْنَ خِصَاله فــليـــسَ مَلُومًا إنْ أطــالَ وأشْبعَا

فَللــصِّدْق عونٌ لــلمَقَــال فــمنْ يــقُل أصَابَ مكــانَ الــقول فــيــه مُوسَعــا

تــواضَعَ لِلــطُّلاب فـــانْتَفَعُوا بـــه عـــلـــى أنـــهُ بِالحلْم زاد تَرَفُّعَا

وكــان حَلــيــمًا واسعَ الــصَّدر مَاجِدًا تَقِيًّا نَقِيًا زاهــــــــــدًا مُتورِّعَا

سعَى فــى اكْتساب الحمْد طُولَ حــياته ولــمْ نــرهُ فى غــيــرِ ذلــك قَد سَعَا

ولــمْ تُلْهِه الــدنــيــا بِزُخْرُفِ صُورَةٍ عــن الــعِلمِ كَيْمــا أنْ تَغُرَّ وتــخْدَعَا

لقد صرفَ الأوقاتَ فى الــعلمِ والتقَى فمَا أنْ لــها يــا صَاحِ أمسَى مُضَيــعَا

فــقــدنَاهُ لــكن نــفــعُه الــدهــرَ دائــمٌ ومــا مات مَن أبــقَى عُلُومًا لمــنْ وعَا

فــجُوزِىَ بــالحــسْنَى وتُوِّج بــالــرضَا وقُوبِلَ بـــالإكْرَامِ ممـــنْ لـــهُ دَعَا

ومات الأستاذ الفريد ، واللوذعى المجيد ، الإمــام العلامة ، والنحرير الفهامة ، الفقيه النحــوى ، الأصولى الجدلى المنطقى ، الشيخ محمــد المهدى الحفنى ، ووالده من الأقباط ، وأسلــم هو صغيرا دون البلوغ علــى يد الشيخ الحفنى ، وحــلت عليه أنظاره ، وأشرقت عليه أنواره ، وفارق أهله ، وتــبرأ منهم ، وحضنه الشيخ ورباه ، وأحبه واستمــر بمنزله مع أولاده ، واعتنى بــشأنه ، وقرأ القرآن ، ولما ترعــرع اشتغل بطلب العــلم ، وحفظ أباشجاع والفية النحو والمتون ، ولازم دروس الشــيخ وأخيه الشيخ يوسف وغيــرهما من أشياخ الوقت ، مثل : الشيخ العــدوى ، والشيخ عطية الأجهورى ، والــشيخ الدردير ، والــبيلى ، والجمــل ، والخرشى ، وعبد الــرحمن المقرئ ، والشــرقاوى وغيرهم ، واجتــهد فى التحصــيل ليلا ونهارا ، ومــهر وأنجب ولازم فى غالب مجالس الــذكر عن الشيخ الدردير بعد وفاة الشــيخ الحفنى ، وتصدر

للتدريس فى سنة تسعين ومائة وألف [1] ، ولما مات الشيخ محمد الهلباوى ، سنة اثنتين وتسعين [2] ، جلس مكانه بالأزهر ، وقرأ شرح الألفية لابن عقيل ، ولازم الإلقاء ، وتقرير الدروس مع الفصاحة ، وحسن البيان ، والتفهيم ، وسلاسة التعبير ، وإيضاح العبارات ، وتحقيق المشكلات ، ونما أمره ، واشتهر ذكره ، وبَعُد صيته ، ولم يزل أمره ينمو واسمه يسمو مع حسن السمت ، ووجاهة الطلعة ، وجمال الهيئة ، وبشاشة الوجه ، وطلاقة اللسان ، وسرعة الجواب ، واستحضار الصواب فى ترداد الخطاب ، ومسايرة الأصحاب ، وصاهر الشيخ محمد الحريرى الحنفى على ابنته ، وأقبلت عليه الدنيا ، وتداخل فى الأكابر ، ونال منهم حظا وافرا بحسن معاشرته ، وحلاوة ألفاظه ، وتنميق كلماته ، ويقضى أشغاله ، وقضاياه منهم ومن حواشيهم وحريماتهم ، ويخاطب كلا بما يليق به ويناسبه ، واتحد بإسماعيل بيك كتخدا حسن باشا الجزايرلى ، وعاشره وأكثر من التردداد عليه ، فلما أتته ولاية مصر ، واستقر بالقلعة ، واظب على الطلوع والنزول إلى القلعة، ويبيت عنده غالب الليالى ، وأنعم عليه بالخلع والعطايا والكساوى ، ورتب له وظائف فى الضربخانة والسلخانة والجوالى ، ووقع فى ولايته الطاعون الذى أفنى غالب أمراء مصر وأهلها ، وذلك سنة خمس ومائتين وألف [3] ، فاختص بما أحبه مما انحل عن الموتى من إقطاعات ورزق وغيرها ، وزادت ثروته ورغبته وسعيه فى أسباب تحصيل الدنيا ، وعانى الشركات والمتاجر فى كثير من الأشياء مثل : الكتان والقطن والأرز وغير ذلك من الأصناف ، والتزم بعدة حصص بالبحيرة ، مثل شابور ، وخلافها بالمنوفية ، والجيزة ، والغربية ، وابتنى دارا عظيمة بالأزبكية بناحية الرويعى بما يقابلها من الجهة الأخرى عند الساباط ، ولما حضرت الفرنساوية إلى الديار المصرية ، وجافهم الناس ، وخرج الكثير من الأعيان وغيرهم ، هاربا من مصر تأخر المترجم عن الخروج ، ولم يتقبض كغيره عن المداخلة فيهم ، بل اجتمع بهم وواصلهم وانضم إليهم وسايرهم ولاطفهم فى أغراضهم ، وأحبوه وأكرموه وقبلوا شفاعاته ووثقوا بقوله ، فكان هو المشار إليه فى دولتهم مدة إقامتهم بمصر ، والواسطة العظمى بينهم وبين الناس فى قضاياهم وحوائجهم ، وأوراقه وأوامره نافذة عند ولاة أعمالهم حتى لقب عندهم وعند الناس بكاتم السر ، ولما رتبوا الديوان الذى رتبوه لإجراء الأحكام بين المسلمين فى قضاياهم ودعاويهم ، كان هو المشار إليه فيه ، وخدمة الديوان الموظفون فيه تحت

---

(1) ١١٩٠ هـ / ٢١ فبراير ١٧٧٦ - ١٠ فبراير ١٧٧٧ م.

(2) ١١٩٢ هـ / ٣٠ يناير ١٧٧٨ - ١٩ يناير ١٧٧٩ م .

(3) ١٢٠٥ هـ / ١٠ سبتمبر ١٧٩٠ - ٣٠ اغسطس ١٧٩١ م

أوامره ، وإذا ركب أو مشى يمشون حوله وأمامه وبأيديهم العصى يوسعون له الطريق ، وراج أمره فى أيامهم جدا ، وزاد إيراده وجمعه ، واحتوى بلادا وجهات وأرزاقا وأقاموه وكيلا عنهم فى أشياء كثيرة ، وبلاد وقرى يجبى إليه خراجها ؛ وصرف عنها ما يصرفه ، ويأتيه الفلاحون منها ومن غيرها بالهدايا والأغنام والسمن والعسل وما جرت به العادة ، ويتقدمون إليه بدعاويهم وشكاويهم ويفعل بهم ما كان يفعله أرباب الالتزامات من الحبس والضرب ، وأخذ المصالح ، وصار له أعوان وأتباع وخدم من وجهاء الناس ومن دونهم ، يرسل منهم لجبى الأموال من القرى ، وفى مراسلاته فى القضايا العامة، ويبعث الأمان للفارين والهاربين والمتخوفين من الفرنسيس الراحلين إلى بلاد الشام ، والمختفين بالقرى من الأجناد وغيرهم ، ويرسل إليهم أوراقا بالعود إلى أوطانهم إما باستدعائهم وطلبهم ذلك ، وإما من باب الشفقة والمعروف منه عليهم ، ويحمى دورهم وحريمهم ، ويمانع عنهم فى غيابهم ، ويكون له المنة العظيمة التى يستحق بها الجوائز الجزيلة ، وبالجملة فكان بوجوده وتصدره فى تلك الأيام النفع العام ، سد بعقله ثقوبا واسعة وخروقا ، وداوى برأيه جروحا وفتوقا، لاسيما أيام الهيازع والخصومات والتنازع ، وما يكدر طباع الفرنساوية من مخارق الرعية ، فيتلافاه بمرَاهِم كلماته ، ويسكن حدتهم بملاطفاته ، ولما مضت أيامهم ، وتنكست أعلامهم ، وارتحلوا عن الأقطار المصرية ، ووردت الدولة العثمانية ، كان المترجم أعظم المتصدرين فى مقابلتهم ، وأوجه الوجهاء فى مخاطبتهم ومكالمتهم ، ولم يتأخر عن حالته فى ظهوره ، ولازمهم فى عشياته وبكوره ، وبهرهم بتحيله واحتياله ، واسترهبهم بسحره وحباله ، واتحد بشريف أفندى الدفتردار، وواظبه الليل والنهار ، وتمم معه أغراضه فى جميع تعلقاته ، وتقرير وظائفه والتزاماته ومسموحاته ، واستجد غير ذلك مما يتقيه من الديوان ، وكل ذلك من غير مقابلة ولا حلوان ، وتزوّج بعدة زوجات ورزق أولادا ذكورا وإناثا فمنهم : الشيخ محمد أمين ، وهو من ابنة الشيخ الحريرى ، وتمذهب حنفيا على مذهب جده ، وآخر يسمى محمد تقى الدين ، توفى فى حياة والده من نحو خمس عشرة سنة أو أكثر عن نحو عشرين سنة ، وكان مالكيا بإشارة أبيه ، والشيخ عبد الهادى ، وتوفى بعد أبيه ، وكان شافعى المذهب ، وعقدوا له درسا بعد موت أبيه ، فلم تطل أيامه ، وزوج أولاده وبناته ، وعمل لهم مهمات وأفراحا استجلب بها هدايا من أعيان المسلمين والنصارى والنساء الأكابر والتجار وغيرهم ، ثم احترقت داره التى أنشأها بالأزبكية فى حرابة الفرنساوية مع العثمانية والمصريين عند مجئ الوزير المرة الأولى ، فشرع فى بناء دار عند باب الشعرية ، ولم يتمها بَلْ تركها وأهملها وهى

منهدمة ، ولم يحدث بها شيئًا من الأبنية ، ثم إنَّه تزوّج بابنة الشيخ أحمد البشارى ، وكانت تحت بعض الأجناد فى دار جهة التبانة بالقرب من سوق السلاح ، وسويقة العزى ، يذهب إليها فى بعض الأحيان ، واشترى دارا عظيمة بناحية الموسكى ، وكانت لبعض عتقى بقايا الأمراء الأقدمين ، وهى دار واسعة الأرجاء ، ذات رحبتين متسعتين ، والرحبة الخارجة التى يسلك إليها من باب الزقاق الكبير على ظهر قنطرة الخليج التى تعرف الآن بقنطرة الحفناوى لقربها من داره ، وبهذه الدار مجالس ، وقيعان متسعة ، ومن جملتها قاعة عظيمة ذات ثلاث لواوين مفروشة أرضها وحيطانها بأنواع الرخام الملوّن والقيشانى ، مطلة على بستان عظيم مغروس بأنواع الأشجار ، وهو أيضًا من حقوق الدار ، وتنتهى حدود هذه الدار إلى حارة المناصرة [1] ، وإلى كوم الشيخ سلامة[2] ، وحارة الإفرنج من الناحية الأخرى ، ولما عمل بزارها ، وعقد عقد شرائها من أصحابها ودفع لهم بعض دراهم يقال لها العربون ، وكتب حجة المشترى وسكنها أخذ يوعدهم بدفع الثمن ويماطلهم كعادته فى دفع الحقوق ، ثم تركهم وسافر إلى دمياط ، وجعل يطوف البلاد التى تحت التزامه وغيرها مثل : المحلة الكبيرة ، وطندتا ، والإسكندرية ، وغاب نحو الخمس سنوات، ومات فى غيبته بعض أصحاب الدار التى اشتراها منه ، وبقى من مستحقيها امرأة ، فكانت تتظلم وتشتكى وتراسله ، فأعرضت أمرها لكتخدا بيك ، والباشا إلى أن حضر إلى مصر ، وقبضت منه وهى مطلة ما أمكنها من ثمن استحقاقها ، وبنى ابنه المسمى بأمين بقطعة من أرضها دارا جهة حارة المناصرة على البستان ، ومختلطة به ونافذة إليه ، وجعل لها بابا من المناصرة ينفذ منه إلى الأزبكية ، وقنطرة الأمير حسين ، أنفق عليها جملة كبيرة من المال ، بحيث إنَّ المرخمين أقاموا فى شغلهم نحو أربع سنوات خلاف من عداهم من أرباب الأشغال ، وتجهيز الأدوات من الأخشاب وغيرها ، من أنواع الاحتياجات ، ويتعاطى ابنه المذكور التجارة أيضًا ، والشركة فى كثير من الأصناف خلاف الإيراد الواسع الخاص به ، ولما رجع المترجم من سرحته إلى مصر ، أقام مصاحبا ليسير الخمول ، وتقيد لإلقاء الدروس بالأزهر أشهرا ، ويعانى مع ذلك الاشتغال والتولع بعلم الصنعة ، ومطالعة ما صنف فيها ، ويدبر مع بعض أصحابه فى دورهم بإغرائه من مالهم إلى أن بدت الوحشة بين الباشا والسيد عمر

---

(١) حارة المناصرة : حارة تقع بالقرب من سكة قنطرة الأمير حسين ، بقرب جامع المرصفى ، وتحديد موقعها واضح بالنص .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣١٣ .

(٢) كوم الشيخ سلامة : يقع بشارع العلوة من جهة اليمين ، وطوله (١٢٠ مترا) ، وبه أربع عطف ، ودرب يعرف بدرب الصاغة ، كلها غير نافذة .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣١٢ .

مكرم ، فتولى كبر السعى عليه سرا ، هو وباقى الجماعة حسدا وطمعا ليخلص لهم الأمر دونه ، حتى أوقعوا به كما تقدم ذكر ذلك فى حوادث سنة أربع وعشرين [1] ، وفى أثناء هذه الحادثة طلب من الباشا إذنا فى قبض استحقاقه من ثمن غلال الأنبار فى مدة غيابه ، فأمر بدفعها له من الخزينة نقدا بالثمن الذى قدره لنفسه ، وهو خمسة وعشرون كيسا ، وفى اليوم الذى خرج فيه السيد عمر ، أنعم عليه الباشا أيضًا بنظر وقف سنان باشا ، ونظر ضريح الشافعى بعرضه له بطلب النظرين ، وكانا تحت يد السيد عمر يتحصل منهما مال كثير ، وعند ذلك رجع إلى حالته الأولى التى كان قد انقبض عن بعضها من كثرة السعى والترداد على الباشا وأكابر دولته، فى القضايا والشفاعات وأمور الالتزام والفائظ والرزق والأطيان، وما يتعلق به فى بلاد الصعيد، والفيوم، ومحاسبة الشركاء، وازدحمت عليه الناس ، وشرع يقرأ بالأزهر ، فإذا حضر اجتمع حول درسه طابق من الناس ، فإذا فرغ تكبكب عليه أرباب الدعاوى والفتاوى ، فيكتب لهذا ، ويوعد ذاك ، ويسوف آخر ، يذهب من يريد أن يذهب معه لحاجته ، فيقطع نهاره وليله طوافا وسعيا وذهابا وإيابا لايستقر بمكان ، ولايعثر به صاحب حاجة إلا نادرا ولايبيت فى بيت من بيوته إلا فى الجمعة مرة أو مرتين ، ويتفق مجيئه إلى داره بعد العشاء الأخيرة ، وغالب لياليه فى غيرها ، وإذا غاب لايعلم طريقه إلا بعض أتباعه ، فيذهب إلى بولاق مثلا ، فيقيم بها عدة أيام وليالى، يتنقل فى الأماكن عند شركائه ، ومن يعاملهم من الأمناء والخصاصين والأبزار وغيرهم ، أو يذهب إلى بلده نهية بالجيزة أو غيرها فيقيم أياما أيضًا ، وهكذا دأبه قديما ، وإذا قيل له فى ذلك ، قال : « أنا بيتى ظهر بغلتى » ، وعلى ما كان فيه من الغنى ، وكثرة الإيراد والمصرف تراه مفقود اللذة ، عديم الراحة البدنية والنفسية ، وإنما ذلك لأولاده والمقيمين أيضًا بداره ، ويتفق أنه يذبح بداره الثلاثة أغنام لضيوف من النساء عند الحريم ، ولايأكل منها شيئًا بل يتركها ويذهب إلى بعض أغراضه ببولاق مثلا ، ويتغذى بالجبن الحلوم أو الفسيخ أو البطارخ ، ويبيت بأى مكان ، ولو على نخ أو حصير فى أى محل كان .

ولما مات ، الشيخ سليمان الفيومى عن زوجته المعروفة بالسحراوية ، وكانت من نساء القدماء مشهورة بالغنى وكثرة الإيراد ، وتزوجت بالشيخ الفيومى حماية لمالها ، وكانت طاعنة فى السن ، فاشترت له جارية بيضاء ، واعتقتها وزوجتها له ، ولم يدخل بها ، ومات عنهما ، وعن زوجته الأخرى ، ثم ماتت السحراوية المذكورة لا

(١) ١٢٢٤ هـ / ١٦ فبراير ١٨٠٩ - ٥ فبراير ١٨١٠ م .

عن وارث فى غضون طنطنة المترجم ، فوضع يده على دارها ومالها وجواريها ، وتعلقاتها من عقار والتزام وغيره ، وزوج الجارية لابنه عبد الهادى ، وكأنها سقطت بمالها ونوالها فى بئر عميق ، ولما جرد الباشا وعين العساكر إلى الحجاز مع ابنه طوسون باشا ، اختار أن يصحب معه من أهل العلم ، فكان المتعين لذلك المترجم مع السيد أحمد الطحطاوى ، وأنعم عليه بأكياس ، وترحيلة للنفقة ، فلما وقعت الهزيمة بالصفراء رجع مع الراجعين ، ولما توفى الشيخ الشرقاوى تعين المترجم لمشيخة الجامع ، ثم انتقضت عليه ، وقلدوها الشيخ الشنوانى كما تقدم ذكر ذلك ، فلم يظهر إلا الانشراح ، وعدم التأثر من الانكساف ، وحضر إليه الشيخ الشنوانى ، فخلع عليه فروة سمور خاص ، وزاد فى إكرامه ، وبآخرة تملك دارا بالكعكيين على شريطته فى مشترواته ، وهى التى كانت سكن الشيخ الحفنى قبل سكناه بالموسكى ، ثم تملكها الشيخ المرحوم عبد الرحمن العريشى ، ثم ابن الخنفرى ، ثم لا أدرى لمن آلت بعد ذلك ، فلما أخذها شرع فى تجديدها وتعميرها ، وفتح بها مرمة واسعة ، وأحضر أخشابا كثيرة ، وأحجارا وبلاطا ورخاما ، وبجانبها زاوية قديمة بها مدافن فهدمها وأدخلها فى الدار ، وأخرج عظام الموتى من قبورهم ودفنهم بترية المجاورين ، كما أخبرنى عن ذلك من لفظه ، وعمل مكان الزاوية قاعة لطيفة بخارجها فسحة يتوصل إليها من حوش الدار ، وجعل مكان القبور مخابى ، وعليها طوابق ، وأسكن فى تلك الدار إحدى زوجاته ، وهى التى كانت تحت الشيخ الدنجيهى الدمياطى تزوّج بها بدمياط ، وأحضرها إلى مصر ، وأسكنها بهذه الدار ، ومعها ضرتها التى كانت من شابور ، وأكثر من المبيت فيها مع استمرار العمارة ، فلما كان فى آخر المحرم [1] ، توعك أياما ، ثم عوفى ، وذهب إلى الحمام ، وهنأه الناس بالعافية ، ومشى إلى جيرانه ، يتحدث عندهم كعادته مثل الخواجا سيدى محمد بن الحاج طاهر ، والسيد صالح الفيومى ، فخرج ليلة الجمعة الثانى من شهر صفر [2] ، وذهب عند عثمان بن سلامة السنارى ، فتحدث عندهم حصة من الليل ، وتفكهوا ثم قام ذاهبا إلى داره ماشيا على أقدامه ، وصحبته صاحبنا الشيخ خليل الصفتى يحادثه حتى وصل إلى داره المذكورة ، وانصرف الشيخ خليل إلى داره أيضًا ، ومضى نحو ساعة ، وإذا بتابع الشيخ المهدى يناديه ويطلبه إليه ، فقام فى الحين ودخل إليه فوجده راقدا فى المكان الذى نبش من القبور ، فجس يده ، فقال له

(١) آخر محرم ١٢٣٠ هـ / ١٢ يناير ١٨١٥ م

(٢) ٢ صفر ١٢٣٠ هـ / ١٤ يناير ١٨١٥ م .

النساء : «إنه ميت» ، وأخبرت زوجته أنه جامعها ، ثم استلقى ، وفارق الدنيا ، وأرسلوا إلى أولاده فحضروا وحملوه فى تابوت إلى الدار الكبيرة بالموسكى ليلا ، وشاع موته ، وجهز وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل جدا ، ودفن عند الشيخ الحفنى بجانب القير ، فسبحان الحى الذى لايموت ، فرحم الله عبدا زهد فى الفانى ، وعمل لما بعده ، ونظر إلى هذه الدار بعين الاعتبار ، نسأله التوفيق والقناعة ، وحسن الخاتمة ، عن نحو خمس وسبعين سنة ، وحاصل أمر المرحوم المترجم ، إنَّه كان من فحول العلماء ، يدرس الكتب الصعاب فى المعقول والمنقول بالتحقيق والتدقيق ، ويقررها بالحاصل ، وانتفع عليه الكثير من الطلبة ، ومنهم الآن مدرسون مشتهرون ومميزون بين نظرائهم من أهل العصر ، ولو استمر على طريقة أهل العلم السابقين ، وبعض اللاحقين ، ولم يشتغل بالانهماك على الدنيا لكان نادرة عصره ، وأداه ذلك إلى قطع الاشتغال ، وإذا شرع فى الإقراء فلا يتم الكتاب فى الغالب ، ويحضر الدرس فى الجمعة يوما أو يومين ، ويهمل كذلك ، ولم يصنف تأليفا ولا رسالة فى فن من الفنون مع تأهله لذلك ، ولم يعان الشعر ولا النظم ، ونثره فى المراسلات ونحوها متوسط فى بعض القوافى السهلة ، وتقيد بقراءة الحِكَم لابن عطاء الله بعد العصر فى رمضان الثلاث سنين الأخيرة .

ومات ، الأستاذ العلامة ، والنحرير الفهامة ، الفقيه النبيه ، المهذب المتواضع ، الشيخ مصطفى بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الشهير بالصفوى القلعاوى الشافعى ، ولد فى شهر ربيع الأوّل من سنة ثمان وخمسين ومائة وألف [1] ، وتفقه على الشيخ الملوى ، والسحيمى ، والبراوى ، والحفنى ، ولازم شيخنا الشيخ أحمد العروسى ، وانتفع عليه ، وأذن له فى الفتيا عن لسانه ، وجمع من تقريراته ، واقتطف من تحقيقاته ، وألف وصنف ، وكتب حاشية على ابن قاسم الغزى على أبى شجاع فى الفقه ، وحاشية على شرح المطول للسعد التفتازانى على التخليص ، وشرح شرح السمرقندى على الرسالة العضدية فى علم الوضع ، وله منظومة فى آداب البحث وشرحها ، ومنظومة لمتن التهذيب فى المنطق ، وشرحها ، وديوان شعر سماه : «إتحاف الناظرين فى مدح سيد المرسلين» ، وعدة من الرسائل فى معضلات المسائل ، وغير ذلك ، وكان سكنه بقلعة الجبل ، ويأتى فى كل يوم إلى الأزهر للإقراء والإفادة ، فلما أمر الباشا سكان القلعة بإخلائها والنزول منها إلى المدينة ، فنزلوا إلى المدينة ، وتركوا دورهم وأوطانهم ، نزل المترجم مع من نزل ، وسكن

---

(1) ١١٥٨ هـ / ٣ فبراير ١٧٤٥ - ٢٣ يناير ١٧٤٦ م .

بحارة أمير الجيوش جهة باب الشعرية ، ولم يزل هناك حتى تمرض أياما ، وتوفى ليلة السبت سابع عشرى شهر رمضان [١] ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بزاوية الشيخ سراج الدين البلقينى بحارة بين السيارج [٢] ، رحمه الله تعالى ، فإنه كان من أحسن من رأينا سمتا وعلما وصلاحا ، وتواضعا وانكسارا ، وانجماعا عن خلطة الكثير من الناس ، مقبلا على شأنه ، راضيا مرضيا ، طاهرا تقيا ، لطيف المزاج جدا ، محبوبا للناس ، عفا الله عنه ، وغفر لنا وله .

ومات ، الشيخ الفاضل ، الأجل الأمثل ، والوجيه المفضل ، الشيخ حسين بن حسن كنانى بن على المنصورى الحنفى ، تفقه على خاله الشيخ مصطفى بن سليمان المنصورى ، والشيخ محمد الدلجى ، والشيخ أحمد الفارسى ، والشيخ عمر الدبركى ، والشيخ محمد المصيلحى ، وأقرأ فى فقه المذهب دروسا فى مجل جده لأمه بالأزهر ، وسكن داره بحارة الحبانية على بركة الفيل ، مع أخيه الشيخ عبد الرحمن ، ثم انتقلا فى حوادث الفرنساوية إلى حارة الأزهر ، ولما كانت حادثة [نَفْي] السيد عمر مكرم النقيب من مصر إلى دمياط ، وكتبوا فيه عرضا للدولة ، وامتنع السيد أحمد الطحطاوى من الشهادة عليه كما تقدم ، وتعصبوا عليه ، وعزلوه من مشيخة الحنفية قلدوها المترجم ، فلم يزل فيها حتى تمرض وتوفى يوم الثلاثاء تاسع عشرى المحرم [٣] ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بتربة المجاورين ، رحمه الله وإيانًا .

ومات ، البليغ النجيب ، والنبيه الأريب ، نادرة الزمان ، وفريد الأوان ، وأخونا ومحبنا فى الله تعالى ، ومن أجله ، السيد إسماعيل بن سعد ، الشهير بالخشاب ، كان أبوه نجارا ، ثم فتح له مخزنا لبيع الخشب تجاه تكية الكلشنى بالقرب من باب زويلة، وولد له المترجم وأخواه : إبراهيم ومحمد ، وهو أصغرهما ، فتولع السيد إسماعيل المترجم بحفظ القرآن ، ثم بطلب العلم ، ولازم حضور السيد على المقدسى وغيره من أفاضل الوقت، وأنجب فى فقه الشافعية ، والمعقول بقدر الحاجة، وتثقيف اللسان والفروع الفقهية الواجبة والفرائض، وتنزل فى حرفة الشهادة بالمحكمة الكبيرة ، لضرورة التكسب فى المعاش ، ومصارف العيال ، وتمسك بمطالعة الكتب الأدبية والتصوّف والتاريخ ، وأولع بذلك ، وحفظ أشياء كثيرة من الأشعار والمراسلات ، وحكايات الصوفية ، وما تكلموا فيه من الحقائق ، حتى صار نادرة

---

(١) ٢٧ رمضان ١٢٣٠ هـ / ٢ سبتمبر ١٨١٥ م .

(٢) حارة بين السيارج : شارع يبتدئ من آخر شارع باب الفتوح ، وأول شارع الكبلاتى ، وينتهى لأول شارع القراخة .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢١ .

(٣) ٢٩ محرم ١٢٣٠ هـ / ١١ يناير ١٨١٥ م .

عصره فى المحاضرات والمحاورات ، واستحضار المناسبات والماجريات ، وقال الشعر الرائق ، ونثر النثر الفائق ، وصحب - بسبب ما احتوى عليه من دماثة الأخلاق ، ولطف السجايا ، وكرم الشمائل ، وخفة الروح - كثيرا من أرباب المظاهر والرؤساء من الكتاب والأمراء ، والتجار ، وتنافسوا فى صحبته ، وتفاخروا بمجالسته ، ومنهم مصطفى بيك المحمدى أمير الحاج ، وحسن أفندى العربية ، وشيخ السادات ، وغيرهم من الأماثل فيرتاحون لمنادمته ، ويتنقلون على طيب مفاكهته ، وحسن مخاطبته ، ولطف عباراته ، وكان الوقت إذ ذاك غاصا بالأكابر والرؤساء ، وأرباب الفضائل ، والناس فى بلهنية من العيش ، وأمن من المخاوف والطيش ، وللمترجم رحمه الله قوّة استحضار فى إبداء المناسبات ، بحسب ما يقتضيه حال المجلس ، فكان يجانس ويشاكل كل جليس بما يدخل عليه السرور فى الخطاب ، ويجلب عقله بلطف محادثته كما يفعل بالعقول الشراب ، ولما رتب الفرنساوية ديوانا لقضايا المسلمين ، تعين المترجم فى كتابة التاريخ لحوادث الديوان ، وما يقع فيه من ذلك اليوم ؛ لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية فى جميع دواوينهم ، وأماكن أحكامهم ، ثم يجمعون المتفرق فى مخلص ، يرفع فى سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة ، يوزعونها فى جميع الجيش حتى لمن يكون منهم فى غير المصر من قرى الأرياف ، فتجد أخبار الأمس معلومة للجليل والحقير منهم ، فلما رتبوا ذلك الديوان كما ذكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر فى المجلس من أمر أو نهى أو خطاب أو جواب أو خطأ أو صواب ، وقرروا له فى كل شهر سبعة آلاف نصف فضة ، فلم يزل متقيدا فى تلك الوظيفة مدة ولاية عبدالله جاك منو ، حتى ارتحلوا من الإقليم مضافة لما هو فيه من حرفة الشهادة بالمحكمة ، وديوانهم هذا ضحوة يومين فى الجمعة ، فجمع من ذلك عدة كراريس ، ولا أدرى ما فعل بها ، وبعد أن رجع صاحبنا العلامة الشيخ حسن العطار من سياحته مازج المذكور وخالطه ورافقه ووافقه ولازمه ، فكان كثيرا ما يبيتان معا ، ويقطعان الليل بأحاديث أرق من نسيم السحر ، وألطف من اتساق نظم الدرر ، وكثيرا ما كانا يتنادمان بدارى ، لما بينى وبينهما من الصحبة الأكيدة ، والمودة العتيدة ، فكانا يرتاحان عندى ، ويطرحان التكلفات التى هى على النفس شديدة ، ويتمثلان بقول من قال :

فىَّ انقباضٌ وحشمةٌ فإذا ... رأيتُ أهلَ الوفاء والكرمِ
أرسلتُ نفسى على سَجيتها ... وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحتشِمِ

ثم يتجاذبان أطراف الكلام ، فيجولان فى كل فن من الفنون الأدبية ، والتواريخ

والمحاضرات ، فتارة يتشاكيان تغير الزمان ، وتكدر الإخوان ، وأخرى يترنمان بمحاسن الغزلان ، وما وقع لهما من صد وهجران ، ووصل وإحسان ، فكانت تجرى بينهما منادمات أرق من زهر الرياض ، وأفتك بالعقول من الحدق المراض ، وهما حينئذ فريدا وقتهما ، ووحيدا مصرهما ، لم يعززا فى ذلك الوقت بثالث ، إذ ليس ثَم من يدانيهما فضلا عن مساواتهما فى تلك الشؤن التى أربت على المثانى والمثالث ، واستمرت صحبتهما ، وتزايدت على طول الأيام مودتهما ، حتى توفى المترجم وبقى بعده الشيخ حسن فريدا عمن يشاكله ويناشده ، ويتجارى معه ، ويحاوره ، فسكت بعد حسن البيان ، وترك نظم الشعر والنثر ، إلا بقدر الضرورة ونفاق أهل العصر ، وذلك لتفاقم الخطوب ، وتزايد الكروب ، وفقد الإخوان ، وعدم الخلان ، واشتغل بما هو خير من ذلك وأبقى ثوابا فيما هنالك من تقرير العلوم وتحقيقها ، والتأليفات المتنوعة فى الفنون المختلفة وتنميقها ، وهو الآن على ما هو عليه من السعى فى خدمة العلم وإقراء الكتب الصعبة ، وله بذلك شهرة بين الطلاب ، وقد جمع المذكور للمترجم ديوان شعره وهو صغير الحجم له شهرة بين المتأدبين بمصر ، ولهم به عناية ووفور رغبة ، وقد كان له فيه غلو زائد [1] ، وتأدب فى الجلوس والحديث انتقد فيه وليم عليه هذه الأمور ، حتى كان لايخاطبه إلا بضمير الغيبة ، حتى ربما وقع فى ذلك بعض آيات وأحاديث ، كما قدمنا الإشارة بذلك فى ترجمته ، وكان ذلك يوافق غرضه لما جبل عليه من التعاظم ، وقد كان جلساؤه لما رأوا محبته لذلك يتشبهون بالمترجم فى سلوك هذه الشؤون ، مع أنه لاداعى ولا باعث لارتكاب هذه المعاصى ، طلبا لمرضاة من هو كثير التلوّن على جلسائه ، وإنما الناس شأنهم التقليد ، وفى طباعهم الميل إلى أرباب الدنيا ، ولو لم ينلهم منها شيء ، ولم يكن للمترجم شيء يعاب به إلا هذه الارتكابات ، ولما وردت الفرنساوية لمصر ، اتفق أن علق شابا من رؤساء كتابهم ، كان جميل الصورة لطيف الطبع عالما ببعض العلوم العربية ، مائلا إلى اكتساب النكات الأدبية ، فصيح اللسان بالعربى ، يحفظ كثيرا من الشعر ، فلتلك المجانسة مال كل منهما للآخر ، ووقع بينهما توادد وتصاف حتى كان لايقدر أحدهما على مفارقة الآخر ، فكان المترجم تارة يذهب لداره ، وتارة يزوره هو ويقع بينهما من لطف المحاورة ما يتعجب منه ، وعند ذلك قال المترجم الشعر الرائق ، ونظم الغزل الفائق ، فمما قاله فيه :

---

(1) كتب أمام هذه العبارة بهامش ص ٢٣٩ ، طبعة بولاق « وقد كان له فيه .. إلخ هكذا بالنسخ ، ولم يظهر مرجع الضميرين ، ولعل هنا سقطا ، والضمير الأول يرجع للمترجم ، والثانى لأبى الأنوار شيخ السادات ، كما أشار إلى ذلك فى ترجمة أبى الأنوار فى ١٢٢٨ أهـ » .

عُلِّقتهُ لؤلؤيَّ الثغرِ باسمهُ فيه خلعتُ عذارى بل حلاَ نُسُكى
مَلَّكته الروحَ طوعًا ثم قلتُ له متى ازديارُك لى أفديك من مَلَكِ
فقال لى وحُميًّا الراحِ قد عقلَتْ لسانَهُ وهو يثنى الجيدَ من ضحِكِ
إذا غزا الفجرُ جيشَ الليلِ وانهزمَتْ منهُ عساكرُ ذاك الأسود الحلكِ
فجاءنى وجبينُ الصبحِ مُشْرقةٌ عليه من شغف آثارُ مُعتَرَكِ
فى حُلةٍ من أديم الليلِ رصَّعها بمثلِ أنجُمِه فى قُبَّة الفَلَكِ
فخِلْت بَدرًا به حفَّت نجومُ دُجا فى أسودٍ من ظلامِ الليل مُحتَبِكِ
وافَى وولَّى بعقلٍ غيرَ مُختَبِلٍ من الشرابِ وسترٍ غيرَ مُنهتِكِ

وله فى آخر يسمى ريج :

أدِرْها على زهرِ الكواكبِ والزهرِ وإشراقِ ضوءِ البدرِ فى صفْحَة النهرِ
وهاتِ على نَغَمِ المثانى فَعاطنى على خَدك المحمَرِّ حمراءَ كالجمرِ
وموِّه لُجينَ الكاسِ من ذهَبِ الطِّلا وخَضِّبْ بنانى من سَنا الراحِ بالتِّبرِ
وهاكَ عقودًا من لآلى حُبابِها فمُ الكأسِ عنها قد تبسَّم بالبِشْرِ
ومَزِّقْ رداءَ الليلِ وامحُ بنورِها دُجاه وطُفْ بالشمسِ فينا إلى الفجرِ
وأَصْلِ بنارِ الخدِّ قلبى وأطفه ببَردِ ثَنَاياكَ الشهيةِ والثغرِ
أريجُ ذَكِىِّ المسكِ أنفاسُك التى أريجُ شذاها قد تبسَّمَ عن عطرِ
معنبرةٌ يسرى النسيمُ بطيبِها فتغدو رياضُ الزهرِ طيِّبةَ النشْرِ
وبى ذابلُ الأجفانِ كالبيضِ طرفُهُ مُكَحَّلةٌ أجفانُه السُّودُ بالسحْرِ
رشًا فاتكُ الألحاظ عيناهُ غادرتْ فؤادى فبى دمعى دمًا سائلاً يجرى
طويلُ نجادِ السيفِ ألمىَ مُحجَّبٌ شقيقُ المها زاهى البهَا ناحلُ الخصْرِ
رقيقُ حواشِى الطبعِ يُغْنى حديثُه عن اللؤلؤ المنظومِ والنظْمِ والنثْرِ
يُعيرُ الرماحَ اللينَ عادلُ قدِّه ويزرى الدَرارى ضوءُ مَبْسَمه الدرِّ
وتحكيه أغصانُ الربا فى شمائلٍ فيرفُل فى أثوابِ أوراقِها الخضْرِ
وفوق سنَى ذاك الجبينِ غياهبٌ من الشَّعْرِ تبدو دونَها طلعةُ البدْرِ
ولما وقفْنا للوداعِ عشيَّةً وأمسى بروحى يومَ جدَّ النوى سيْرى
تباكَى لتوديعٍ فأبدَى شقائقًا مُكَلَّلةً من لؤلؤ الطلِّ بالقطْرِ

ولما نظم الشيخ حسن موشحته التى يقول فيها شعراً :

أمَّا فؤادى فعنكَ ما انتقلا فلمْ تخيَّرتَ فى الهوَى بدَلاً فاعجب
يا مُعرضًا عن محبَّة الدنف ومُغْرمًا بالجمالِ والصلَف
ومَنْ به زادَ فى الهوَى شغَفى أما كفَى يا ظلومُ ما حصَلاَ

حتى جَعلْتَ الصُّدودَ والملَلاَ — مذهب

فَتِشْ فؤادي فلَيسَ فيه سِوَى شَخْصِكَ أيها المليحُ ثَوَى
قد ضَلَّ قَلْبِي لسكنه وغَوى وهكذا مَن يُحِبُّ مُعْتَدِلا

لم يلق إلا تأسفا وقلا — مشرب

وهي طويلة مذكورة في ديوانه عارضه المترجم المذكور بقوله في معشوقه الذى ذكرناه:

يهتزْ كالغُصْنِ مَاسَ مُعتَدِلا أطلعَ بَدْرا عليه قَدْ سَدَلا
يُزْرِي بِسُمْرِ الرِّماحِ إنْ خَطَرَا سَاحِرُ جفْنٍ لمهْجَتِي سَحَرَا
عَلَّم عَيني البُكَاءَ والسَّهَرا فكَيفَ أبغِي بِحُبِّه بَدَلاَ

وليس لى عنه جار أو عدلا — مهرب

وضَّاحُ نورِ الجبينِ أبلجُهُ أغيَدُ عذْبُ الرضَابِ أفلَجُه
وجهُ غرامي عليه متّجِه فلستُ أصغِي لعاذلٍ عَذَلاَ

كلا وعنه فلا أحول ولا — أرغب

وبقيتها فى ديوانه وقال فيه أيضًا وهو مما يعتني به :

أدِرْها على زُهر الكواكب والزَّهر وإشراقِ نورِ البدرِ فى صفْحَةِ النهرِ

إلى آخرها ، ولم يزل المترجم على حالته ، ورقته ولطافته مع ما كان عليه من كرم النفس والعفة والنزاهة ، والتولع بمعالى الأمور والتكسب ، وكثرة الإنفاق وسكنى الدور الواسعة ، والحزم ، وكان له صاحب يسمى أحمد العطار بباب الفتوح، توفى وتزوج هو بزوجته ، وهى نصف ، وأقام معها نحو ثلاثين سنة ، ولها ولد صغير من المتوفى فتبناه ورباه ورفهه بالملابس ، وأشفق به أضعاف والد بولده ، ولما بلغ عمل له مهما وزوجه ، ودعا الناس إلى ولائمه ، وأنفق عليه فى ذلك إنفاقا كثيرة ، وبعد نحو سنة تمرض ذلك الغلام أشهرا فصرف عليه وعلى معالجته جملة من المال ، ومات فجزع عليه جزعا شديدا ، ويبكى وينتحب ، وعمل له مأتما وعزاء ، واختارت أمه دفنه بجامع الكردى بالحسينية ، ورتبت له رواتب وقراء ، واتخذت مسكنا ملاصقا لقبره أقامت به نحو الثلاثين سنة ، مع دوام عمل : الشريك والكعك بالعجمية ، والسكر ، وطبخ الأطعمة للمقرئين ، والزائرين ، ثم ملازمة الميت ، واتخاذ ما ذكر فى كل جمعة على الدوام ، والمترجم طوع يدها فى كل ما طلبته ، وما كلفته به تسخيرا من الله تعالى ، وكل ما وصل إلى يده من حرام أو حلال فهو مستهلك عليها ، وعلى أقاربها ، وخدمها لا لذة له فى ذلك حسية ولا معنوية ، لأنها فى ذاتها عجوز شوهاء ، وهو فى نفسه نحيف البنية ضعيف الحركة جدا بل

معدومها ، وابتلى بحصر البول ، وسلسه القليل مع الحرقة والتألم ، استدام بها مدة طويلة ، حتى لزم الفراش أياما ، وتوفى يوم السبت ثانى شهر الحجة الحرام (١) ، بمنزله الذى استأجره بدرب قرمز (٢) ، بين القصرين ، وصلينا عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن عند إبنه المذكور بالحسينية ، وكثيرا ما كنت أتذكر قول القائل :

ومَنْ تَراهُ بأولادِ السُّوَى فَرِحًا ... فِى عَقْلِه عَزه إنْ شِئْتَ وانْتَدبِ
أولادُ صُلْبِ الفَتَى قَلَّتْ مَنَافِعُهُم ... فكيفَ يلْمَحُ نَفْعُ الأَبْعَدِ الجنبِ

مع أنه كان كثير الانتقاد على غيره فيما لايدانى فعله ، وانقياده إلى هذه المرأة وحواشيها نسأل الله السلامة والعافية ، وحسن العاقبة كما قيل من تكملة ما تقدم :

فَلا سُرورَ سِوى نَفْعٍ بَعافِيةٍ ... وحُسْنِ خَتْمٍ ومَا يأتى مِن الشَّغَبِ
وأمْنِ نكْرٍ نكِيرِ القَبرِ ثُمَّةَ ما ... يكونُ بعدُ مِن الأهوالِ والتعَبِ

واستهلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف (٣)

استهل شهر المحرم بيوم السبت (٤) ، وحاكم مصر وصاحبها وإقطاعها وثغورها ، وكذلك بندر جدة ومكة والمدينة المنورة وبلاد الحجاز محمد على باشا ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولاظ محمد الذى هو كتخدا بيك قائمقامه ، هو المتصدر لإجراء الأحكام بين الناس عن أمر مخدومه ، وإبراهيم أغا أغات الباب ، والدفتردار محمد أفندى صهر الباشا ، والروزنامجى مصطفى أفندى تابع محمد أفندى باش جاكرت سابقا ، وغيطاس أفندى سرجى ، وسليمان أفندى الكماخى باشمحاسب ، ورفيقه أحمد أفندى باش قلفة ، وصالح بيك السلحدار ، وحسن أغا أغات الينكجرية ، وعلى أغا الشعراوى ، وزعيم مصر وهو الوالى ، وأغات التبديل أحمد أغا ، وهو أخو حسن أغا المذكور ، وكاتب الخزينة ، ولى خوجه ، ورئيس كتبة الأقباط المعلم غالى ، وأولاد الباشا إبراهيم باشا حاكم الصعيد ، وطوسون باشا فاتح بلاد الحجاز ، وإسماعيل باشا ببولاق ، ومحرم بيك صهر الباشا أيضًا على ابنته بالجيزة ، وأحمد أغا المعروف ببونابارته الخازندار ، وباقى كشاف الأقاليم وأكابر أعيانهم مثل : دبوس أوغلى ، وحسن أغا سرششمه ، وحجو بيك ، ومحو بيك ، وخلافهم .

(١) ٢ ذى الحجة ١٢٣٠ هـ / ٥ نوفمبر ١٨١٥ م .

(٢) درب قرمز : يقع فى أول جهة اليسار ، بشارع النحاسين ، وهو درب كبير غير نافذ .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٠ .

(٣) ١٢٣١ هـ / ٣ ديسمبر ١٨١٥ - ٢٠ نوفمبر ١٨١٦ م . (٤) ١ محرم ١٢٣١ هـ / ٣ ديسمبر ١٨١٥ م .

وفي ذلك اليوم (١) ، قبض كتخدا بيك على المعلم غالى ، وأمر بحبسه ، وكذلك أخوه المسمى فرنسيس ، وخازنداره المعلم سمعان ، وذلك عن أمر مخدومه من الإسكندرية ، لأنه حول عليه الطلب بستة آلاف كيس ، تأخر أداؤها إياه من حسابه القديم ، فاعتذر بعدم القدرة على أدائها فى الحين ، لأنها بواقى على أربابها ، وهو ساع فى تحصيلها ، ويطلب المهلة إلى رجوع الباشا من غيبته ، فأرسل الكتخدا بمقالته واعتذاره إلى الباشا ، وانتبذ طائفة من الأقباط فى الحط على غالى مع الكتخدا وعرفوه أنه إذا حوسب يظهر عليه ثلاثون ألف كيس ، فقال لهم : « إنْ لم يتأخر عليه هذا القدر تكونوا ملزومين به إلى الخزينة » ، فأجابوه إلى ذلك ، فأرسل يعرف الباشا بذلك ، فورد الأمر بالقبض عليه وعلى أخيه وخازنداره وحبسهم وعزله ، ومطالبته بستة آلاف كيس القديمة أولاً ، ثم حسابه بعد ذلك ، فأحضر المرافعين عليه، وهم المعلم جرجس الطويل ، ومنقريوس البتنونى ، وحنا الطويل ، وألبسهم خلعا على رياسة الكتاب عوضا عن غالى ومن يليه ، واستمر غالى فى الحبس ، ثم أحضره مع أخيه وخازنداره ، فضربوا أخاه أمامه ، ثم أمر بضربه ، فقال : « وأنا أضرب أيضًا » ، قال : « نعم » ، ثم ضربوه على رجليه بالكرابيج ، ورفع وكرر عليه الضرب ، وضرب سمعان ألف كرباج ، حتى أشرف على الهلاك ، ووجدوا فى جيبه ألف مشخص بندقى ومائتى محبوب ، عنها اثنان وعشرون ألف قرش ، ثم بعد أيام أفرجوا عن أخيه ، وسمعان ، ليسعيا فى التحصيل ، وهلك سمعان ، واستمر غالى فى السجن ، وقد رفعوا عنه وعن أخيه العقاب لئلا يموتا .

وفى عاشره (٢) ، رجع الباشا من غيبته من الإسكندرية ، وأوّل ما بدأ به إخراج العساكر مع كبرائهم إلى ناحية بحرى ، وجهة البحيرة ، والثغور ، فنصبوا خيامهم بالبر الغربى والشرقى تجاه الرحمانية ، وأخذوا صحبتهم مدافع وبارود وآلات الحرب، واستمر خروجهم فى كل يوم ، وذلك من مكايده معهم ، وإبعادهم عن مصر ، جزاء فعلتهم المتقدمة فخرجوا أرسالا .

واستهل شهر صفر الخير سنة ١٢٣١ (٣)

فيه (٤) ، تشفع جونى الحكيم فى المعلم غالى ، وأخذه من الحبس إلى داره ، والعساكر مستمرون فى التشهيل والخروج ، وهم لايعلمون المراد بهم ، وكثرت الروايات والأخبار والإيهامات والظنون ، ومعنى الشعر فى بطن الشاعر .

(١) ١ محرم ١٢٣١ هـ / ٣ ديسمبر ١٨١٥ م .
(٢) ١٠ محرم ١٢٣١ هـ / ١٢ ديسمبر ١٨١٥ م .
(٣) صفر ١٢٣١ هـ / ٢ يناير - ٣٠ يناير ١٨١٦ م .
(٤) ١ صفر ١٢٣١ هـ / ٢ يناير ١٨١٦ م .

واستهل شهر ربيع الأول سنة ١٢٣١ [١]

فيه [٢] ، سافر طوسون باشا وأخوه إسماعيل باشا إلى ناحية رشيد ، ونصبوا عرضيهما عند الحماد ، وناحية أبي منصور ، وحسين بيك دالى باشا وخلافه مثل : حسن أغا أرزجنلي ، ومحو بيك ، وصارى جله ، وحجو بيك بجهة البحيرة ، وكل ذلك توطين وتلبيس للعساكر بكونه أخرج حتى ولده العزيز للمحافظة ، وكذلك الكثير من كبرائهم إلى جهة البحر الشرقى ودمياط .

وفى ثانى عشره [٣] ، صبيحة المولد النبوى ، طلب الباشا المشايخ ، فلما جلسوا مجلسهم ، وفيهم الشيخ البكرى ، أحضروا خلعة ، وألبسوها له على منصب نقابة الأشراف عوضا عن السيد محمد المحروقى ، وفاوضه فى ذلك ، ورأى أن يقلده إياه فاعتذر السيد محمد المحروقى ، واستعفى ، وقال أنا متقيد بخدمة أفندينا ، ومهمات المتاجر ، والعرب والحجاز ، فقال : « قد قلدتك إياها فأعطها لمن شئت » ، فذكر أنها كانت مضافة للشيخ البكرى ، وهو أولى من غيره ، فلما حضروا وتكاملوا ألبسوه الخلعة واستصوب الجماعة ذلك وانصرفوا .

وفى الحال ، كتب فرمان بإخراج الدواخلى منفيا إلى قرية دسوق ، فنزل إليه السيد أحمد الملا الترجمان وصحبته قواس تركى ، وبيده الفرمان ، فدخلوا إليه على حين غفلة ، وكان بداخل حريمه ، ولم يشعر بشىء مما جرى ، فخرج إليهم ، فأعطوه الفرمان ، فلما قرأه غاب عن حواسه ، وأجاب بالطاعة ، وأمروه بالركوب فركب بغلته ، وسارا به إلى بولاق إلى المنزل الذى كان شراه بعد موت ولده ، والشيخ سالم الشرقاوى ، وانسل مما كان فيه كانسلال الشعرة من العجين ، وتفرق الجمع الذى كان حوله ، وشرع الأشياخ فى تنميق عرضحال عن لسانهم بأمر الباشا بتعداد جنايات الدواخلى وذنوبه ، وموجبات عزله ، وأنَّ ذلك بترجيهم والتماسهم عزله ونفيه ، ويرسل ذلك العرضحال لنقيب الأشراف بدار السلطنة ، لأن الذى يكون نقيبا بمصر نيابة عنه ، ويرسل إليه الهدية فى كل سنة ، فالذى نقموه عليه من الذنوب أنَّه تطاول على حسين أفندى شيخ رواق الترك ، وسبه وحبسه من غير جرم ، وذلك أنَّه اشترى منه جارية حبشية بقدر من الفرانسة ، فلما أقبضه الثمن أعطاه بدلها قروشا بدون الفرط الذى كان بين المعاملتين ، فتوقف السيد حسين ،

---

(١) ربيع الأول ١٢٣١ هـ / ٣١ يناير - ٢٩ فبراير ١٨١٦ م .

(٢) ١ ربيع الأول ١٢٣١ هـ / ٣١ يناير ١٨١٦ م .   (٣) ١٢ ربيع الأول ١٢٣١ هـ / ١١ فبراير ١٨١٦ م .

وقال : « إما تعطينى العين التى وقع عليها الانفصال ، أو تكمل فرط النقص » ، وتشاحا وأدى ذلك إلى سبه وحبسه ، وهو رجل كبير متضلع ، ومدرس ، وشيخ رواق الأتراك بالأزهر ، وهذه القضية سابقة على حادثة نفيه بنحو سنتين .

ومنها ، أيضًا أنه تطاول على السيد منصور اليافى ، بسبب فتيا رفعت إليه ، وهى أنَّ امرأة وقفت وقفا فى مرض موتها ، وأفتى بصحة الوقف على قول ضعيف ، فسبه فى ملأ من الجمع ، وأراد ضربه ، ونزع عمامته من على رأسه .

ومنها : أيضًا أنه يعارض القاضى فى أحكامه ، وينقص محاصيله ، ويكتب فى بيته وثائق وقضايا صلحا ، ويسب أتباع القاضى ورسل المحكمة ، ويعارض شيخ الجامع الأزهر فى أموره ، ونحو ذلك ، وعندما سطروه وتمموه وضعوا عليه ختومهم ، وأرسلوه إلى إسلامبول ، على أنَّ جناياته عند الباشا ليست هذه النكات الفارغة ، بل ولا علم له بها ولا التفات ، وإنما هى أشياء وراء ذلك كله ظهر بعضها ، وخفى عنا باقيها ، وذلك أنَّ الباشا يحب الشوكة ونفوذ أوامره فى كل مرام ، ولايصطفى ويحب إلا من لايعارضه ولو فى جزئية ، أو يفتح له بابا يهب منه ريح الدراهم والدنانير ، أو يدله على ما فيه كسب أو ربح من أىّ طريق أو سبب ، من أى ملة كان ، ولما حصلت واقعة قيام العسكر فى أواخر السنة الماضية ، وأقام الباشا بالقلعة يدبر أمره فيهم ، وألزم أعيان المتظاهرين الطلوع إليه فى كل ليلة ، وأجَلُّ المتعممين الدواخلى ، لكونه معدودا فى العلماء ، ونقيبا على الأشراف ، وهى رتبة الوالى عند العثمانيين ، فداخله الغرور وظن أن الباشا قد حصل فى ورطة يطلب النجاة منها بفعل القربات والنذور ، ولكونه رآه يسترضى خواطر الرعية المنهوبين ، ويدفع لهم أثمانها ، ويستميل كبار العساكر ، وينعم عليهم بالمقادير الكثيرة من أكياس المال ، ويسترسل معه فى المسامرة والمسايرة ولين الخطاب والمذاكرة والمضاحكة ، فلما رأى إقبال الباشا عليه زاد طمعه فى الاسترسال معه فقال له : « الله يحفظ حضرة أفندينا وينصره على أعدائه ، والمخالفين له ، ونرجو من إحسانه بعد هدوّ سره وسكون هذه الفتنة ، أنْ ينعم علينا ، ويجرينا على عوائدنا فى الحمايات والمسامحات فى خصوص ما يتعلق بنا من حصص الالتزام والرزق » ، فأجابه بقوله : « نعم يكون ذلك ، ولابد من الراحة لكم ، ولكافة الناس » ، فدعا له وأنس فؤاده ، وقال : « الله تعالى يحفظ أفندينا وينصره على أعدائه ، كذلك يكون تمام ما أشرتم به من الراحة لكافة الناس الإفراج عن الرزق الأحباسية على المساجد والفقراء » ، فقال : « نعم » ، ووعده مواعيده العرقوبية ، فكان الدواخلى

إذا نزل من القلعة إلى داره يحكى فى مجلسه ، ما يكون بينه وبين الباشا من أمثال هذا الكلام ويذيعه فى الناس ، ولما أمر الباشا الكتاب بتحرير حساب الملتزمين على الوجه المرضى بديوان خاص لرجال دائرة الباشا وأكابر العسكر ، وذلك بالقلعة تطييبا لخواطرهم ، وديوان آخر فى المدينة لعامة الملتزمين ، فيحررون للخاصة بالقلعة ما فى قوائم مصروفهم ، وما كانوا يأخذونه من المضاف والبرانى والهدايا وغير ذلك ، والديوان العام التحتانى بخلاف ذلك ، فلما رأى الدواخلى ذلك الترتيب ، قال للباشا : « وأنا الفقير محسوبكم من رجال الدائرة » ، فقال : « نعم » ، وحرروا قوائمه مع الأكابر وأكابر الدولة ، وأنعم عليه الباشا بأكياس أيضًا كثيرة زيادة على ذلك ، فلما راق الحال ورتب الباشا أموره مع العسكر أخذ يذكّر الباشا بإنجاز الوعد ، ويكرر القول عليه وعلى كتخدا بيك ، بقوله : « أنتم تكذبون علينا ، ونحن نكذب على الناس » ، وأخذ يتطاول على كتبة الأقباط بسبب أمور يلزمهم ويكلفهم بإتمامها ، ويعذرهم يخفى عنه فى تأخيرها ، فيكلمهم بحضرة الكتخدا ويشتمهم ، ويقول لبعضهم : « أما اعتبرتم بما حصل للعين غالى » ، فيحقدون عليه ويشكون منه للباشا والكتخدا ، وغير ذلك أمورا مثل تعرضه للقاضى فى قضاياه وتشكيه منه ، واتفق أنَّه لما حضر إبراهيم باشا من الجهة القبلية ، وكان بصحبته أحمد چلبى ابن ذى الفقار كتخدا الفلاح ، وكأنه كان كتخداه بالصعيد ، وتشكت الناس من أفاعيله وإغوائه إبراهيم باشا ، فاجتمع به الدواخلى عند السيد محمد المحروقى ، وحضر قبل ذلك إليه للسلام عليه ، وفى كل مرة يوبخه بالكلام ويلومه على أفاعيله بالقول الخشن فى ملأ من الناس ، فذهب إلى الباشا وبالغ فى الشكوى ، ويقول فيها : « أنا نصحت فى خدمة أفندينا جهدى ، وأظهرت من المخبآت ما عجز عنه غيرى ، فأجارى عليه من هذا الشيخ ما أسمعنيه من قبيح القول ، وتجبيهى بين الملأ ، وإذا كان محبا لأفندينا فلا يكره نفعه ، ولا النصح فى خدمته » ، وأمثال ذلك مما يخفى عنا خبره ، فمثل هذه الأمور هى التى أوغرت صدر الباشا على الدواخلى ، مع أنها فى الحقيقة ليست خلافا عند من فيه قابلية للخير ، وأنا أقول إنَّ الذى وقع لهذا الدواخلى إنما هو قصاص وجزاء فعله فى السيد عمر مكرم ، فإنه كان من أكبر الساعين عليه إلى أن عزلوه وأخرجوه من مصر ، والجزاء من جنس العمل كما قيل :

فقُلْ لِلشَّامِتينَ بِنَا أفيقُوا   سَيَلْقَى الشَّامِتُون كَما لَقِينا

ولما جرى على الدواخلى ما جرى من العزل والنفى ، أظهر الكثير من نظرائه المتفقهين الشماتة والفرح ، وعملوا ولائم وعزائم ومضاحكات ، كما يقال :

أمورٌ تضحكُ السفهاءُ منها ويبكِي مِن عَواقبها اللَّبيبُ

وقد زالت هيبتهم ووقارهم من النفوس ، وانهمكوا فى الأمور الدنيوية ، والحظوظ النفسانية ، والوساوس الشيطانية ، ومشاركة الجهال فى المآتم ، والمسارعة إلى الولائم فى الأفراح والمآتم ، وللكباب والمحمرات خاطفين ، وعلى ما وجب عليهم من النصح تاركين .

وفى أواخره [1] ، شرعوا فى عمل مهم عظيم بمنزل ولى أفندى ، ويقال له ولى خجا ، وهو كاتب الخزينة العامرة ، وهو من طائفة الأرنؤد ، واختص به الباشا واستأمنه على الأمور ، وضم إليه دفاتر الإيراد من جميع وجوه جبايات الأموال من خراج البلاد ، والمحدثات وحسابات المباشرين ، وأنشأ دارا عظيمة بخطة باب اللوق على البركة المعروفة بأبى الشوارب ، وأدخل فيها عدة بيوت بجانبيها وتجاهها ، على نسق واصطلاح الأبنية الإفرنجية والرومية ، وتأنق فى زخرفتها واتساعها ، واستمرت العمارة بها نحو السنتين ، ولما كملت وتمت أحضروا القاضى والمشايخ وعقدوا لولديه على ابنتين من أقارب الباشا بحضرة الأعيان ، ومن ذكر ، واحتفلوا بعمل المهم احتفالا زائدا ، وتقيد السيد محمد المحروقى بالمصاريف والتنظيم واللوازم ، كما كان فى أفراح أولاد الباشا ، واجتمعت الملاعيب والبهلوانات بالبركة وما حولها ، وبالشارع ، وعلقوا تعاليق قناديل ، ونجفات وأحمال بلور وزينات ، واجتمع الناس للفرجة ، وبالليل حراقات ونفوط ومدافع وسواريخ سبع ليال متوالية ، وعملت الزفة يوم الخميس ، واجتمعت العربات لأرباب الحرف كما تقدم فى العام الماضى بل أزيد ، وذلك لأن الباشا لم يشاهد أفراح أولاده ، لكونه كان غائبا بالديار الحجازية ، وحضر الباشا للفرجة ، وجلس بمدرسة الغورية بقصد الفرجة ، وعمل له السيد محمد المحروقى الغداء ، وخرجوا بالزفة أوائل النهار ، وداروا بها دورة طويلة ، فلم يمروا بسوق الغورية إلا قريب الغروب أواخر النهار .

واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٣١ [2]

وخروج العساكر إلى ناحية بحرى مستمر ، وأفصح الباشا وذكر فى كلامه فى مجالسه وبيّنَ السر فى إخراجهم من المدينة ، بأن العساكر قد كثروا ، وفى إقامتهم بالبلدة مع كثرتهم ضرر وإفساد وضيق على الرعية ، مع عدم الحاجة إليهم داخل

---

(١) آخر ربيع الأول ١٢٣١ هـ / ٢٩ فبراير ١٨١٦ م .

(٢) ربيع الثانى ١٢٣١ هـ / ١ مارس - ٣٠ مارس ١٨١٦ م .

البلدة ، والأولى والأحوط أنْ يكونوا خارجها وحولها مرابطين لحفظ الثغور من طارق على حين غفلة ، أو حـادث خارجي ، وليس لهم إلا رواتبهم وعلائفـهم تأتيهم فى أماكنهم ومراكزهم ، والسر الخفى إخراج الـذين قصدوا غدره وخيانته ، ووقع بسبب حركتهم ما وقـع من النهب والإزعاج فى أواخر شعبان من الـسنة الماضية [1] ، وكان قد بدأ بإخـراج أولاده وخواصه من تحيلـه واحدا بعد واحد وأسر إلـى أولاده بما فى ضميره ، وأصحب مع ولـده طوسون باشا شـخصا من خواصـه يسمى أحـمد أغا البخورجى المدللى ، وأخذ طوسون باشا فى تدبير الإيقاع مع من يريد به ، فبدأ بمحو بيك وهو أعظـمهم وأكثرهم جندا ، فأخذ فـى تأليف عساكره حتى لـم يبق معه إلا القليل ، ثم أرسل فى وقت بطلب محو بيك عنده فى مشورة ، فذهب إليه أحمد أغا المدللى المذكور وأسر إليه ما يراد به ، وأشار إليه بعدم الذهاب ، فركب محو بيك فى الحـال وذهـب عند الدلاة ، فأرسلوا إلـى مصطفى بيـك وهو كبير على طـائفة من الدلاة ، وأخو زوجة الباشا ، وقريبه وإلى إسماعيل باشا ابن الباشا ليتوسطا فى صلح محو بيك مع الباشا ، وليعفوه ويذهب إلى بلاده ، فأرسلا إلى الباشا بالخبر وبما نقله أحمد أغا المدللى إلـى محو بيك ، فسفه رأيه فى تصديق المقـالة ، وفى هروبه عند الدلاة ، ثم يـقول لولا أنَّ فى نفسـه خيانة لما فعـل من التصديق والـهروب ، وكان طوسون باشا لما جرى من أحمد أغا ما جرى من نقل الخبر لمحو بيك عوّقه ، وأرسل إلى أبيه يعلمه بذلـك ، فطلبه للحضور إليه بمصر ، فلما مـثل بين يديه وبخه وعزره بالكـلام ، وقال له : « ترمى الفـتن بين أولادى وكبار العـسكر » ، ثم أمر بقـتله ، فنزلوا بـه إلى باب زويلة ، وقطـعوا رأسه هناك ، وتركـوه مرميا طول النـهار ، ثم رفعوه إلى داره ، وعملوا له فى صبحها مشهدا ودفنوه .

وفيه [2] ، حضر إسماعيل باشا ومصطفى بيك إلى مصر .

وفى أواخره [3] ، حضر شـخص يسمـى سليم كاشـف من الأجناد المـصرية ، مرسلا من عند بقاياهم من الأمراء وأتباعهـم الذين رماهم الزمان بكلكله ، وأقصاهم وأبعدهم عن أوطـانهم ، واستوطنهم دنقـلة من بلاد السودان ، يتقوّتـون مما يزرعونه بأيديهم من الدخن ، وبينهم وبين أقصى الصعيد مسافة طويلة نحو من أربعين يوما ، وقد طال عليـهم الأمد ، ومات أكثرهم ومعظـم رؤسائهم مثل : عثمـان بيك حسن وسليم أغا ، وأحمد أغا شويكار ، وغيرهم ، ممـن لاعلم لنا بخبرة أخبارهم ، لبعد المسافة حتى على أهل منازلهم ، وبقى ممن لـم يمت منهم إبراهيم بيك الكبير ، وعبد

(١) آخر شعبان ١٢٣٠ هـ / ٦ اغسطس ١٨١٥ م .

(٢) ربيع الثانى ١٢٣١ هـ / ١ مارس - ٣٠ مارس ١٨١٦ م .

(٣) آخر ربيع الثانى ١٢٣١ هـ / ٣٠ مارس ١٨١٦ م .

الرحمن بيك تابع عثمان بيك المرادى ، وعثمان بيك يوسف ، وأحمد بيك الألفى زوج عديلة ابنة إبراهيم بيك الكبير ، وعلى بيك أيوب ، وبواقى صغار الأمراء ، والمماليك على ظنّ خيانتهم ، وقد كبر سنّ إبراهيم بيك الكبير وعجزت قواه ، ووهن جسمه ، فلما طالت عليهم الغربة أرسلوا هذا المرسل بمكاتبة إلى الباشا يستعطفونه ، ويسألون فضله ، ويرجون مراحمه بأن ينعم عليهم بالأمان على نفوسهم، ويأذن لهم بالانتقال من دنقلة إلى جهة من أراضى مصر يقيمون بها أيضًا ، ويتعيشون فيها بأقل العيش تحت أمانه ، ويدفعون ما يجب عليهم من الخراج الذى يقرره عليهم ، ولايتعدى مراسمه وأوامره ، فلما حضر وقابل الباشا وتكلم معه ، وسأله عن حالهم وشأنهم ، ومن مات ومن لم يمت منهم ، وهو يخبره خبره ، ثم أمره بالانصراف إلى محله الذى نزل فيه إلى أن يرد عليه الجواب ، وأنعم عليه بخمسة أكياس ، فأقام أياما حتى كتب له جواب رسالته ، مضمونها : « أنه أعطاهم الأمان على أنفسهم بشروط شرطها عليهم إنْ خالفوا منها شرطا واحدا ، كان أمانهم منقوضا ، وعهدهم منكوثا ، ويحل بهم ما حل بمن تقدم منهم .

فأوّل الشروط : أنَّهم إذا عزموا على الانتقال من المحل الذى هم فيه ، يرسلون أمامهم نجابا يخبره بخبرهم وحركتهم وانتقالهم ، ليأتيهم من أعينه لملاقاتهم .

الثانى : إذا حلوا بأرض الصعيد لايأخذون من أهل النواحى كلفة ولا دجاجة ولا رغيفا واحدا ، وإنما الذى يتعين لملاقاتهم يقوم لهم بما يحتاجون إليه من مؤنة وعليق ومصرف .

الثالث : أنى لا أقطِعهُم شيئًا من الأراضى والنواحى ، ولا إقامة فى جهة من جهات أراضى مصر ، بل يأتون عندى وينزلون على حكمى ، ولهم ما يليق بكل واحد منهم من المسكن والتعيين والمصرف ، ومن كان ذا قوّة قلدته منصبا أو خدمة تليق به ، أو ضممته إلى بعض الأكابر من رؤساء العسكر ، وإن كان ضعيفا أو هرما أجريت عليه نفقة لنفسه وعياله .

الرابع : أنهم إذا حصلوا بمصر على هذه الشروط ، وطلبوا شيئًا من إقطاع أو رزقة أو قنطرة أو أقل مما كان فى تصرفهم فى الزمن الماضى أو نحو ذلك انتقض معى عهدهم ، ويطل أمانى لهم بمخالفة شرط واحد من هذه الشروط » ، وهى سبعة غاب عن ذهنى باقيها ، فسبحان المعز المذل مقلب الأحوال ومغير الشؤون .

فمن العبر ، أنه لما حضر المصريون ، ودخلوا إلى مصر بعد مقتل طاهر باشا ، وتآمروا وتحكموا ، فكانت عساكر الأتراك فى خدمتهم ، ومن أرذل طوائفهم

وعلائفهم تصرف عليهم من أيدى كتابهم وأتباعهم ، وإبراهيم بيك هو الأمير الكبير، وراتب محمد على باشا هذا من الخبز واللحم والأرز والسمن الذى عينه له من كيلاره، نعوذ بالله من سوء المنقلب ، ورجع سليم كاشف المرسل إليهم بالجواب المشتمل على ما فيه من الشروط .

وفيه [١] ، أمر الباشا بحبس أحمد أفندى المعايرجى بدار الضرب [٢] ، وحبس أيضًا عبدالله بكتاش ناظر الضربخانة ، واحتج عليهما باختلاسات يختلسانها ، واستمر أيامًا حتى قدر عليهما نحو السبعمائة كيس ، وعلى الحاج سالم الجواهرجى - وهو الذى يتعاطى إيراد الذهب والفضة إلى شغل الضربخانة - مثلها ، ثم أطلق المذكوران ليحصلا ما تقرر عليهما ، وكذلك أطلق الحاج سالم وشرعوا فى التحصيل بالبيع والاستدانة ، واشتد القهر بالحاج سالم ومات على حين غفلة ، وقيل إنَّه ابتلع فص ألماس ، وكان عليه ديون باقية من التى استدانها فى المرة الأولى والغرامة السابقة .

ومن النوادر الغريبة والاتفاقات العجيبة [٣] ، أنه لما مات إبراهيم بيك المدَّاد بالضربخانة قبل تاريخه ، تزوّج بزوجته أحمد أفندى المعايرجى المذكور ، فلما عوق أحمد أفندى خافت زوجته المذكورة أنْ يدهمها أمر مثل الختم على الدار أو نحو ذلك، فجمعت مصاغها ، وما تخاف عليه مما خف حمله وثقل ثمنه ، وربطته فى صرة ، وأودعتها عند امرأة من معارفها فسطا على بيت تلك المرأة شخص حرامى ، وأخذ تلك الصرة ، وذهب بها إلى دار امرأة من أقاربه بالقرب من جامع مسكة[٤] ، وقال لها احفظى عندك هذه الصرة حتى أرجع ، ونزل إلى أسفل الدار فنادته المرأة ، أصبر حتى آتيك بشىء تأكله ، فقال : « نعم فإنى جيعان » ، وجلس أسفل الدار ينتظر إتيانها له بما يأكله ، وصادف مجئ زوج المرأة تلك الساعة فوجده فرحب به ، وهو يعلم بحاله ويكره مجيئه إلى داره ، وطلع إلى زوجته فوجد بين يديها تلك الصرة، فسألها عنها فأخبرته أن قريبها المذكور أتى بها إليها ، حتى يعود لأخذها فجسها فوجدها ثقيلة ، فنزل فى الحال ، ودخل على محمد أفندى سليم من أعيان جيران الخطة ، فأخبره فأحضر محمد أفندى أنفارا من الجيران أيضًا ، وفيهم

---

(١) آخر ربيع الثانى ١٢٣١ هـ / ٣٠ مارس ١٨١٦ م .

(٢) بالأصل « الدرب » ، وصحتها « الضرب » صوبت .

(٣) كتب أمام هذه العبارة بهامش ص ٢٤٧ ، طبعة بولاق « نادرة غريبة » .

(٤) جامع مسكة : يقع بسوق مسكة ، قرب جامع الشيخ صالح أبى حديد ، بخط الحنفى ، أنشأته الست مسكة سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م ، والست مسكة هى جارية الناصر محمد بن قلاوون .
مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

الحجا المنسوب إلى أحمد أغا لاظ المقتول ، ودخل الجميع إلى الدار ، وذلك الحرامى جالس ومشتغل بالأكل ، فوكلوا به الخدم ، وأحضروا تلك الصرة وفتحوها فوجدوا بها مصاغا وكيسا بداخله أنصاف فضة عديدة ، وذكروا أن عدتها أربعون ألفا ، ولكنها من غير ختم ، وبدون نقش السكة ، فأخذوا ذلك وتوجهوا لكتخدا بيك ، وصحبتهم الحرامى ، فسألوه وهددوه ، فأقر وأخبر عن المكان الذى اختلسها منه ، فأحضروا صاحبة المكان ، فقالت : « هو وديعة عندى لزوجة أحمد أفندى المعايرجى ، فثبت لديهم خيانته واختلاسه » ، وسئل أحمد أفندى فحلف أنه لايعلم بشىء من ذلك ، وأنّ زوجته كانت زوجا لإبراهيم المدّاد ، فلعل ذلك عندها من أيامه ، وسئلت هى أيضًا عن تحقيق ذلك ، فقالت : « الصحيح أنّ إبراهيم المداد كان اشترى هذه الدراهم من شخص مغربى ، عندما نهب عسكر المغاربة الضربخانة فى وقت حادثة الأمراء المصريين ، وخروجهم من مصر عندما قامت عليهم عسكر الأتراك » ، فلم يزيلوا الشبهة عن أحمد أفندى بل زادت ، وكانت هذه النادرة من عجائب الاتفاق ، فقدروا أثمانها وخصموها من المطلوب منه .

وفى يوم الخميس عشرينه [1] ، حصلت جمعية ببيت البكرى ، وحضر المشايخ وخلافهم ، وذلك بأمر باطنى من صاحب الدولة ، وتذاكروا ما يفعله قاضى العسكر من الجور والطمع فى أخذ أموال الناس والمحاصيل ، وذلك أنّ القضاة الذين يأتون من باب السلطنة كانت لهم عوائد وقوانين قديمة لايتعدونها فى أيام الأمراء المصريين ، فلما استولت هؤلاء الأروام على الممالك ، والقاضى منهم ، فحش أمرهم وزاد طمعهم ، وابتدعوا بدعا ، وابتكروا حيلا لسلب أموال الناس والأيتام والأرامل ، وكلما ورد قاض ورأى ما ابتكره الذى كان قبله ، أحدث هو الآخر أشياء يمتاز بها عن سلفه حتى فحش الأمر ، وتعدى ذلك لقضايا أكابر الدولة ، وكتخدا بيك بل والباشا ، وصارت ذريعة وأمرا محتما لا يحتشمون منه ، ولايراعون خليلا ، ولا كبيرا ولا جليلا ، وكان المعتاد القديم أنّه إذا ورد القاضى فى أوّل السنة التوتية ، التزم بالقسمة بعض المميزين من رجال المحكمة بقدر معلوم ، يقوم بدفعه للقاضى ، وكذلك تقرير الوظائف ، كانت بالفراغ أو المحلول ، وله شهريات على باقى المحاكم الخارجة ، كالصالحية ، وباب سعادة والخرق ، وباب الشعرية ، وباب زويلة ، وباب الفتوح ، وطيلون ، وقناطر السباع ، وبولاق ، ومصر القديمة ، ونحو ذلك ، وله عوائد وإطلاقات ، وغلال من الميرى ، وليس له غير ذلك إلا معلوم الإمضاء ، وهو

(١) ٢٠ ربيع الثانى ١٢٣١ هـ / ٢٠ مارس ١٨١٦ م .

خمسة أنصاف فضة ، فإذا احتاج الناس فى قـضاياهم ومواريثهم أحضروا شاهدا من المحكمة القريبة منهم ، فيقضى فيها ما يقضيه ويعطونه أجرته ، وهو يكتب التوثيق أو حجة المبايعة أو التوريث ، ويجمـع العدة من الأوراق فى كل جمعة ، أو شهر ، ثم يمضيها مـن القاضى ، ويدفع له معلوم الإمـضاء لا غير ، وأما القضايا لمثـل العلماء والأمراء فبـالمسامحـة والإكرام ،وكان القـضاة يخشـون صولة الفـقهاء وقت كـونهم يصدعون بالحق ، ولايداهنون فيه ، فلمـا تغيرت الأحوال وتحكمت الأتراك وقضاتها ابتدعوا بدعا شتى .

منها : إبطال نواب المحاكم ،وإبطال القـضاة الثلاثة خلاف مذهب الحنفى ، وأن تكون جمـيع الدعاوى بين يديـه ويدى نائبه ، وبعد الانـفصال يأمرهم بـالذهاب إلى كتخداه ، ليدفع المحصول ، فيطلب منهم المقادير الخارجة عن المعقول ، وذلك خلاف الرشوات الخفية ، والمصالحات السرية ، وأضاف التقرير والقسمة لنفسه ، ولايلتزم بها أحد من الشهود كما كان فى السابق ، وإذا دعى بعض الشهود لكتابة توثيق أو مبايعة أو تركة ، فلا يـذهب إلا بعد أن يأذن له الـقاضى ويصحبـه بكجوقه دار ، ليـباشر القضية ، وله نصيب أيضًا ، و... طمع هؤلاء الجخـدارية حتى لايرضون بالقليل كما كانوا فى أوّل الأمـر ، وتخاذ... م أشخـاص بمصر عن مخاديمهـم ، وصاروا عند المتولـى لما انفتح لـهم هذا الباب ، وإذا ضـبط تركة من الـتركات ، وبلغـت مقدارا أخرجوا لـلقاضى العشـر من ذلك ، ومعلـوم الكاتب ، والجوخدار والـرسول ، ثم التجهيز والتكفين والمصرف والديوان ، وما بقى بعد ذلك يقسم بين الورثة ، فيتفق أن الوارث واليتيم لايبقى له شىء ، ويأخذ من أرباب الديون عشر ديونهم أيضًا ، ويأخذ من محالـيل وظائف التقارير مـعلوم سنتين أو ثلاثـة ، وقد كان يصالح عليـها بأدنى شىء ، وإلا إكراما ، وابتدع بعضهم الفحص عن وظائف القبانية والموازين ، وطلب تقاريرهم القديمة ، ومن أين تلقوها ، وتعلـل عليهم بعدم صلاحية المقرر ، وفيها من هو باسم النساء ، وليسوا أهلا لذلك ، وجمع من هذا النوع مقدارا عظيما من المال ، ثم محاسبـات نظار الأوقاف والعزل والتولـية فيهم ، والمصالحات عـلى ذلك ، وقرر على نصارى الأقـباط والأروام قدرا عظيما فى كـل سنة بحجة المحاسبـة على الديور والكنائس ، وما هو زائد الشناعة أيـضًا أنه إذا أدعى مبطل على إنسان دعوى لا أصل لها ، بأن قال أدعى عليه بكذا وكذا من المال وغيره ، كتب المقيد ذلك القول حقا كان أو باطلا ، معقـولا أو غير معقول ، ثم يظهـر بطلان الدعـوى أو صحـة بعضها ، فيطالـب الخصـم بمحصول القدر الذى إدعاه المدعى ، وسطره الكـاتب يدفعه المدعى عليه للقاضى على دور النصف الواحـد ، أو يحبس عليه حتى يوفيه ، وذلك خلاف

ما يؤخذ من الخصم الآخر ، وحصل نظيرها لبعض من هو ملتجئ لكتخدا بيك فحبس على المحصول ، فأرسل الكتخدا يترجى فى إطلاقه والمصالحة عن بعضه ، فأبى فعند ذلك حنق الكتخدا وأرسل من أعوانه من استخرجه من الحبس ، ومن الزيادات فى نغمة الطنبور كتابة الإعلامات : وهو أنَّه إذا حضر عند القاضى دعوى بقاصد من عند الكتخدا أو الباشا ليقضى فيها ، وقضى فيها لأحد الخصمين طلب المقضى له إعلاما بذلك إلى الكتخدا أو الباشا ، يرجع به مع القاصد تقييدا أو إثباتا ، فعند ذلك لايكتب له ذلك الإعلام إلا بما عسى لايرضيه إلا أن يسلخ من جلده طاقا أو طاقين ، وقد حكمت عليه الصورة ، وتابع الباشا أو الكتخدا ملازم له ويستعجله، ويساعد كتخدا القاضى عليه ، ويسليه على ذلك الظفر والنصرة على الخصم ، مع أن الفرنساوية الذين كانوا لايتدينون بدين ، لما قلدوا الشيخ أحمد العريشى القضاء بين المسلمين بالمحكمة ، حددوا له حدا فى أخذ المحاصيل لايتعداه ، بأن يأخذ على المائة اثنين فقط له منها جزء وللكتاب جزء ، فلما زاد الحال وتعدى إلى أهل الدولة رتبوا هذه الجمعية ، فلما تكاملوا بمجلس بيت البكرى ، كتبوا عرضا محضرا ذكروا فيه بعض هذه الإحداثات ، والتمسوا من ولى الأمر رفعها ، ويرجون من المراحم أن يجرى القاضى ، ويسلك فى الناس طريقا من إحدى الطرق الثلاث ، إما الطريقة التى كان عليها القضاة فى زمن الأمراء المصريين ، وإما الطريقة التى كانت فى زمن الفرنساوية ، أو الطريقة التى كانت أيام مجئ الوزير وهى الأقرب والأوفق ، وقد اخترناها ورضيناها بالنسبة لما هم عليه الآن من الجور » ، وتمموا العرض محضرا ، وأطلعوا عليه الباشا ، فأرسله إلى القاضى ، فامتثل الأمر ، وسجل بالسجل على مضض منه ، ولم تسعه المخالفة .

واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣١ (١)

فى منتصفه (٢) ، ورد الخبر بموت مصطفى بيك دالى باشا بناحية الإسكندرية ، وهو قريب الباشا وأخو زوجته .

واستهل شهر رجب الأصم بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣١ (٣)

فى ثالثه يوم الخميس (٤) ، قبل الغروب حصل فى الناس انزعاج ولغط ، ونقل أصحاب الحوانيت بضائعهم منها مثل : سوق الغورية ، ومرجوش ، وخان

(١) جمادى الثانية ١٢٣١ هـ / ٢٩ أبريل - ٢٧ مايو ١٨١٦ م .
(٢) ١٥ جمادى الثانية ١٢٣١ هـ / ١٣ مايو ١٨١٦ م . (٣) رجب ١٢٣١ هـ / ٢٨ مايو - ٢٦ يونيه ١٨١٦ م .
(٤) ٣ رجب ١٢٣١ هـ / ٣٠ مايو ١٨١٦ م .

الحمزاوى ، وخان الخليلى وغيرهم ، ولم يظهر لذلك سبب من الأسباب ، وأصبح الناس ميهوتين ، ولغطوا بموت الباشا ، وحضر آغات الينكجرية وآغات التبديل إلى الغورية ، وأقاما بطول النهار وهما يأمران الناس بالسكون ، وفتح الدكاكين ، وكذلك على آغا الوالى بباب زويلة ، وأصبح يوم السبت [1] ، فركب الباشا وخرج إلى قبة العزب وعمل رماحة وملعبا ، ورجع إلى شبرا ، وحضر كتخدا بيك إلى سوق الغورية ، وجلس بالمدفن ، وأمر بضرب شيخ الغورية فبطحوه على الأرض فى وسط السوق ، وهو مرشوش بالماء ، وضربه الأتراك بعصيهم ، ثم رفعوه إلى داره ، ثم أمر الكتخدا بكتابة أصحاب الدكاكين الذين نقلوا متاعهم ، فشرعوا فى ذلك وهرب الكثير منهم وحبسهم فى داره ، ثم ركب الكتخدا ومر فى طريقه على خان الحمزاوى ، وطلب البواب فلما مثل بين يديه أمر بضربه كذلك ، وضرب أيضًا شيخ مرجوش ، وأما طائفة خان الخليلى ونصارى الحمزاوى فلم يتعرض لهم .

واستهل شهر شعبان بيوم الخميس سنة ١٢٣١ [2]

فيه [3] ، من الحوادث أن بعض العيارين من السراق تعدوا على قهوة الباشا بشبرا ، وسرقوا جميع ما بالنصبة من الأوانى والبكارج والفناجين والظروف ، فأحضر الباشا بعض أرباب الدرك بتلك الناحية ، وألزمه بإحضار السراق والمسروق ، ولايقبل له عذرا فى التأخير ، ولو يصالح على نفسه بخزينة أو أكثر من المال ، ولايكون غير ذلك أبدا وإلا نكل به نكالا عظيما ، وهو المأخوذ بذلك ، فترجى فى طلب المهلة فأمهله أياما ، وحضر بخمسة أشخاص ، وأحضروا المسروق بتمامه ، لم ينقص منه شىء ، وأمر بالسراق فخوزقوهم فى نواحى متفرقين ، بعد أن قرروهم على أمثالهم ، وعرّفوا عن أماكنهم ، وجمع منهم زيادة على الخمسين ، وشنق الجميع فى نواحى متفرقة بالأقاليم مثل : القليوبية ، والغربية ، والمنوفية .

وفى منتصفه [4] يوم الجمعة الموافق لرابع مسرى القبطى أوفى النيل أذرعه وفتح سد الخليج يوم السبت .

وفيه [5] ، وقع من النوادر أنّ امرأة ولدت مولودا برأسين ، وأربعة أيد ، وله وجهان متقابلان ، والوجهان بكتفيهما مفروقان من حد الرأس ، وقيل لحد الصدر ،

---

(١) ٥ رجب ١٢٣١ هـ / ١ يونيه ١٨١٦ م .　(٢) شعبان ١٢٣١ هـ / ٢٧ يونيه - ٢٥ يوليه ١٨١٦ م .

(٣) ١ شعبان ١٢٣١ هـ / ٢٧ يونيه ١٨١٦ م .　(٤) ١٥ شعبان ١٢٣١ هـ / ١١ يوليه ١٨١٦ م .

(٥) ١٥ شعبان ١٢٣١ هـ / ١١ يوليه ١٨١٦ م . كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٢٥٠، طبعة بولاق « نادرة ».

والبطن واحدة ، وثلاثة أرجل ، وإحدى الأرجل لها عشرة أصابع ، فيقال إنه أقام يوما وليلة حيا ومات ، وشاهده خلق كثير ، وطلعوا به إلى القلعة ، ورآه كتخدا بيك ، وكل من كان حاضرا بديوانه ، فسبحان الخلاق العظيم .

واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة سنة ١٢٣١ (١)

حصل فيه من النوادر ، أن فى تاسع عشره (٢) ، علق شخص عسكرى غلاما من أولاد البلد ، وصار يتبعه فى الطرقات إلى أن صادفه ليلة بالقرب من جامع ألماس بالشارع ، فقبض عليه وأراد الفعل به فى الطريق فخدعه الغلام ، وقال له : « إن كان ولابد فادخل بنا فى مكان لايرانا فيه أحد من الناس » ، فدخل معه درب حلب المعروف الآن بدرب الحمام خيربك حديد ، وهناك دور الأمراء التى صارت خرائب ، فحل العسكرى سراويله ، فقال له الغلام : « أرنى بتاعك فلعله يكون عظيما لا أتحمله جميعه » ، وقبض عليه وكان بيده موسى مخفية فى يده الأخرى ، فقطع ذكره بتلك الموسى سريعا ، وسقط العسكرى مغشيا عليه ، وتركه الغلام وذهب فى طريقه، وحضر رفقاء ذلك العسكرى وحملوه ، وأحضروا له سليم الجرائحى ، فقطع ما بقى من مذاكيره ، وأخذ فى معالجته ومداواته ولم يمت العسكرى .

واستهل شهر شوال بيوم السبت سنة ١٢٣١ (٣)

وكان حقه يوم الأحد ، وذلك أن فى أواخر رمضان(٤) ، حضر جماعة من دمنهور البحيرة ، وأخبروا عن أهل دمنهور أنهم صاموا يوم الخميس ، فطلب الباشا حضور من رأى الهلال تلك الليلة ، فحضر اثنان من العسكر ، وشهدا برؤيته ليلة الخميس ، فأثبتوا بذلك هلال رمضان ، ويكون تمامه يوم الجمعة ، وأخبر جماعة أيضًا أنهم رأوا هلال شوّال ليلة السبت ، وكان قوسه فى حساب قواعد الأهلة تلك الليلة قليلا جدا ، ولم ير فىّ ثانى ليلة منه إلا بعسر ، وإنما اشتبه على الرائين لأن المريخ كان مقارنا للزهرة فى برج الشمس من خلفها ، وبينهما وبين الشمس رؤيا بعدها فى شعاع الشمس شبه الهلال ، فظن الراؤون أنه الهلال فيتنبه لذلك ، فإن ذلك من الدقائق التى تخفى على أهل الفطانة ، فضلا عن غيرهم من العوام الذين

---

(١) رمضان ١٢٣١ هـ / ٢٦ يوليه - ٢٤ أغسطس ١٨١٦ م .
(٢) ١٩ رمضان ١٢٣١ هـ / ١٣ أغسطس ١٨١٦ م .
(٣) شوال ١٢٣١ هـ / ٢٥ أغسطس - ٢٢ سبتمبر ١٨١٦ م .
(٤) آخر رمضان ١٢٣١ هـ / ٢٤ أغسطس ١٨١٦ م .

يسارعون إلى إفساد العبادات حسبة بالظنون الكاذبة ، لأجل أن يقال شهد فلان ونحو ذلك .

وفى أواخره [1] ، قلد الباشا شخصا من أقاربه ، يسمى شريف أغا على دواوين المبتدعات ، وضم إليه جماعة من الكتبة أيضًا المسلمين والأقباط ، وجعلوا ديوانهم ببيت أبى الشوارب وعمروه عمارة عظيمة ، وواظبوا الجلوس فيه كل يوم ، لتحرير المبتدعات ودفاتر المكوس .

واستهل شهر ذى القعدة سنة ١٢٣١ [2]

فيه [3] انهدم جانب من السواقى التى أنشأها الباشا بشبرا على حين غفلة وقد قوى عليها النيل فتهدمت وتكسرت أخشابها وسقط معها أشخاصا كانوا حولها فنجا منهم من نجا ، وغرق منهم من غرق ، وكان الباشا بقصر شبرا مقيما به وهو يرى ذلك ، وانقضت السنة وأخبار بعض حوادثها واستمرار ما تجدد فيها من المبتدعات التى لا حصر لها .

منها : الحجر على المزارع التى يزرعها الفلاحون فى الأراضى التى يدفعون خراجها من الكتان والسمسم والعصفر والنيلة والقطن والقرطم ، وإذا بدا صلاحه لايبيعون منه شيئًا كعادتهم ، وإنما يشتريه الباشا بالثمن الذى يفرضه ويقدره على يد أمناء النواحى والكشاف ، ويحملونه إلى المحل الذى يؤمرون بحمله إليه ، ويعطى لهم الثمن ، أو يحسب لهم من أصل المال ، فإن احتاجوا لشىء من ذلك اشتروه بالثمن الزائد المفروض ، وكذلك القمح والفول والشعير لايبيعون منه شيئًا لغير طرف الباشا بالثمن المفروض والكيل الوافى .

ومنها : الأمر لكشاف الأقاليم بالمناداة العامة بالمنع لمن يأخذ أو يأكل من الفول الأخضر والحمص والحلبة ، وأن المعينين فى الخدم والمباشرين وكشاف النواحى ، لايأخذون شيئًا من الفلاحين كعادتهم من غير ثمن ، فمن عثر عليه يأخذ شىء ولو رغيفا أو تبنا ، أو من رجيع البهائم ، حصل له مزيد الضرر ، ولو كان من الأعاظم ، وكذلك الأمر بتكميم أفواه المواشى التى تسرح للمرعى حوالى الجسور والغيطان .

---

(١) آخر شوال ١٢٣١ هـ / ٢٢ سبتمبر ١٨١٦ م .

(٢) ذى القعدة ١٢٣١ هـ / ٢٣ سبتمبر - ٢٢ أكتوبر ١٨١٦ م .

(٣) ١ ذى القعدة ١٢٣١ هـ / ٢٣ سبتمبر ١٨١٦ م .

ومنها : أن نصرانيا من الأرمن التزم بقلم الأبزار التى تأتى من بلاد الصعيد مثل : الحبة السوداء ، والشمر ، والانيسون ، والكمون ، والكراويا ، ونحو ذلك ، بقدر كبير من الأكياس ، ويتولى هو شراءها دون غيره ، ويبيعها بالثمن الذى يفرضه ، ومقدار ما التزم بدفعه من الأكياس للخزينة على ما بلغنا خمسمائة كيس ، وكانت فى أيام الأمراء المصريين عشرة أكياس لا غير ، فلما تولى على وكالة دار السعادة صالح بيك المحمدي زادها عشرة أكياس ، وكانت وكالة الأبزار والقطن وقفًا لمصطفى أغا دار السعادة سابقا ، على خيرات الحرمين وخلافهما ، فلما كانت هذه الدولة تولاها شخص على مائتى كيس ، وعند ذلك { بلَغ } سعر الأبزار أضعاف الثمن الأصلى ، ومن داخل الأبزار التمر الإبريمى والسلطانى والخوص والمقاطف والسَّلَب والليف ، وبلغ سعر المقطف الذى يسع الكيلة من البر خمسة وعشرين نصفا ، وكان يباع بنصف أو نصفين إن كان جيدا ، وفى الجملة بأقل من ذلك .

ومنها : أن كرابيت معلم ديوان الكمرك ببولاق التزم بمشيخة الحمامية ، وأحدث عليها وعلى توابعها حوادث ، وعلى النساء البلانات فى كل جمعة قدرا من الدراهم ، وجعل لنفسه يوما فى كل جمعة يأخذ إيراده من كل حمام .

ومنها : ما حصل فى هذه السنة من شحة الصابون وعدم وجوده بالأسواق ، ومع السراجين ، وهو شيء لايستغنى عنه الغنى ولا الفقير ، وذلك أن تجاره بوكالة الصابون زادوا فى ثمنه ، محتجين بما عليهم من المغارم والرواتب لأهل الدولة ، فيأمر الكتخدا فيه بأمر ، ويسعره بثمن ، فيدعون الخسران ، وعدم الربح وتكرر الحال فيه المرة بعد المرة ، ويتشكون من قلة المجلوب ، إلى أن سُعر رطله بستة وثلاثين نصفا ، فلم يرتضوا ذلك ، وبالغوا فى التشكى ، فطلب قوائمهم ، وعمل حسابهم ، وزادهم خمسة أنصاف فى كل رطل ، وحلف أنْ لايزيد على ذلك ، وهم مصممون على دعوى الخسران ، فأرسل من أتباعه شخصا تركيا لمباشرة البيع وعدم الزيادة ، فيأتى إلى الخان فى كل يوم يباشر البيع على من يشترى بذلك الثمن لأربابه ، ويمكث مقدار ساعتين من النهار ، ويغلق الحواصل ، ويرفع البيع لثانى يوم ، وفى ظرف هاتين الساعتين تزدحم العسكر على الشراء ، ولايتمكن خلافهم من أهل البلدة من أخذ شيء ، وتخرج العسكر فيبيعون من الذى اشتروه على الناس بزيادة فاحشة ، فيأخذ الرطل بقرش ، ويبيعه على غيره بقرشين ، ورفع التشكى إلى كتخدا فأمر ببيعه عند باب زويلة فى السبيلين المواجه أحدهما للباب ، والسبيل الذى أنشأته الست نفيسة المرادية عند الخان ، تجاه الجامع المؤيدى ، ليسهل على العامة

تحصيله ، وشراؤه فلم يزداد الحال إلا عسرا ، وذلك أنَّ البائع يجلس داخل السبيل ، ويغلق عليه بابه ، ويتناول من خروق الشبابيك من المشترى الثمن ، ويناوله الصابون ، فازدحمت طوائف العساكر على الشراء ويتعلقون بأيديهم وأرجلهم على شبابيك السبيلين ، والعامة أسفلهم لايتمكنون من أخذ شيء ، ويمنعون من يزاحمهم ، فيكون على السبيلين ضجة وصياح من الفريقين ، فلا يسع ابن البلد الفقير المضطر إلا أن يشترى من العسكرى بما أحب ، وإلا رجع إلى منزله من غير شيء ، واستمر الحال على هذا المنوال أياما ، وفى بعض الأحايين يكثر وجود الصابون بين أيدى الباعة بوسط السوق ولا تجد عليه مزاحمة ، وأمام البائع كوم عظيم، وهو ينتظر من يشترى ، وذلك فى غالب الأسواق مثل الغورية والأشرفية وباب زويلة والبندقانيين والجهات الخارجة ، ثم يصبحون فلا يوجد منه شيء ، ويرجع الازدحام على السبيلين كالأول .

ومنها : أن الباشا أطلق المناداة فى البلدة ، وندب جماعة من المهندسين والمباشرين للكشف على الدور والمساكن ، فإن وجدوا به أو ببعضه خللا ، أمروا صاحبه بهدمه وتعميره ، فإن كان يعجز عن ذلك فيؤمر بالخروج منها وإخلائها ، ويعاد بناؤها على طرف الميرى ، وتصير من حقوق الدولة ، وسبب هذه النكتة ، أنَّه بلغ الباشا سقوط دار ببعض الجهات ، ومات تحت ردمها ثلاثة أشخاص من سكانها، فأمر بالمناداة وأرسل المهندسين ، والأمر بما ذكر ، فنزل بأهالى البلد من الكرب أمر عظيم مع ما هم فيه من الإفلاس وقطع الإيراد ، وغلو الأسعار ، على أن من كان له نوع مقدرة على الهدم والبناء لايجد من أدواته شيئًا ، بحسب التحجير الواقع على أرباب الأشغال ، واستعمال الجميع فى عمائر الباشا ، وأكابر الدولة حتى أنَّ الإنسان إذا احتاج لبناء كانون لايجد من يبنيه ، ولايقدر على تحصيل صانع أو فاعل أو أخذ شيء من رماد الحمام إلا بفرمان ، ومن حصل شيئًا من ذلك على طريق السرقة فى غفلة وعثر عليه نكلوا به وبرئيس الحمام ، وحمير الباشا وهى أزيد من ألفى حمار، تنقل بالمزابل والسرقانيات طول النهار ما يوجد بالحمامات من الرماد ، وتنقل أيضًا الطوب والدبش والأتربة وأنقاض البيوت المنهدمة لمحل العمائر بالقلعة وغيرها ، فترى الأسواق والعطف مزدحمة بقطارات الحمير الذاهبة والراجعة ، وإذا هدم إنسان داره التى أمروه بهدمها ، وصل إليه فى الحال قطار من الحمير لأخذ الطوب الذى يتساقط إلا أن يكون من أهل القدرة على منعهم ، وربما كانت هذه الأوامر حيلة على أخذ الأنقاض ، وأما الأتربة فتبقى بحالها حتى فى طرق المارة للعجز عن نقلها ، فترى

غالب الطرق والنواحى مردومة بالأتربة ، وأما الهدم ونقل الأنقاض من البيوت الكبار والدور الواسعة التى كانت مساكن الأمراء المصريين بكل ناحية ، وخصوصا بركة الفيل ، وجهة الحبانية ، فهو مستمر حتى بقيت خرابا خرائب ودعائم قائمة وكيمان هائلة ، واختلطت بها الطرق ، وأصبحت موحشة ، ولا مأوى بها حتى للبوم ، بعد أن كانت مراتع غزلان ، فكنت كلما رأيتها أتذكر قول القائل :

هَـذِى مَنَـازِلُ أَقـوامٍ عَهِـدتُهُمْ　　فى خَفْضِ عيشٍ نَعيمٍ مَالَهُ خَطَرُ
صَاحَتْ بهم نُوَبُ الأيامِ فارتَحَلُوا　　إلى القُبـورِ فَـلاَ عَـينٌ ولا أثرُ

وكذلك بولاق التى كانت متنزه الأحباب والرفاق ، فإنه تسلط عليها كل من سليمان أغا السلحدار ، وإسماعيل باشا فى الهدم ، وأخذ أنقاض الأبنية لأبنيتهم وبر إنبابة ، والجزيرة الوسطى بين إنبابة وبولاق ، فإن سليمان أغا أنشأ بستانا كبيرا بين إنبابة وسور ، وبنى به قصرا وسواقى ، وأخذ يهدم أبنية بولاق من الوكائل والدور ، وينقل أحجارها وأنقاضها فى المراكب ليلا ونهارا إلى البر الآخر ، وإسماعيل باشا كذلك أنشأ بستانا وقصرا بالجزيرة ، وشرع أيضًا فى اتساع سرايته ومحل سكنه ببولاق ، وأخذ الدور والمساكن والوكائل من حد الشون القديم إلى آخر وكالة الأبزار العظيمة طولا ، فيهدمون الدور وغيرها من غير مانع ولا شافع ، وينقلون الأنقاض إلى محل البناء ، وكذلك ولىّ خوجه شرع فى بناء قصر بالروضة ببستان ، فهو الآخر يهدم ما يهدمه من مصر القديمة ، وينقل أنقاضه لبنائه ، وهلك قبل إتمامه ، وأما نصارى الأرمن وما أدراك ما الأرمن الذين هم أخصاء الدولة الآن ، فإنهم أنشئوا دورا وقصورا وبساتين بمصر القديمة لسكنهم فهم يهدمون أيضًا ، وينقلون لأبنيتهم ما شاءوا ولا حرج عليهم ، وإنما الحرج والمنع والحجر والهدم على المسلمين من أهل البلدة فقط .

ومنها : أن الباشا أمر ببناء مساكن للعسكر الذين أخرجهم من مصر بالأقاليم ، يسمونها القِشْلات بكل جهة من أقاليم الأرياف ، لسكن العساكر المقيمين بالنواحى ، لتضررهم من الإقامة الطويلة بالخيام فى الحر والبرد ، واحتياج الخيام فى كل حين إلى تجديد وترقيع ، وكثير خدمة ، وهى جمع قِشْلة بكسر القاف وسكون الشين ، وهى فى اللغة التركية المكان الشتوى ، لأن الشتاء فى لغتهم يسمى ، قِشْ ، بكسر القاف وسكون الشين ، فكتب مراسيم إلى النواحى بسائر القرى بالأمر لهم بعمل الطوب اللَّبِن ، ثم حرقه وحمله إلى محل البناء ، وفرضوا على كل بلد وقرية فرضا وعددا

معينـا ، فيفرض على الـقرية مثلا خمسـمائة ألف لبنة ، وأكـثر بحسب كبـر القرية وصغرها ، فـيجمع كاشف النـاحية مشايخ الـقرى ، ثم يفرض على كـل شيخ قدرا وعددا من اللبن ، عشرين ألفا أو ثلاثين ألفـا أو أكثر أو أقل ، ويلزم بضربها وحرقها ورفعها ، وأجلهم مـدة ثلاثين يوما ، وفرضوا على كل قرية أيـضًا مقادير من أفلاق النخـل ومقادير مـن الجريد ، ثم فـرضوا عليـهم أيضًا أشخـاصا من الرجـال لمحل الأشغال والـعمائر ، يستـعملونهم فـى فعالة نقل أدوات الـعمارة فى النواحـى حتى الإسكندرية وخلافهـا ، ولهم أجرة أعمالهم فى كل يوم لكل شـخص سبعة أنصاف فضة لاغير ، ولمن يعمل اللبن أجرة أيضًا ، ولـثمن الأفلاق والجريد قدر معلوم لكنه قليل .

ومنها : أنَّه توجه الأمـر لكشاف النواحى عند انكـشاف الماء عن الأراضى ، بأن يتقدموا إلى الفلاحين ، بأن من كان زارعـا فى العام الماضى فدّانى كتان أو حمص أو سمسم أو قطن ، فليزرع فى هذه السنة أربعة أفدنة ، ضعف ما تقدم ، لأن المزارعين عزمـوا على عـدم زراعة هذه الأشـياء ، لما حصـل لهم مـن أخذ ثمـرات متاعـهم وزراعاتهم الـتى دفعوا خراجها الزائـد بدون القيمة التـى كانوا يبيعون بهـا ، مع قلة الخراج الذى كانـوا يماطلون فيه الملـتزمين السابقين ، مـع التظلم والتشـكى ، فيزرع الزارع ما يزرعه من هذه الأشياء من التقاوى المتـروكة فى مخزنه ، ثم يبيع الفدان من الكتان الأخضر فى غيطه إنْ كان مستعجلا بالثمن الكثير ، وإلا أبقاه إلى تمام صلاحه فيجمعه ويـدقه ، ويبيع ما يبيعه من الـبزر خاصة بأغلى ثمن ، ثم يتـمم خدمته من التعطين والـنشر والتخمير إلى أن يصـفى ، وينظف من أدرانه وخشوناتـه ، ويتصلح للغزل والنسيج ، فيباع حينئذ بالأوقية والرطل ، وكذا القطن والنيلة والعصفر ، فلما وقع عليهم التحجير وحرموا من المكاسب التى كانوا يتوسعون بها فى معايشهم باقتناء المواشي ، والحلى للنساء ، قالوا : « ما عـدنا نزرع هذه الأشياء » ، وظنوا أنْ يتركوا على هواهم ونسوا مـكر أوليائهم فنزل عليهم الأمر والإلزام بـزرع الضعف ، فضجوا وترجوا واستشفعـوا ورضوا بمقدار العام الماضى ، فمنهم من سـومح ، ومنهم من لم يسامح ، وهو ذو المقدرة ، وبعد إتمامه ، وكمال صلاحه يؤخذ بالثمن المفروض على طرفَ الميرى ، ويبـاع لمن يشترى من أربابه أو خـلافهم بالثمن المقـدر ، وربح زيادته لطرف حضرة الـباشا ، مع التضييق والحـجر البليغ والفحص عـن الإختلاس ، فمن عثروا علـيه باختلاس شيء ولو قـليلاً عوقب عقابا شـديدا ليرتدع خلافه ، والـكتبة والموظفـون لتحـرير كـل صنف ووزنه وضبطه فى تنـقلات أطواره ، وعند تسـليم

الصنـاع ، ونتج من ذلك وأثمـر عزة الأشياء وغلو الأسـعار على الناس ، مـنها أن المقطع القماش الذى كان ثمنه ثلاثين نصفا ، بلغ سعره عشرة قروش مع عزة وجدانه بالأسواق المعـدة لبيعه ، مثل سوق مـرجوش وخلافه ، خلا الطوافـين به ، والثوب البطانة الـذى كان ثمنه قرشين بلغ ثمـنه سبعة قروش ، وأدركناه فى الأزمـان السابقة يباع بعشرين نصـفا ، وبلغ ثمن الثوب من البفتة المحلاوى أربـعة عشر قرشا ، وكان يباع فيما أدركنا بدكان التاجر بستين نصفا ، وقس على ذلك ، وبسبب التحجير على النيلـة غلا صبغ ثياب الـفقراء ، حتى بلـغ صبغ الذراع الواحد نـصف قرش ، والله يلطف بحال خلقه ، وما دام توزون له امرأة مطاعة فالميل فى الجمر .

ومنها : استـمر التحجير على الأرز ومـزارعه على مثل هذا النـسق ، بحيث إن الزراعين له التعبانين فيه لايمكنون من أخذ حبـة منه ، فيؤخذ بأجمعه لطرف الباشا بما قدره من الثـمن ، ثم يخدم ويضـرب ويبيض فى المداويـر والمدقات والمناشيـر بأجرة العمال علـى طرفه ، ثم يباع بالثمـن المفروض ، واتفق أن شخصا من أبـناء البلد ، يسمـــى حسين چلبى عجـوة ، ابتكر بفكـره صورة دائرة ، وهى التى قد يـدقون بها الأرز ، وعمل لها مثالا من الصفيح تدور بـأسهل طريقة ، بحيث إنَّ الآلة المعتادة إذا كانت تدور بـأربعة أثوار فيديـر هذه ثوران ، وقدم ذلك المثـال إلى الباشا ، فأعـجبه وأنعم عـليه بدراهم ، وأمره بـالمسير إلى دميـاط ، ويبنى بهـا دائرة ويهندسهـا برأيه ومعرفته ، وأعطاه مرسوما بما يحتاجه من الأخشاب والحديد والمصرف ، ففعل وصح قوله ، ثم فعل أخرى برشيد وراج أمره بسبب ذلك .

ومنهـا : أنَّ الباشا لما رأى هـذه النكتة من حـسين شلبى هـذا ، قال : « إن فى أولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف » ، فأمر بـبناء مكتب بحوش السراية ، ويرتب فيه جمـلة من أولاد الـبلد ومماليك البـاشا ، وجعـل معلـمهم حسـن أفندى المـعروف بالدرويش الموصـلى ، يقرر لهم قواعد الحسـاب والهندسة وعلم المقاديـر والقياسات والارتفاعات ، واستخراج المجهولات مع مـشاركة شخص رومى ، يقال له : « روح الدين أفندى » ، بل وأشخاصا من الإفرنج ، وأحضـر لهم آلات هندسية متنوعة من أشغال الإنكليز ، يـأخذون بها الأبعاد والارتفاعات والمساحة ، ورتـب لهم شهريات وكساوى فى السنة ، واستمروا على الاجتمـاع بهذا المكتب - وسموه مهندس خانة - فى كل يوم من الضباح إلى بعد الظهيرة ، ثم ينزلون إلى بيوتهم ويخرجون فى بعض الأيام إلى الخلاء ، لـتعليم مساحات الأراضـى وقياساتها بالأقصـاب ، وهو الغرض المقصود للباشا .

ومنها : استمرار الإنشاء فى السفن الكبار والصغار لنقل الغلال من قبلى وبحرى لناحية الإسكندرية لتباع على الإفرنج ، من سائر أصناف الحبوب ، فيشحنون السفن من سواحل البلاد القبلية ، وتأتى إلى ساحل بولاق ، ومصر القديمة ، فيصبونها كيمانا هائلة عظيمة صاعدة فى الهواء ، فتصل المراكب البحرية لنقلها ، فتصبح ولايبقى شيء منها ، ويأتى غيرها وتعود كما كانت بالأمس ، ومثل ذلك بساحل رشيد ، وأما الحبوب البحرية فإنها لاتأتى إلى هذه السواحل ، بل تذهب من سواحلها إلى حيث هى برشيد ثم إلى الإسكندرية ، ولما بطل البغاز جمعوا الحمير الكثيرة والجمال ينقلون عليها على طريق البر بالأجرة القليلة ، فكانت تموت من قلة العلف ، ومشقة الطريق ، وتوسق بها السفن الواصلة بالطلب إلى بلاد الإفرنج بالثمن عن كل أردب من البر ستة آلاف فضة ، وأما الفول والشعير والحلبة والذرة وغيرها من الحبوب والأدهان فأسعارها مختلفة ، ويعوض بالبضائع والنقود من الفرانسة ، معبأة فى صناديق صغيرة ، تحمل الثلاثة منها على بعير إلى الخزينة ، وهى مصفحة بالحديد يمرون بها قطارات إلى القلعة ، وعند قلة الغلال ، ومضى وقت الحصاد يتقدم إلى كشاف النواحى القبلية والبحرية بفرض مقادير من الغلال على البلدان والقرى ، فيلزمون مشايخ البلدان بما تقرر على كل بلد من القمح والفول والذرة ، ليجمعوه ويحصلوه من الفلاحين ، وهم أيضًا يعملون بفلاحى بلادهم ما يعملون بجورهم وأغراضهم ، ويأخذون الأقوات المدخرة للعيال ، وذلك بالثمن عن كل أردب من البر ثمانية ريال ، يعطى له نصفها ، ويبقى له النصف الثانى ليحسب له من أصل المال الذى سيطالب به فى العام القابل .

ومنها : أن الباشا سنح له أن ينشئ بالمحل المعروف برأس الوادى بشرقية بلبيس ، سواقى وعمارات ومزارع ، وأشجار توت وزيتون ، فذهب هناك وكشف عن أراضيه فوجدها متسعة وخالية من المزارع ، وهى أراضى رمال وأودية ، فوكل أناسا لإصلاحها وتمهيدها ، وأن يحفروا بها جملة من السواقى ، تزيد عن الألف ساقية ، ويبنوا أبنية ومساكن ، ويزرعوا أشجار التوت لتربية دود القز ، وأشجارا كثيرة من الزيتون لعمل الصابون ، وشرعوا فى العمل والحفر والبناء ، وفى إنشاء تـوابيت خشب للسواقى تصنع ببيت الجبجى بالتبانة ، وتحمل على الجمال إلى رأس الوادى شيئًا بعد شيء ، وأمر أيضًا ببناء جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية ، وأن يعمل مصبنة لصناعة الصابون وطبخه مثل الذى يصنع ببلاد الشام ، وتوكل بذلك السيد أحمد بن يوسف فخر الدين ، وعمل به أحواضا كبيرة للزيت والقلى .

ومن المتجددات أيضًا : محل بخطة تحت الربع يعمل بـه وتسبك أوانى ودسوت من النحاس فى غاية الكبر والعظم .

ومنها : شغل البارود وصناعته بالمكان والصناع المعدة لذلك بجزيرة الروضة بالقرب من المقياس ، بعد أن يستخرجوه من كيمان السباخ فى أحواض مبنية ومخفقة ، ثم يكررونه بالطبخ حتى يكون ملحه غاية فى البياض والحدة ، كالذى يجلب من بلاد الإنكليز ، والمتقيد كبيرا على صنّاعه شخص إفرنكى ، ولهم معاليم تصرف فى كل شهر ، ومكان أيضًا بالقلعة عند باب الينكجرية لسبك المدافع ، وعملها وقياساتها وهندستها والبنبات وارتفاعها ومقاديرها ، وسمى ذلك المكان الطبخانة ، وعليه رئيس وكتبة وصناع ولهم شهريات .

ومنها : شدة رغبة الباشا فى تحصيل الأموال والزيادة من ذلك من أى طريق بعد استيلائه على البلاد ، والاقطاعات والرزق الأحباسية ، وإبطال الفراغ والبيع والشراء والمحلول عند الموتى من ذلك ، والعلوفات وغلال الأنبار ونحو ذلك ، فكل من مات عن حصته أو رزقته أو مرتب انحل بموته ما كان على اسمه ، وضبط وأضيف إلى ديوانه ، ولو له أولاد أو كان هو كتبه باسم أولاده وماتت أولاده قبله انحل عنه ، وأصبح هو وأولاده من غير شىء ، فإن أعرض حاله على الباشا أمر بالكشف عن إيراده ، فإن وجدوا بالدفاتر جهة أو وظيفة أخرى قيل له هذه تكفيك ، وإن لم يوجد فى حوزه خلافها أمر له بشىء يستغله من أقلام المكوس ، إما قرش أو نصف قرش فى كل يوم ، أو نحو ذلك ، هذا مع التفاته ورغبته فى أنواع التجارات والشركات وإنشاء السفن ببحر الروم والقلزم ، وأقام له وكلاء بسائر الأساكل حتى ببلاد فرانسة والإنكليز ومالطة وأزمير وتونس والنابلطان والونديك والبنادقة واليمن والهند ، وأعطى أناسا جملا عظيمة من أموال يسافرون بها ، ويجلبون البضائع وجعل لهم الثلث فى الربح فى نظير سفرهم وخدمتهم ، فمن ذلك أنَّه أعطى للرئيس حسن المحروقى خمسمائة ألف فرانسة ، يسافر بها إلى الهند ويشترى البضائع الهندية ، ويأتى بها إلى مصر ، ولشخص نصرانى أيضًا ستمائة ألف فرانسة ، وكذلك لمن يذهب إلى بيروت وبلاد الشام ، لمشترى القز والحرير وغير ذلك ، وعمل بمصر أماكن ومصانع لنسج القطانى التى يتخذها الناس فى ملابسهم من القطن والحرير ، وكذلك الجنفس والصندق ، واحتكر ذلك بأجمعه ، وأبطل دواليب الصناع لذلك ، ومعلميهم وأقامهم يشتغلون وينسجون فى المناسج التى أحدثها بالأجرة ، وأبطل مكاسبهم أيضًا ، وطرائقهم التى كانوا عليها ، فيأخذ من ذلك ما يحتاجه فى

البلكات والكساوى ، وما زاد يرميه على التجار وهم يبيعونه على الناس بأغلى ثمن ، وبلغ ثمن الدرهم من الحرير خمسة وعشرين نصفا بعد أن كان يباع بنصفين .

ومنها : أنه أبطل ديوان المتجرة ، وهى عبارة عما يؤخذ من المعاشات ، وهى المراكب التى تغدو وتروح لموارد الأرياف ، مثل : شبين الكوم ، وسمنود ، والبلاد البحرية ، وعليها ضرائب وفرائض للملتزم بذلك ، وهو شخص يسمى : على الجزار ، وسبب ذلك أن معظم المراكب التى تصعد ببحر النيل وتنحدر من إنشاء الباشا ، ولم يبق لغيره إلا القليل جدا ، والعمل والإنشاء بالترسخانة مستمر على الدوام ، والرؤساء والملاحون يخدمون فيها بالأجرة ، وعمارة خللها وأحبالها وجميع احتياجاتها على طرف الترسخانة ، ولذلك مباشرون وكتاب وأمناء يكتبون ويقيدون الصادر والوارد ، وهذه الترسخانة بساحل بولاق بها الأخشاب الكثيرة والمتنوعة ، وما يصلح للعمائر والمراكب ، ويأتى إليها المجلوب من البلاد الرومية والشامية ، فإذا ورد شيء من أنواع الأخشاب سمحوا للخشابة بشيء يسير منها بالثمن الزائد ، ورفع الباقى إلى الترسخانة ، وجميع الأخشاب الواردة والأحطاب جميعها فى متاجر الباشا ، وليس لتجارها إلا ما كان من داخل متاجره ، وهو القليل .

ومن النوادر : أنه وصل من بلاد الإنكليز سواقى بآلات الحديد تدور بالماء ، فلم يستقم لها دوران على بحر النيل .

ومنها : أنه أنشأ جسرا ممتدا من ناحية قنطرة الليمون على يمنة السالك إلى طريق بولاق ، متصلا إلى شبرا على خط مستقيم ، وزرعوا بجافتيه أشجار التوت ، وعلى هذا النسق جسور بطرق الأرياف والأقاليم .

ومنها : أن اللحم قل وجوده من أول شهر رجب إلى غاية السنة [1] ، وغلا سعره مع رداءته وهزاله، حتى بيع الرطل بعشرين نصفا، وأزيد وأقل ، مع ما فيه من العظام وأجزاء السقط والشغت، وسبب ذلك رواتب الدولة، وأخذها بالثمن القليل ، فيستعوض الجزارون خسارتهم من الناس ، وكان البعض من العسكر يشترى الأغنام ويذبحها ويبيعها بالثمن الغالى ، وينقص الوزن ولايقدر ابن البلد على مراجعته .

ومنها : أنّ إبراهيم أغا الذى كان كتخدا إبراهيم باشا ، قلده الباشا كشوفية المنوفية ، فمن أفاعيله أنه يطلب مشايخ البلدة أو القرية فيسأل الشخص منهم على من شيخه ، فيقول : « أستاذ البلدة » ، فيقول له : « فى أى وقت » ، فيقول : « سنة

---

(١) ١ رجب - آخر ذى الحجة ١٢٣١ هـ / ٢٨ مايو - ٢١ نوفمبر ١٨١٦ م .

كذا » ، فيقول : « وما الذى قدمته له فى سياحتك » ، ويهدده أو يحبسه على الإنكار أو يخبر من بادئ الأمر ، ويقول : « أعطيته كذا وكذا » ، إما دراهم أو أغناما ، فيأمر الكاتب بتقييده وتحريره وضبطه على الملتزم ، وسطر بذلك دفترا وأرسله ليخصم على الملتزمين من فائظهم المحرر لهم بالديوان ، فيتفق أن المحرر عليه يزيد على القدر المطلوب له ، فيطالب بالباقى أو يخصم عليه من السنة القابلة.

ومنها : التحجير على القصب الفارسى فلا يتمكن أحد من شراء شيء منه ولو قصبة واحدة إلا بمرسوم من كتخدا بيك ، فمن احتاج منه فى عمارة أو شباك أو لدوارات الحرير ، أو أقصاب الدخان أخذ فرمانا به بقدر احتياجه ، واحتاج إلى وسايط ومعالجات واحتجاجات حتى يظفر بمطلوبه .

ومنها : وهى من محاسن الأفعال ، أن الباشا أعمل همته فى إعادة السد الأعظم الممتد الموصل إلى الإسكندرية ، وقد كان اتسع أمره وتخرب من مدة سنين ، وزحف منه ماء البحر المالح وأتلف أراضى كثيرة ، وخربت منه قرى ومزارع ، وتعطلت بسببه الطرق والمسالك ، وعجزت الدول فى أمره ، ولم يزل يتزايد فى التهور ، وزحف المياه المالحة على الأراضى حتى وصلت إلى خليج الأشرفية التى يمتلئ منها صهاريج الثغر ، فكانوا يجسّرون عليه بالأتربة والطين ، فلما اعتنى الباشا بتعمير الإسكندرية وتشييد أركانها وأبراجها وتحصينها - ولم تزل بها العمارات - اعتنى أيضًا بأمر الجسر ، وأرسل إليه المباشرين والقومة والرجال والفعلة ، والنجارين والبنائين والمسامير وآلات الحديد ، والأحجار والمؤن والأخشاب العظيمة ، والسهوم والبراطيم حتى تممه ، وكان له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذه الأزمان ، فلو وفقه الله لشيء من العدالة على ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة ، لكان أعجوبة زمانه وفريد أوانه ، وأما أمر المعاملة ، فلم يزل حالها فى التزايد حتى وصل صرف الريال الفرانسة إلى تسعة قروش ، وهو أربعة أمثال الريال المتعارف ، ولما بطل ضرب القروش من العام الماضى ضربوا بدلها أنصاف قروش وأرباعها وأثمانها وتصرف بالفرط ، والأنصاف العددية لا وجود لها بأيدى الناس إلا ما قل جدا ، فإذا أراد إنسان منها دفع فى إبدالها عشرة قروش ، عنها أربعمائة نصف فضة زيادة على المبدل ، إن كان ذهبا أو فرانسة أو قروشا ، ووصل صرف البندقى إلى ثمانمائة نصف ، والمجر ثمانية عشر قرشا ، والمحبوب المصرى إلى أربعمائة ، والإسلامبولى إلى أربعمائة وثمانين ، كل ذلك أسماء لا مسميات لانعدام الأنصاف ، مع أنه يضرب منها المقادير والقناطير ، يأخذها التجار الشاميون والروميون بالفرط ، ثم

يرسلونها متاجر بدلا عن البضائع ؛ لأن الريال فى تلك البلاد صرفه ثلثمائة نصف فقط ، فيكون فيه من الربح ستون نصفا فى كل ريال ، ولما علم الباشا ذلك جعل يرسل لوكلائه بالشام فى كل شهر ألف كيس من الفضة العددية ، ويأتيه بدلها فرانسة ، فيضيف عليها ثلاثة أمثالها نحاسا ، ويضربها فضة عددية ، فيربح فيها ربحا بدون حاء (١) عظيما ، وهكذا من هذا الباب فقط [1] .

ومن حوادث السنة : الآفاقية واقعة الإنكليز مع أهل الجزائر ، وهو أن لأهل الجزائر صولة واستعدادا وغزوات فى البحر ، ويغزون مراكب الإفرنج ، ويغتنمون منها غنائم ، ويأخذون منهم أسرى ، وتحت أيديهم من أسارى الإنكليز وغيرهم شيء ، وميمنتهم حصينة يدور بها سور خارج فى البحر كنصف الدائرة فى غاية الضخامة والمتانة ، ذو أبراج مشحونة بالمدافع والقنابر والمرابطين والمحاربين ، ومراكبهم من داخله ، فوصل إليهم بعض مراكب الإنكليز ، ومعهم مرسوم من السلطان العثمانى ليفتدوا أسراهم بمال ، فأعطوهم ما يزيد عن الألف أسير ، ودفعوا عن كل رأس أسير مائة وخمسين فرانسا ، ورجعوا من حيث أتوا ، وبعد مدة وصل منهم بعض سفائن إلى خارج المينا رافعين أعلام السلم والصلح ، فعبروا داخل المينا من غير ممانع ، ونزل منهم أنفار فى فلوكة ، وبيدهم مرسوم بطلب باقى الأسرى فامتنع حاكمهم من ذلك وترددوا فى المخاطبات ، وفى أثناء ذلك وصلت عدة مراكب من مراكبهم وشلنبات ، وهى المراكب الصغار المعدة للحرب ، وعبروا مع مساعدة الريح إلى المينا ، وأثاروا الحرب والضراب بطرائقهم المستحدثة ، فأحرقوا مراكب أهل الجزائر مع المضاربة أيضًا من أهل المدينة ، مع تأخر استعدادهم وسرعة استعداد الخصم ، ومدافع الأبراج الداخلة لاتصيب الشلنبات الصغيرة المتسفلة ، وهم لايخطئون ، ثم هم فى شدة الغارة والحرب إذ قيل للحاكم بأن عساكره الأتراك تركوا المحاربة ، واشتغلوا بنهب البلدة ، وإحراق الدور فسقط فى يده ، واحتار فى أمره ما بين قتال العدو الواصل أو قتال عسكره ومنعهم وكفهم عن النهب والإحراق والفساد ، وهذا شأنهم فلم يسعه إلا خفض الأعلام وطلب الأمان من الإنكليز ، فعند ذلك أبطلوا الحرب وكفوا عن الضراب ، وترددوا فى الصلح على شرائطهم التى منها : تسليم بواقى الأسرى ، واسترداد المال الذى سلموه فى الفداء السابق حالا من غير مهلة ، فكان ذلك ، وتسلموا الأسرى ، وفيهم من كان صغيرا وأسلم وقرأ القرآن ، واتفقوا على المتاركة والمهلة زمنا مقداره ستة أشهر ، ورجعوا إلى بلادهم

---

(١) كتب أمام رقم (١) بهامش ص ٢٥٨ ، طبعة بولاق « إى بدون ربًا أ هـ » .

بالظفر والأسرى ، والأمر لله وحده ، ثم إنَّ الجزائرلية اجتهدوا فى تعمير ما تهدم وتخرب من السور والأبراج والجامع فى الحرب ، وكذلك ما أخربه عساكرهم الذين هم أعدى من الأعداء ، وأضر ما يكون على الإسلام وأهله ، وصارت الأخبار بذلك فى الآفاق ، وأمدّهم سلطان المغرب مولاى سليمان ، وبعث إليهم مراكب عوضا عن الذى تلف من مراكبهم ، فأرسل إليهم معمرين وأدوات ولوازم عمارات ، وكذلك حاكم تونس وغيرها ، ومن السلطان العثمانى أيضًا ، ولم يتفق فيما نعلم لأهل الجزائر مثل هذه الحادثة الهائلة، ولا أشنع منها : وكانت هذه الواقعة غرة شهر شوّال من السنة (١) ، وهو يوم عيد الفطر ، وكان عيدا عليهم فى غاية الشناعة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر(٢)

مات ، الشيخ الفهامة ، والنحرير العلامة ، الفقيه النحوى الأصولى ، إبراهيم البسيونى البجيرمى الشافعى ، وهو ابن أخت الشيخ موسى البجيرمى ، الشيخ الصالح المقتصد الورع الزاهد ، حضر جل الأشياخ المتقدمين ، وهو فى عداد الطبقة الأولى ، ودرس وأفاد ، وانتفع به الطلبة بل غالب الناس ، كان طارحا للتكلف متقشفا مع التواضع والانكسار ، ملازما على العبادة ، مستحضرا للفروع الفقهية والمعقولية ، والمناسبات الشعرية ، والشواهد النحوية والأدبية ، جيد الحافظة ، لاتمل مجالسته ومؤانسته ، ولم يزل على حالته وإفادته ، وانجماعه وعفته ، حتى تمرض وتوفى يوم السبت منتصف المحرم من السنة (٣) ، عن نحو الخمسة وسبعين ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، رحمه الله تعالى وإيَّانا .

ومات ، الشيخ العلامة الأصولى الفقيه النحوى ، على الحصَّاوى الشافعى ، نسبة إلى بلدة بالقليوبية تسمى الحصَّة (٤) ، حضر إلى الجامع الأزهر صغيرا ، وحفظ القرآن والمتون ، وحضر دروس الأشياخ كالشيخ : على العدوى المنسفيسى ، الشهير بالصعيدى ، والشيخ عبد الرحمن النحريرى ، الشهير بالمقرى ، ولازم الشيخ سليمان الجمل ، وبه تخرج ، وحضر على الشيخ عبدالله الشرقاوى مصطلح الحديث ، وكان

---

(١) غرة شوال ١٢٣١ هـ / ٤ أغسطس ١٨١٦ م .

(٢) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٢٥٩ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة » .

(٣) ١٥ محرم ١٢٣١ هـ / ٢٥ نوفمبر ١٨١٥ م .

(٤) الحصة : قرية قديمة ، اسمها الأصلى شبرا بلوله ، ووردت فى تاريخ ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م ، باسم حصة للعتى ، وهى إحدى قرى مركز طوخ ، محافظة القليوبية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٤٢ .

يحفظ جمع الجوامع ، مع شرحه للجلال المحلى ، فى الأصول ، ومختصر السعد ، ويقرأ الدروس ويفيد الطلبة ، وكان إنسانا حسنا مهذبا متواضعا ، ولايرى لنفسه مقاما عاش معانقا للخمول فى جهد وقلة من العيش مع العفة ، وعدم التطلع لغيره صابرا على مناكدة زوجته ، وبآخرة أصيب فى شقه بداء الفالج ، انقطع بسببه أشهرا ، ثم انجلى عنه يسيرا مع سلامة حواسه ، وعاد إلى الإقراء والإفادة ، ولم يزل على حسن حاله ورضاه ، وانشراح صدره ، وعدم تضجره وشكواه للمخلوقين ، إلى أن توفى فى شهر جمادى الثانية سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف[1] ، رحمه الله وإيانا .

ومات ، الشيخ العلامة ، والنحرير الفهامة ، السيد أحمد بن محمد بن إسماعيل من ذرية السيد محمد الدوقاطى الطهطاوى الحنفى ، والده رومى حضر إلى أرض مصر متقلدا القضاء بطهطا بلدة بالقرب من أسيوط بالصعيد الأدنى ، فتزوج بامرأة شريفة ، فولد له منها المترجم ، وأخوه السيد إسماعيل ، ولم يزل مستوطنا بها إلى أن مات ، وترك ولديه المذكورين وأختا لهما ، حضر المترجم إلى مصر فى سنة إحدى وثمانين ومائة وألف[2] ، وكان قد بدأ نبات لحيته بعدما حفظ القرآن ببلده ، وقرأ شيئًا من النحو ، فدخل الأزهر ، ولازم الحضور فى الفقه على الشيخ أحمد الحماقى ، والمقدسى ، والحريرى ، والشيخ مصطفى الطائى ، والشيخ عبد الرحمن العريشى ، حضر عليه من أول كتاب الدر المختار إلى كتاب البيوع ، وتمم حضوره على المرحوم الوالد مع الجماعة ، لتوجه الشيخ عبد الرحمن لدار السلطنة لبعض المقتضيات عن أمر على بيك فى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف[3] ، فالتمس الجماعة تكملة الكتاب على الوالد ، فأجابهم لذلك ، فكانوا يأتون للتلقى عنه فى المنزل ، والمترجم معهم ، وفى أثناء ذلك قرأت مع المترجم على الوالد : متن نور الإيضاح ، بعد انصراف الجماعة عن الدرس ، ويتخلف المترجم ، وذلك لعلو السند ، فإن الوالد تلقاه عن ابن المؤلف ، وهو عن جد الوالد عن المؤلف ، وجدّ الوالد ، والمؤلف يسميان بحسن فهو من عجيب الاتفاق ، وكان المترجم يلائم طبع الفقير فى الصحبة ، فكنت معه فى غالب الأوقات ، إما فى الجامع أو فى المنزل للطافة طبعه ، وقرب سنى من سنه ، وكان الوالد يرى ذلك ، ويسألنى عنه إذا تخلف فى بعض الأحيان ، ويقول : « أين رفيقك الصعيدى » ، فكان يعيد معى ويفهمنى ما يصعب علىّ فهمه ، ولم يزل يدأب فى الاشتغال والطلب مع جودة ذهنه وخلو باله وتفرغه ، والفقير بخلاف ذلك، وتلقى المترجم الحديث سماعا وإجازة عن كل من :

---

(١) جمادى الثانية ١٢٣١ هـ / ٨ أبريل - ٦ مايو ١٨١٦ م .

(٢) ١١٨١ هـ / ٣٠ مايو ١٧٦٧ - ١٧ مايو ١٧٦٨ م . (٣) ١١٨٣ هـ / ٧ مايو ١٧٦٩ - ٢٦ أبريل ١٧٧٠ م .

الشيخ حسن الجداوى ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ عبد العليم الفيومى ، ثلاثتهم عن : الشيخ على العدوى المنسفيسى ، عن الشيخ محمد عقيلة ، بسنده المشهور ، ولما ترسخ للإفادة والتدريس ، وكان مسكنه بناحية الصليبة ، وجلس للإقراء بالمدرسة الشيخونية، والصرغتمشية ، واحتف به سكان تلك الناحية وأكابرهم واعتنوا بشأنه وأسكنوه فى دار تليق به ، وهادوه وواسوه وأكرموه ، وكانت تلك الناحية عامرة بأكابرها ، وانفرد المترجم عندهم لكونه على مذهبهم - وأصله من جنس الأتراك - وخلو تلك النواحى من أهل العلم وخصوصا الأحناف ، وملازمة المترجم للحالة المحمودة من الإفادة مع شرف النفس والتباعد عما يخل بالمروءة ، إلا ما يأتيه عفوا ، فازدادت محبتهم له ، ووثقوا فيما يقضيه ، ثم تصدى لوقف الشيخونيتين وإيرادهما ، واستخلاص أماكنهما ، وشرع فى تعميرهما، وساعده على ذلك كل من كان يحب الإصلاح، فجدد عمارة المسجد والتكية، وأنشأ بها صهريجا، وفى أثناء ذلك انتقل بأهله إلى دار مليحة - بجوار المسجد بالدرب المعروف بدرب الميضأة - وقفها بانيها على المسجد ، كل ذلك والمترجم لم ينقطع عن الحضور إلى الأزهر فى كل يوم ، ويقرأ درسه أيضًا بالجامع ، ولما كثرت جماعته انتقل إلى المدرسة العينية [1] بالقرب من الأزهر ، ولما عمر محمد أفندى الودنلى الجامع المجاور لمنزله تجاه القنطرة المعروفة بعمار شاه ، والمكتب ، قرر المترجم فى درس الحديث بها فى كل يوم بعد العصر ، وقرر له عشرة من الطلبة ، ورتب للشيخ والطلبة معلوما وافرا يقبض من الديوان ، ولما مات الشيخ إبراهيم الحريرى تعين المترجم لمشيخة الحنفية ، فتقلدها على امتناع منه ، فاستمر إلى أن أخرج السيد عمر مكرم من مصر منفيا ، وكتبوا فى شأنه عرضحالا إلى الدولة ، نسبوا إليه فيه أشياء لم تحصل منه ، وطلبوا الشهادة فيها ، فامتنع فشنعوا عليه ، وبالغوا فى الحط عليه ، وعزلوه من المشيخة وقلدوها الشيخ حسين المنصورى ، فلما مات المذكور أعيد المترجم إلى مشيخة الحنفية ، وذلك فى غرة شهر صفر سنة ألف ومائتين وثلاثين [2] ، ولبس الخلع من الشيخ الشنوانى شيخ الجامع ، ثم من الباشا وباقى المشايخ أرباب المظاهر ، ولم يختلف عليه اثنان ، وفى هذه السنة [3] ، استأذن الفقير فى بناء مقبرة يدفن فيها إذا مات بجوار الشيخ أبى جعفر الطحطاوى بالقرافة - لكونى ناظرا عليها - فأذنت له فى ذلك ، فبنى له قبرا بجانب مقام الأستاذ ، ولما توفى دفن فيه ، وكانت وفاته ليلة

---

(١) المدرسة العينية : تقع برأس حارة الدوادارى من خطة الجامع الأزهر ، أنشأها الشيخ محمود العينى الحنفى سنة ٨١٤ هـ / ١٤١١ م ، وكان يدرس بها بعض علماء الأزهر ، وبها مساكن موقوفة على الطلبة .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ٢٤ .

(٢) غرة صفر ١٢٣٠ هـ / ١٣ يناير ١٨١٥ م . (٣) ١٢٣١ هـ / ٣ ديسمبر ١٨١٥ - ٢٠ نوفمبر ١٨١٦ م .

الجمعة بعد الغروب خامس عشر شهر رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف [1] ، له من المآثر : حاشية على الدر المختار ، شرح تنوير الأبصار ، فى أربع مجلدات ، جمع فيها المواد التى على الكتاب ، وضم إليها غيرها .

ومات ، النجيب الأريب ، والنادرة العجيب ، أعجوبة الزمان ، وبهجة الخلان ، حسن أفندى المعروف بالدرويش الموصلى ، كما أخبر عن نفسه الذكى الألمعى ، والسميذع اللوذعى ، كان إنسانا عجيبا فى نفسه ، مميزا شهيرا فى مصره ، طاف البلاد والنواحى ، وجال فى الممالك والضواحى ، واطلع على عجائب المخلوقات ، وعرف الكثير من الألسن واللغات ، ويعتزى لكل قبيل ، ويخالط كل جيل ، فمرة ينتسب إلى فارس وأخرى إلى بنى مكانس ، فكأنه المعنىّ بما قيل :

طوراً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يمنٍ وإنْ رأيتُ مَعَدّيا فَعدْنانِ

هذا مع فصاحة لسان ، وقوة جنان ، والمشاركة فى كل فن من الرياضيات والأدبيات ، حتى يظن سامعه أنه مجيد فى ذلك الفن منفرد به ، وليس الأمر كذلك ، وإنما ذلك بقوة الفهم والحفظ ، وما فيه من القابلية ، فيستغنى بذلك عن التلقى من الأشياخ ، وأيضًا فقد انقرض أهل الفنون ، فيحفظ اصطلاحات الفن وأوضاع أهله ، ويبرزه فى ألفاظ ينمقها ويحسنها ، ويذكر أسماء كتب مؤلفة ، وأشياخا وحكما يقل الإطلاع عليها ، والوصول إليها ، ولمعرفته باللغات ، خالط كل ملة حتى يظن كل أهل ملة أنه واحد منهم ، ويحفظ كثيرا من الشبه والمدركات العقلية ، والبراهين الفلسفية ، وأهمل الواجبات الشرعية ، والفرائض القطعية ، وربما قلد كلام الملحدين ، وشكوك المارقين ، ويزلق لسانه فى بعض المجالس بغلطات من ذلك ووساوس ، فلذلك طعن عليه فى الدين ، وأخرجوه عن اعتقاد المسلمين ، وساءت فيه الظنون ، وكثر عليه الطاعنون ، وصرحوا بعد موته بما كانوا يخفونه فى حياته ، لاتقاء شره وسطواته ، وكان له تداخل عجيب فى الأعيان ، ومع كل أهل دولة وزمان ، ورؤساء الكتبة والمباشرين من الأقباط والمسلمين ، بالمعزة الزائدة ، واستجلاب الفائدة ، لاتمل مجالسته ولامعاشرته ، وبآخرة لما رغب الباشا فى إنشاء محل لمعرفة علم الحساب ، والهندسة والمساحة ، تعين المترجم رئيسا ومعلما لمن يكون متعلما بذلك المكتب ، وذلك أنه تداخل بتحيلاته لتعليم مماليك الباشا الكتابة والحساب ونحو ذلك ، ورتب له خروجا وشهرية ، ونجب تحت يده بعض المماليك فى معرفة الحسابيات ونحوها ، وأعجب الباشا ذلك ، فذاكره وحسنّ له بأن يفرد

---

(1) ١٥ رجب ١٢٣١ هـ / ١١ يونيه ١٨١٦ م .

مكانا للتعليم ، ويضم إلى مماليكه من يريد التعليم من أولاد الناس ، فأمر بإنشاء ذلك المكتب ، وحضر إليه أشياء من آلات الهندسة والمساحة والهيئة الفلكية من بلاد الإنكليز وغيرهم ، واستجلب من أولاد البلد ما ينيف على الثمانين شخصا من الشبان الذين فيهم قابلية للتعليم ، ورتبوا لكل شخص شهرية وكسوة فى آخر السنة ، فكان يسعى فى تعجيل كسوة الفقير منهم ليتجمل بها بين أقرانه ، ويواسى من يستحق المواساة ، ويشترى لهم الحمير مساعدة لطلوعهم ونزولهم إلى القلعة ، فيجتمعون للتعليم فى كل يوم من الصباح إلى بعد الظهر ، وأضيف إليه آخر حضر من إسلامبول له معرفة بالحسابيات والهندسيات لتعليم من يكون أعجميا لايعرف العربية مساعدا للمترجم فى التعليم ، يسمى روح الدين أفندى ، فاستمرا نحوا من تسعة أشهر [1] ، ومات المترجم ، وذلك أنه افتصد وطلع إلى القلعة فحنق على بعض المتعلمين وضربه ، فانحلت الرفادة ، فسال منه دم كثير ، فحُم حُمى مختلطة ، واستمر أياما ، وتوفى ودفن بجامع السراج البلقينى بين السيارج ، وعند ذلك زاد قول الشامتين ، وصرحوا بما كانوا يخفونه فى حياته ، فيقول البعض : « مات رئيس الملحدين » ، وآخر يقول : « انهدم ركن الزندقة » ، ونسبوا إليه أن عنده الكتاب الذى ألفه ابن الراوندى لبعض اليهود ، وسماه دافع القرآن ، وأنه كان يقرأه ويعتقد به ، وأخبروا بذلك كتخدا بيك ، فطلب كتبه وتصفحوها ، فلم يجدوا بها ذلك الكتاب ، وما كفى مبغضه وحاسده من الشناعات حتى رأوا له منامات شنيعة ، تدل على أنه من أهل النار ، والله أعلم بخلقه ، وبالجملة فكان غريبا فى بابه ، وكانت وفاته يوم الخميس سابع عشرى جمادى الثانية من السنة [2] ، وانفرد برياسة المكتب روح الدين أفندى المذكور .

ومات ، الأجل المكرم الشريف غالب بسلانيك ، وهو المنفصل عن عمارة مكة وجدة والمدينة ، وما انضاف إلى ذلك من بلاد الحجاز ، فكانت إمارته نحوا من سبع وعشرين سنة ، فإنه تولى بعد موت الشريف سرور فى سنة ثلاث ومائتين وألف [3] ، وكان من دهاة العالم وأخباره ومناقبه تحتاج إلى مجلدين ، ولم يزل حتى سلط الله عليه بأفاعيله هذا الباشا ، فلم يزل يخادعه حتى تمكن منه وقبض عليه ، وأرسله إلى بلدة سلانيك ، وخرج من سلطنته وسيادته إلى بلاد الغربة ، ونهبت أمواله وماتت

---

(١) كتب أمام هذه العبارة بهامش ص ٢٦٢ ، طبعة بولاق « قوله تسعة فى بعض النسخ ستة أ هـ » .

(٢) ١٧ جمادى الثانية ١٢٣١ هـ / ١٥ مايو ١٨١٦ م .

(٣) ١٢٠٣ هـ / ٢ أكتوبر ١٧٨٨ - ٢٠ سبتمبر ١٧٨٩ م .

أولاده وجواريه ، ثم مات هو فى هذه السنة [1] .

ومات ، الأمير مصطفى بيك دالى باشا ، وهو قريب الباشا ونسيبه أيضًا ، وكان من أعاظم أركان دولته ، شهير الذكر موصوفا بالإقدام والشجاعة ، ومات بالإسكندرية ، ولما وصل خبره إلى الباشا اغتم غما شديدا ، وتأسف عليه ، وكان الباشا ولاه كشوفية الشرقية ، وقرن به على كاشف ، فأقام بها نحو السنتين ، ومهد البلاد ، وأخاف العربان وأذلهم ، وقتل منهم الكثير ، وجمع لمخدومه أموالا جمة ، وكان جسيما بطينا يأكل التيس المخصى وحده ، ويشرب عليه الزق من الشراب ، ثم يتبعه بشالية أو اثنتين من اللبن ، ويستلقى نائما مثل العجل العظيم ذى الخوار إلا أنه كان يقضى حاجة من التجأ إليه ، ويحب أولاد الناس ويواسيهم ويتجاوز عن الكثير ، ويعطى ما يلزمه من الحقوق لأربابها ، ولما تحققت أخته التى هى زوج الباشا ، وكذلك والدته أمرتا بإحضار رمته إلى مصر ويدفن بمدفنهم ، وتعين لذلك سليمان أغا السلحدار ، فسافر إلى الإسكندرية ووضعه فى صندوق مزفت على عربية ، ووصل به بعد اثنى عشر يوما من موته ، وكان وصوله فى ثانى ساعة من ليلة الجمعة سادس عشرى جمادى الثانية [2] .وذهبوا به إلى المدفن فى المشاعل من خلف المجراة ، فلما وصلوا إلى المدفن أرادوا إنزاله إلى القبر بالصندوق ، فلم يمكنهم ، فكسروا الصندوق فعبقت رائحته ، وقد تهرى فهرب كل من كان حاضرا ، فكبوه على حصير ولفوه فيه ، وأنزلوه إلى الحفرة ، وغشى على الفحارين ، وجزعت النفوس من رائحة أخشاب الصندوق ، فحشوا عليه الأتربة ، وليس من يفتكر أو يعتبر .

ومات ، أيضًا حسن أغا حاكم بندر السويس مطعونا ، فولى الباشا عوضه السيد أحمد الملا الترجمان .

ومات ، أيضًا سليمان أغا حاكم رشيد .

ومات ، الأمير الكبير الشهير بإبراهيم بيك المحمدى عين أعيان أمراء الألوف المصريين ، ومات بدنقلة متغربا عن مصر وضواحيها ، وهو من مماليك محمد بيك أبى الذهب ، تقلد الإمرة والإمارة فى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف [3] ، فى أيام على بيك الكبير ، وتقلد مشيخة البلد ورياسة مصر بعد موت أستاذه فى سنة تسع

(١) ١٢٣١ هـ / ٣ ديسمبر ١٨١٥ - ٢٠ نوفمبر ١٨١٦ م .

(٢) ٢٦ جمادى الثانية ١٢٣١ هـ / ٢٤ مايو ١٨١٦ م .   (٣) ١١٨٢ هـ/ ١٨ مايو ١٧٦٨ - ٦ مايو ١٧٦٩ م .

وثمانين ومائة وألف[1] ، مع مشاركة خشداشه مراد بيـك ، وباقى أمرائهم ، والجميع راضون برياسته وإمـارته لايخالفهم ولايخالفـونه ، ويراعى جانب الصغير مـنهم قبل الكبير ، ويحرص على جمعية أمرهم وألفة قلوبهم فطالت أيامه ، وتولى قائم مقامية مصـــر علـــى الوزراء نحو الـعشرة مرارا ، وطلـع أميرا علـى الحج فـى سـنة ست وثمانين [2] ، وتولى الدفتردارية فى سنة سبع وثمانين [3] ، وكلاهما فى حياة أستاذه ، واشترى المماليـك الكثيرة ، وربَّاهم وأعتـقهم ، وأمَّرَ وقلَّدَ منهم صنـاجق وكشافًا ، وأسكنهم الـدور الواسعة ، وأعطاهم الإقطاعـات ، ومات الكثير منهـم فى حياته ، وأقام خلافهم من مماليـكه ، ورأى أولاد أولاده ، بل وأولادهم ، وما زال يولد له ، وأقام فى الإمارة نحو ثمان وأربعـين سنة ، وتنعم فيها وقاسى فى أواخر أمره شدائد وإغترابـا عن الأهل والأوطان ، وكان موصـوفا بالشجـاعة والفروسية ، ويـاشر عدة حروب وكان ساكن الجأش صبورا ذا تؤدة وحلم قريبا للانقياد للحق ، متجنبا للهزل إلا نـادرا مـــع الكمـال والحشمة لايـحب سفك الـدماء ، مرخصـا لخشداشيـنه فى أفاعيـلهم ، كثيـر التغافل عـن مساويهم مـع معارضتهـم له فى كثيـر منْ الأمور ، وخصوصا مراد بيك.وأتباعه فيغضى ويـتجـاوز ، ولايظهر غما ولا خلافا ولا تأثرا ، حرصا على دوام الألفة وعدم المشاغبة ، وإن حدث فيما بينهم ما يوجب وحشة تلافاه وأصلحه ، وكان هذا الإهمال والترخص والتغـافل سببا لمبادى الشرور ، فإنهم تمادوا فى التعدّى وداخـلهم الغرور وغمرتهم الـغفلة عن عواقب الأمور ، واسـتصغروا من عداهم ، وامتدت أيديهـم لأخذ أموال التجار وبضائع الإفرنج الفرنـساوية وغيرهم ، بدون الثـمن مع الحقارة لـهم ولغيرهـم ، وعدم المبالاة والاكتـراث بسلطانـهم الذى يدعون أنهم فى طاعته مع مخالفة أوامره ، ومنع خزينته واحتقار الولاة ، ومنعهم من التصرف.والحجر عليـهم ، فلا يصل للمولى عليهم إلا بعـض صدقاتهم إلى أن تحرك عليهم حسن باشا الجزايـرلى ، فى سنة مائتين وألف [4] ، وحضر على الصورة التى حضر فيها، وساعدته الرعية، وخرجوا من المدينة إلى الصعيد ، وانتهكت حرمتهم ، ثم رجعوا بعد الفصـل فى سنة ست ومائتين [5] إلى إمارتهم ودولـتهم ، وعادوا إلى حالتهم الأولى بل وأزيد منها فى التعـدّى ، فأوجب ذلك ركوب الفرنساوية عليهم ، ولـم يزل الحال يتزايد والأهوال يتلو بعضها بـعضا حتى انقلبت أوضاع الديار المصرية،

(١) ١١٨٩ هـ / ٤ مارس ١٧٧٥ - ٢٠ فبراير ١٧٧٦ م .
(٢) ١١٨٦ هـ / ٤ ابريل ١٧٧٢ - ٢٤ مارس ١٧٧٣ م .
(٣) ١١٨٧ هـ / ٢٥ مارس ١٧٧٣ - ١٣ مارس ١٧٧٤ م .
(٤) ١٢٠٠ هـ / ٤ نوفمبر ١٧٨٥ - ٢٣ أكتوبر ١٧٨٦ م .
(٥) ١٢٠٦ هـ / ٣١ اغسطس ١٧٩١ - ١٨ اغسطس ١٧٩٢ م .

وزالت حرمتها بالكلية ، وأدّى الحال بالمترجم إلى الخروج والتشتيت والتشريد ، هو ومن بقى من عشيرته إلى بلاد العبيد ، يزرعون الدخن ويتقوّتون منه ، وملابسهم القمصان التى يلبسها الجلابة فى بلادهم ، إلى أنْ وردت الأخبار بموته ، فى شهر ربيع الأوّل من السنة [1] ، وأما جملة أخباره فقد تقدمت فى ضمن السوابق ، والماجريات واللواحق .

ومات ، الأمير الأجل أحمد أغا الخازندار المعروف ببونابارته ، وهو أيضًا شهير الذكر من أعاظم الدولة ، وقد تقدّم كثير من أخباره وسفره إلى الحجاز ، وكان عمر دارا عظيمة على بركة الأزبكية جهة الرويعى ، ثم عمل مهما كبيرًا لزواج ابنه ، وهو إذ ذاك مريض فى حياض الموت ، حتى أشيع فى الناس يوم زفة العروس ، ثم مات بعد أيام قليلة مضت من الفرح ، وذلك يوم الأربعاء ثالث شهر جمادى الثانية [2] .

وماتت ، الست الجليلة خاتون ، وهى سرية على بيك بلوط قبان الكبير ، وكانت محظيته ، وبنى لها الدار العظيمة على بركة الأزبكية بدرب عبد الحق ، والساقية والطاحون بجانبها ، ولما مات على بيك ، وتأمر مراد بيك فتزوّج بها ، وعمرت طويلا مع العز والسيادة والكلمة النافذة ، وأكثر نساء الأمراء من جواريها ، ولم يأت بعد الست شويكار من اشتهر ذكره وخبره سواها ، ولما كان أيام الفرنساوية ، واصطلح معهم مراد بيك حصل لها منهم غاية الكرامة ، ورتبوا لها من ديوانهم فى كل شهر مائة ألف نصف فضة ، وشفاعتها عندهم مقبولة لاتردّ، وبالجملة فإنها كانت من الخيرات ، ولها على الفقراء بر وإحسان ، ولها من المآثر الخان الجديد والصهريج داخل باب زويلة ، توفيت يوم الخميس لعشرين من شهر جمادى الأولى [3] ، بمنزلها المذكور بدرب عبد الحق ، ودفنت بحوشهم فى القرافة الصغرى بجوار الإمام الشافعى ، وأضيفت الدار إلى الدولة ، وسكنها بعض أكابرها، وسبحان الحى الذى لايموت .

ومات ، المقر الكريم المخدوم ، أحمد باشا الشهير بطوسون ابن حضرة الوزير محمد على باشا مالك الأقاليم المصرية والحجازية والثغور وما أضيف إليها ، وقد تقدّم ذكر رجوعه من البلاد الحجازية ، وتوجهه إلى الإسكندرية ورجوعه إلى مصر ، ثم عوده إلى ناحية رشيد ، وعرضى خيامه جهة الحماد بالعسكر على الصورة

---

(١) ربيع الأول ١٢٣١ هـ / ٣١ يناير - ٢٩ فبراير ١٨١٦ م .

(٢) ٣ جمادى الثانية ١٢٣١ هـ / ١ مايو ١٨١٦ م .

(٣) ٢٠ جمادى الأولى ١٢٣١ هـ / ١٨ ابريل ١٨١٦ م .

المذكورة ، وهو ينتقل من العرضى إلى رشيد ، ثم إلى برنبال وأبى منضور والعزب ، ولما رجع فى هذه المرة أخذ صحبته من مصر المغنين وأرباب الآلات المطربة بالعود والقانون والناى والكمنجات ، وهم : إبراهيم الوراق ، والحبابى ، وقشوة ، ومن يصحبهم من باقى رفقائهم ، فذهب ببعض خواصه إلى رشيد ، ومعه الجماعة المذكورون ، فأقام أياما ، وحضر إليه من جهة الروم ، جوار وغلمان أيضًا ، رقاصون ، فانتقل بهم إلى قصر برنبال ، ففى ليلة حلوله بها نزل به ما نزل به من المقدور ، فمرض بالطاعون ، وتململ نحو عشر ساعات ، وانقضى نحبه ، وذلك ليلة الأحد سابع شهر القعدة [1] ، وحضره خليل أفندى قوللى حاكم رشيد ، وعندما خرجت روحه انتفخ جسمه وتغير لونه إلى الزرقة ، فغسلوه وكفنوه ووضعوه فى صندوق من الخشب ، ووصلوا به فى السفينة منتصف ليلة الأربعاء عاشره [2] ، وكان والده بالجيزة ، فلم يتجاسروا على إخباره ، فذهب إليه أحمد أغا أخو كتخدا بيك ، فلما علم بوصوله ليلا استنكر حضوره فى ذلك الوقت ، فأخبره عنه أنه ورد إلى شبرا متوعكا ، فركب فى الحين القنجة ، وانحدر إلى شبرا وطلع إلى القصر ، وصار يمر بالمخادع ، ويقول : « أين هو ؟ » ، فلم يتجاسر أحد أن يصرح بموته ، وكانوا ذهبوا به وهو فى السفينة إلى بولاق ورسوا به عند الترسخانة ، وأقبل كتخدا بيك على الباشا فرآه يبكى ، فانزعج انزعاجا شديدا ، وكاد أن يقع على الأرض ، ونزل السفينة فأتى بولاق آخر الليل ، وانطلقت الرسل لإخبار الأعيان ، فركبوا بأجمعهم إلى بولاق ، وحضر القاضى والأشياخ والسيد المحروقى ، ثم نصبوا تظلك ساترا على السفينة ، وأخرجوا الناووس والدم والصديد يقطر منه ، وطلبوا القلافطة لسد خروقه ومنافسه ، ونصبوا عودا عند رأسه ووضعوا عليه تاج الوزارة المسمى بالطلخان ، وانجروا بالجنازة من غير ترتيب ، والجميع مشاة أمامه وخلفه - وليس فيها من جوقات الجنائز المعتادة : كالفقهاء وأولاد الكتاتيب والأحزاب شىء - من ساحل بولاق على طريق المدابغ وباب الخرق ، على الدرب الأحمر ، على التبانة إلى الرميلة ، فصلوا عليه بمصلى المؤمنين ، وذهبوا به إلى المدفن الذى أعدّه الباشا لنفسه ولموتاه ، كل هذه المسافة ووالده خلف نعشه ينظر إليه ويبكى ، ومع الجنازة أربعة من الحمير تحمل القروش وربعيات الذهب ودراهم أنصاف عدديه ، ينثرون منها على الأرض وعلى الكيمان ، وعن يمين الكتخدا ويساره شخصان يتناول منهما قراطيس الفضة ، يفرق على من يتعرض له من الفقراء والصبيان ، فإذا تكاثروا عليه نثر ما

---

(١) ٧ القعدة ١٢٣١ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٨١٦ م . (٢) ١٠ القعدة ١٢٣١ هـ / ٢ أكتوبر ١٨١٦ م .

بقى فى يده عليهم ، فيشتغلون عنه بالتقاطها من الأرض فكان جملة ما فرق وبدر من الأنصاف العددية فقط خمسة وعشرين كيسا ، عنها خمسمائة ألف فضة ، وذلك خلاف القروش أيضًا ، والربعيات الذهب ، وساقوا أمام الجنازة ستة رؤوس من الجواميس الكبار ، أخذ منها خدمة التربة ومن حولهم ، وخدمة ضريح الإمام الشافعى ، ولم ينل الفقراء إلا ما فضل عنهم ، وأخرجوا لإسقاط صلاة المتوفى خمسة وأربعين كيسا ، تناولها فقراء الأزهر ، وفرقت بجامع الفاكهانى ، بحسب الأغراض للغنى منهم أضعاف قسم الفقير ، وأكثر الفقراء من الفقهاء لم ينالوا ولا القليل ، ولما وصلوا إلى المدفن هدموا التربة ، وأنزلوه فيها بتابوته الخشب لتعسر إخراجه منه بسبب انتفاخه وتهريه ، حتى أنهم كانوا يطلقون حول تابوته البخورات فى المجامر الذهب والرائحة غالبة على ذلك ، وليس ثم من يتعظ أو يعتبر ، ولما مات لم يخبروا والدته بموته إلا بعد دفنه ، فجزعتّ عليه جزعا شديدا ، ولبست السواد ، وكذلك جميع نسائهم وأتباعهم ، وصبغوا براقعهم بالسواد والزرقة ، وكذلك من ينافقهم من الناس ، حتى لطخوا أبواب البيوت ببولاق وغيرها بالوحل ، وامتنع الناس بالأمر عليهم من عمل الأفراح ودق الطبول مطلقا ، ونوبة الباشا وإسماعيل باشا وطاهر باشا ، حتى ما يفعله دراويش المولوية فى تكاياهم عند المقابلة من الناى والطبل أربعين يوما ، وأقاموا عليه العزاء عند القبر ، وعدّة من الفقهاء والمقرئين يتناوبون قراءة القرآن مدّة الأربعين يوما ، ورتبوا لهم ذبائح ومآكل ، وكل ما يحتاجونه ، ثم ترادفت عليهم العطايا من والدته وأخواته والواردين من أقاربه وغيرهم على حد قول القائل : مصَائبُ قومٍ عند قومٍ فَوائدُ .

ومات وهو مقتبل الشبيبة لم يبلغ العشرين ، وكان أبيض جسيما ، كما قد دارت لحيته ، بطلا شجاعا جوادا له ميل لأولاد العرب ، منقادا لملة الإسلام ، ويعترض على أبيه فى أفعاله تخافه العسكر وتهابه ، ومن اقترف ذنبا صغيرا قتله مع إحسانه وعطاياه للمنقاد منهم ولإمرائه ، ولغالب الناس إليه ميل ، وكانوا يرجون تأمره بعد أبيه ، ويأبى الله إلا ما يريد .

ومات ، الوزير المعظم يوسف باشا المنفصل عن إمارة الشام ، وحضر إلى مصر من نحو ثلاث سنوات هاربا وملتجئا إلى حاكم مصر ، وذلك فى أواخر سنة سبع وعشرين ومائتين وألف [1] ، وأصله من الأكراد الدكرلية ، وينتسب إلى الأكراد

(١) ١٢٢٧ هـ / ١٦ يناير ١٨١٢ - ٣ يناير ١٨١٣ م .

الملية [1] ، وابتداء أمره بإخبار من يعرفه ، أنه هرب من أهله وعمره إذ ذاك خمس عشرة سنة ، فوصل إلى خماة ، وتعاطى بيع الحشيش والسرجين والروث ، ثم خدم عند رجل يسمى ملا حسين مدّة سنين إلى أن ألبسه قلبق [2] ، ثم خدم بعده ملا إسماعيل بلكتاش ، وتعلم الفروسية والرماحة ، فلعب يوما فى القمار وخسر فيه ، وخاف على نفسه فخرج هاربا إلى عمر أغا باسيلى من إشراقات إبراهيم باشا المعروف بالأزدن ، فتوجه معه إلى غزة ، وكان مع المترجم جواد أشقر من جياد الخيل ، فقلد على أغا متسلم غزة عمر أغا المذكور وجعله دالى باشا ، ففى بعض الأيام طلب المتسلم من المترجم الجواد ، فقال له : « إن قلدتنى دالى باشا قدمته لك » ، فأجابه إلى ذلك ، وعزل عمر أغا ، وقلد المترجم المنصب عوضا عنه ، وامتنع من إعطائه ذلك الجواد ، وأقام فى خدمته مدة ، فوصل مرسوم من أحمد باشا الجزار خطابا للمترجم بالقبض على المتسلم وإحضاره إلى طرفه ، وإن فعل ذلك ينعم عليه بمبلغ خمسين كيسا ومائة بيرق ، ففعل ذلك وأوقع القبض على عليّ أغا المتسلم وتوجه إلى عكا بلدة الجزار ، فقال المتسلم للمترجم فى أثناء الطريق : « تعلم أنّ الجزار رجل سفاك دماء فلا توصلنى إليه ، وإن كان وعدك بمال أنا أعطيك أضعافه ، وأطلقنى أذهب حيث شاء الله ، ولا تشاركه فى دمى » ، فلم يجبه إلى ذلك ، وأوصله إلى الجزار فحبسه ، ثم قتله ورماه فى البحر ، وأقام المترجم بباب الجزار أياما ، ثم أرسل إليه يأمره بالذهاب إلى حيث يريد ، فإنه لاخير فيه لخيانته لمخدومه ، فذهب إلى حماة ، وأقام عند أغاته إسماعيل أغا ، وهو متولى من طرف عبدالله باشا المعروف بابن العظم ، فأقام فى خدمته كلارجى زمنا نحو الثلاث سنوات ، وكان بين عبدالله باشا وأحمد باشا الجزار عداوة ، فتوجه عبدالله باشا إلى الدورة ، فأرسل الجزار عساكره ليقطع عليه الطريق فسلك طريقا أخرى ، فلما وصل إلى جنينى [3] ، وهى مدينة قريبة من بلاد الجزار ، وجه الجزار عساكره عليه ، فلما تقدم العسكران وتسامعت أهل النواحى امتنعوا من دفع الأموال ، فما وسع عبدالله باشا إلا الرحيل وتوجه إلى ناحية نابلس مسافة يومين ، وحاصر بلدة تسمى صوفين [4] ، وأخذ

---

(١) الأكراد الملية : يحمل هذا الإسم فرع من الأكراد ، حيث كان الأكراد فروعا مثل الأكراد الحميدية ، والأكراد الملية .

(٢) قلبق : غطاء رأس من الوبر مدبب أو أسطوانى . .

(٣) جنينى : هى مدينة جنين ، وهى إحدى المدن الفلسطينية .

(٤) صوفين : بلدة فلسطينية .

مدافع من يافا ، وأقام محاصرا لها ستة أيام ، ثم طلبوا الأمان فأمنهم ورحل عنهم إلى طرف الجبل مسيرة نصف ساعة ، وفرق عساكره لقبض أموال الميرى من البلاد ، وأقام هو فى قلة من العسكر ، فوصل إليه خيال وقت العصر فى يوم من الأيام يخبره بوصول عساكر الجزار ، وأنه لم يكن بينه وبينهم إلا نصف ساعة وهم خمسة آلاف مقاتل ، فارتبك فى أمره ، وأرسل إلى النواحى فحضر إليه من حضر وهم نحو الثلثمائة خيال ، وهو بدائرته نحو الثمانين ، فأمر بالركوب ، فلما تقاربا هاله كثرة عساكر العدوّ ، وأيقنوا بالهلاك ، فتقدم المترجم إلى العسكر وأشار عليهم بالثبات ، وقال لهم : « لم يكن غير ذلك ، فإننا إن فررنا هلكنا عن آخرنا »، وتقدم المترجم مع أغاته ملا إسماعيل وتبعهم العسكر وولجوا وسط خيل العدوّ وصدقوا الحملة جملة واحدة ، فحصلت فى العدوّ الهزيمة ، وركبوا أقفيتهم ، وتبعهم المترجم حتى حال الليل بينهم ، فرجعوا برؤوس القتلى والقلائع ، فلما أصبح النهار عرضوها على الوزير وهى نحو الألف رأس وألف قليعة ، فخلع عليهم وشكرهم ، وارتحلوا إلى دمشق ، وذهب المترجم مع أغاته إلى مدينة حماة ، واستمر هناك إلى أن حضر الوزير الأعظم يوسف باشا المعروف بالمعدن إلى دمشق ، بسبب الفرنساوية ، ففارق المترجم مخدومه فى نحو السبعين خيالا ، وجعل يدور بأراضى حماة بطالا ، ويقال له : « قيس » ، فيراسل الجزار لينضم إليه ، وكان الجزار عند حضور الوزير انفصل حكمه عن دمشق ، ووجه ولايتها إلى عبدالله باشا العظم ، فلما بلغ المترجم ذلك ، توجه إلى لقاء عبدالله باشا بالمعرة [(١)] ، فأكرمه عبدالله باشا وقلده دالى باشا كبيراً على جميع الخيالة ، حتى على أغاته ملا إسماعيل أغا ، وأقام بدمشق مدة ، إلى أن حاصر عبدالله باشا مدينة طرابلس ، فوصل إليه الخبر بأن عساكر الجزار استولوا على دمشق وبلادها ، فركب عبدالله باشا وذهب إلى دمشق ودخلها بالسيف ، ونصب عرضيه خارجها ، فوصل خبر ذلك إلى الجزار ، فكاتب عساكر عبدالله باشا يستميلهم لأن معظمهم غرباء ، فاتفقوا على خيانته ، والقبض عليه ، وتسليمه إلى الجزار ، وعلم ذلك وتثبته فركب فى بعض مماليكه وخاصته إلى وطاق المترجم ، وهو إذ ذاك دالى باشا ، وأعلمه الخبر ، وأنه يريد النجاة بنفسه ، فركب بمن معه وأخرجه من بين العسكر قهرا عنهم ، وأوصله إلى شول بغداد ، ثم ذهب على الهجن إلى بغداد ، ورجع المترجم إلى حماة ، فقبل وصوله إليها ورد عليه مرسوم الجزار يستدعيه فذهب إليه ، فجعله مقدم ألف ، وقلده باش الجردة ، فسافر إلى الحجاز

---

(١) المعرة : بلدة تقع فى سوريا .

بالملاقاة ، وكان أمير الحاج الشامي إذ ذاك سليمان باشا عوضا عن مخدومه أحمد باشا الجزار ، فلما حصلوا في نصف الطريق ، وصلهم خبر موت الجزار ، فرجع يوسف المترجم إلى الشام ، واستولى إسماعيل باشا على عكا ، وتوجه منصب ولاية الشام إلى إبراهيم باشا المعروف بقطر أغاسي أي أغاة البغال : وفي فرمان ولايته الأمر بقطع رأس إسماعيل باشا ، وضبط مال الجزار ، فذهب المترجم بخيله وأتباعه إلى إبراهيم باشا ، وخدم عنده ، وركب إلى عكا وحصروها، وحطوا في أرض الكرداني مسيرة ساعة من عكا ، وكانت الحرب بينهم سجالا ، وعساكر إسماعيل باشا نحو العشرة آلاف ، والمترجم يباشر الوقائع ، وكل واقعة يظهر فيها على الخصم ، ففي يوم من الأيام لم يشعروا إلا وعسكر إسماعيل باشا نافذ إليهم من طريق أخرى ، فركب المترجم وأخذ صحبته ثلاثة مدافع وتلاقى معهم وقاتلهم وهزمهم إلى أن حصرهم بقرية تسمى دعوق [1] ، ثم أخرجهم بالأمان إلى وطاقه وأكرمهم وعمل لهم ضيافة ثلاثة أيام ، ثم أرسلهم إلى عكا بغير أمر الوزير ، ثم توجه إبراهيم باشا إلى الدورة ، وصحبته المترجم ، وتركوا سليمان باشا مكانهم ، وخرج إسماعيل باشا من عكا ، وأغلقت أبوابها فاتفقت عساكره وقبضوا عليه ، وسلموه إلى إبراهيم باشا فعند ذلك برز أمر إبراهيم باشا بتسليم عكا إلى سليمان باشا ، وذهب بالمرسوم المترجم فأدخله إليها ، ورجع إلى مخدومه وذهب إلى الدورة ، ثم عاد معه إلى الشام ، وورد الأمر بعزل إبراهيم باشا عن الشام وولاية عبدالله باشا المعروف بالعظم على يد باشت بغداد ، فخرج المترجم لملاقاته من علي حلب ، فقلده دالي باشا على جميع العسكر ، فلما وصل إلى الشام ولاه على حوران [2] ، وأربد [3] ، والقنيطرة[4] ، ليقبض أموالها ، فأقام نحو السنة ، ثم توجه صحبة الباشا مع الحج ، وتلاقوا مع الوهابية في الجديدة ، فحاربهم المترجم وهزمهم ، وحجوا واعتمروا ورجعوا ومكثوا إلى السنة الثانية ، فخرج عبدالله باشا بالحج ، وأبقى المترجم نائبا عنه بالشام ، فلما وصل إلى المدينة المنورة منعه الوهابيون ، ورجع من غير حج ، ووصل خبر ذلك إلى الدولة ، فورد الأمر بعزل عبدالله باشا عن ولاية الشام وولاية المترجم على الشام وضواحيها ، فارتاعت النواحي والعربان ، وأقام السنة ، ولم يخرج بنفسه إلى الحج

(١) دعوق : قرية فلسطينية .

(٢) حوران : مدينة سورية .

(٣) أربد : مدينة سورية .

(٤) القنيطرة : مدينة سورية .

بل أرسل ملا حسن عوضا عنه ، فمنع أيضًا عن الحج ، فلما كانت القابلة انفتح عليه أمر الدورة وعصى عليه بعض البلاد ، فخرج إليها وحاصر بلدة تسمى كردانية[1] ، ووقع له فيها مشقة كبيرة إلى أن ملكها بالسيف ، وقتل أهلها ، ثم توجه إلى جبل نابلس ، وقهرهم وجبى منهم أموالا عظيمة ، ثم رجع إلى الشام واستقام أمره ، وحسنت سيرته ، وسلك طريق العدل فى الأحكام ، وأقام الشريعة والسنة ، وأبطل البدع والمنكرات ، واستتاب الخواطئ وزوجهن ، وطفق يفرق الصدقات على الفقراء وأهل العلم والغرباء وابن السبيل ، وأمر بترك الإسراف فى المآكل والملابس ، وشاع خبر عدله في النواحى ، ولكن ثقل ذلك على أهل البلاد بترك مألوفهم ، ثم إنه ركب إلى بلاد النصيرية وقاتلهم ، وانتصر عليهم وسبى نساءهم وأولادهم ، وكان خيَّرهم بين الدخول فى الإسلام أو الخروج من بلادهم ، فامتنعوا وحاربوا وانخذلوا ، وبيعت نساؤهم وأولادهم ، فلما شاهدوا ذلك أظهروا الإسلام تقية فعفا عنهم ، وعمل بظاهر الحديث ، وتركهم فى البلاد ، ورحل عنهم إلى طرابلس ، وحاصرها بسبب عصيان أميرها بربر باشا على الوزير ، وأقام محاصرا لها عشرة أشهر حتى ملكها ، واستولى على قلعتها ، ونهبت منها أموال للتجار وغيرهم ، ثم ارتحل إلى دمشق وأقام بها مدة ، فطرقه خبر الوهابية أنهم حضروا إلى المزيريب[2] ، فبادر مسرعا وخرج إلى لقائهم ، فلما وصل إلى المزريب ، وجدهم قد ارتحلوا من غير قتال ، فأقام هناك أياما ، فوصل إليه الخبر بأن سليمان باشا وصل إلى الشام وملكها ، فعاد مسرعا إلى الشام ، وتلاقى مع عسكر سليمان باشا وتحارب العسكران إلى المساء ، وبات كل منهم فى محله ، ففى نصف الليل فى غفلتهم والمترجم نائم وعساكره أيضًا هامدة ، فلم يشعروا إلا وعساكر سليمان باشا كبستهم ، فحضر إليه كتخداه وأيقظه من منامه ، وقال له : « إن لم تسرع ، وإلا قبضوا عليك » ، فقام فى الحين وخرج هاربا وصحبته ثلاثة أشخاص من مماليكه فقط ، ونهبت أمواله وبرقه ، وزالت عنه سيادته فى ساعة واحدة ، ولم يزل حتى وصل إلى حماة ، فلم يتمكن من الدخول إليها ومنعه أهلها عنها وطردوه ، فذهب إلى سيجر[3] ، وارتحل منها إلى بلدة يعمل بها البارود ، ومنها إلى بلدة تسمى رعة[4] ، ونزل عند سعيد أغا ، فأقام عنده ثلاثة أيام ، ثم توجه إلى نواحى أنطاكية بصحبته جماعة من عند

---

(١) كردانية : بلدة سورية .
(٢) المزيريب : بلدة سورية .
(٣) سيجر : مدينة سورية .
(٤) رعة : مدينة سورية .

سعيد أغا المذكور ، ثم إلى السويدة [1] ، ولم يبق معه سوى فرس واحد ، ثم إنه أرسل إلى محمد على باشا صاحب مصر واستأذنه فى حضوره إلى مصر ، فكاتبه بالحضور إليه والترحيب به ، فوصل إلى مصر فى التاريخ المذكور ، فلاقاه صاحب مصر وأكرمه وقدم إليه خيولا وقماشا ومالا ، و أنزله بدار واسعة بالأزبكية ، ورتب له خروجا زائدة من لحم وخبز وسمن وأرز وحطب وجميع اللوازم المحتاج إليها ، وأنعم عليه بجوارى وغير ذلك ، وأقام بمصر هذه المدّة ، وأرسل فى شأنه إلى الدولة ، وقبلت شفاعة محمد على باشا فيه ، ووصل العفو والرضا .. ما عدا ولاية الشام ، وحصلت فيه علة ذات الصدر ، فكان يظهر به شبه السلعة مع الفواق بصوت يسمعه من يكون بعيدا عنه ، ويذهب إليه جماعة الحكماء من الإفرنج وغيرهم ، ويطالع فى كتب الطب مع بعض الطلبة من المجاورين ، فلم ينجع فيه علاج ، وانتقل إلى قصر الآثار بقصد تبديل الهواء ، ولم يزل مقيما حتى اشتد به المرض ، ومات فى ليلة السبت العشرين من شهر ذى القعدة [2] ، وحملت جنازته من الآثار إلى القرافة من ناحية الخلاء ، ودفن بالحوش الذى أنشأه الباشا ، وأعدّه لموتاه ، وكانت مدّة إقامته بمصر نحو الستة سنوات ، فسبحان الحى الذى لا يموت ، الدائم الملك السلطان .

ودخلت سنة اثنتين و ثلاثين ومائتين وألف [3]

استهل المحرم بيوم الخميس [4] ، وحاكم مصر والمتولى عليها وعلى ضواحيها وثغورها من حدّ رشيد ودمياط إلى أسوان وأقصى الصعيد وأسكلة القصير والسويس ، وساحل القلزم ، وجدة ومكة والمدينة ، والأقطار الحجازية بأسرها محمد على باشا القوللى ، ووزيره وكتخداه محمد أغا لاظ ، والدفتردار محمد بيك صهر الباشا ، وزوج ابنته ، وأغات الباب إبراهيم أغا ، ومدبر أمور البلاد والأطيان والرزق والمساحات ، وقبض الأموال الميرية ، وحساباتها ومصارفها ، محمود بيك الخازندار ، والسلحدار سليمان أغا ، وحاكم الوجه القبلى محمد بيك الدفتردار صهر

---

(١) السويدة : قرية من قرى حوران .

القرمانى ، أحمد بن يوسف : أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، تحقيق : أحمد حطيط وآخر ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٩٢ م ، ص ٣٩١ .

(٢) ٢٠ ذى القعدة ١٢٣١ هـ / ١٢ أكتوبر ١٨١٦ م .

(٣) ١٢٣٢ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨١٦ - ١٠ نوفمبر ١٨١٧ م .

(٤) ١ محرم ١٢٣١ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨١٦ م .

الباشا عوض إبراهيم باشا ولد الباشا لانفصاله عن إمارة الوجه القبلى ، وسفره إلى الحجاز ، آنفا لمحاربة الوهابيين ، وباقى أمراء الدولة مثل : عابدين بيك ، وإسماعيل باشا إبن الباشا ، وخليل باشا ، وهو الذى كان حاكم الإسكندرية سابقا ، وشريف أغا ، وحسين بيك دالى باشا ، وحسين بيك الشماشرجى ، وحسن بيك الشماشرجى ، الذى كان حاكما بالفيوم ، وغير هؤلاء ، وحسن أغا أغات الينكجرية ، وأحمد أغا أغات التبديل ، وعلى إغا الوالى ، وكاتب الروزنامة مصطفى أفندى ، وحسن باشا بالديار الحجازية ، وشاه بندر التجار السيد محمد المحروقى ، وهو المتعين لمهمات الأسفار وقوافل العربان ومخادلباتهم ، وملاقاة الأخبار الواصلة من الديار الحجازية ، والمتوجه إليها ، وأجر المحمول ، وشحنة السفن ، ولوازم الصادرين ، والمتجعين والمقيمين والراحلين ، والمتعهد بجميع فرق القبائل والعشائر وغوائلهم ومحاكماتهم وإرغابهم وإرهابهم وسياستهم ، على اختلاف أخلاقهم وطباعهم ، وهو المتعين أيضًا لفصل قضايا التجار والباعة ، وأرباب الحرف البلدية ، وفصل خصوماتهم ومشاجراتهم ، وتأديب المنحرفين منهم والنصابين ، وبعوثات الباشا ، ومراسلاته ومكاتباته ، وتجاراته وشركاته ، وابتداعاته ، واجتهاده فى تحصيل الأموال من كل وجه وأى طريق ، ومتابعة توجيه السرايا والعساكر والذخائر إلى نواحى الحجاز للإغارة على بلاد الوهابية ، وأخذ الدرعية مستمر لاينقطع ، والعرضى منصوب خارج باب النصر ، وباب الفتوح ، وإذا ارتحلت طائفة خرجت أخرى مكانها .

وفيه [1] ، سومحت أرباب الحرف والباعة والزياتون والجزارون والخضرية والخبازون ونحوهم من المسانهات والمشاهرات واليوميات الموظفة عليهم للمحتسب ، ونودى برفعها أمام المحتسب فى الأسواق ، وعوض المحتسب عنها خمسة أكياس فى كل شهر يستوفيها من الخزينة العامرة ، وعملوا تسعيرا بترخيص أسعار المبيعات بدلا عما كانوا يغرمونه للمحتسب ، ولكن من غير مراعاة النسبية والمعادلة فى غالب الأصناف ، فإن العادة عند إقبال وجود الفاكهة أو الخضراوات تباع بأغلى ثمن لعزتها وقلتها حينئذ ، وشهوة الطباع ، واشتياق النفوس لجديد الأشياء ، وزهدها فى القديم الذى تكرر استعماله وتعاطيه ، كما يقال لكل جديد لذة ، فلم يراعوا ذلك ، ولم ينظروا فى أصول الأشياء أيضًا ، فإن غالب الأصناف داخل فى المحتكرات ،

---

(١) ١/١ محرم ١٢٣٢ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨١٦ م .

وزيادة المكوس الحادثة فى هذه السنين ، وما يضاف إلى ذلك من طمع الباعة والسوقة ، وغشهم وقبحهم وعدم ديانتهم وخبث طباعهم ، فلما نودى بذلك ، وسمع الناس رخص المبيعات ظنوا بغفلتهم حصول الرخاء ، ونزلوا على المبيعات مثل الكلاب السعرانة ، وخطفوا ما كان بالأسواق بموجب التسعيرة من : اللحم ، وأنواع الخضراوات ، والفاكهة والأدهان ، فلما أصبح اليوم الثانى [1] ، لم يوجد بالأسواق شىء من ذلك ، وأغلقت الفكهانية حوانيتهم ، وأخفوا ما عندهم ، وطفقوا يبيعونه خفية ، وفى الليل بالثمن الذى يرتضونه ، والمحتسب يكثر الطواف بالأسواق ، ويتجسس عليهم ، ويقبض على من أغلق حانوته ، أو وجدها خالية ، أو عثر عليه أنه باع بالزيادة ، وينكل بهم ويسحبهم مكشوفين الرؤوس مشنوقين وموثقين بالحبال ، ويضربهم ضربا مؤلما ، ويصلبهم بمفارق الطرق مخزومين الأنوف ، ومعلق فيها النوع المزاد فى ثمنه ، فلم يرتجعوا عن عادتهم ، ثم إن هذه المناداة والتسعيرة ظاهرها الرفق بالرعية ورخص الأسعار وباطنها المكر والتحيل ، والتوصل لما سيظهر بعد عن قريب ، وذلك أن ولى الأمر لم يكن له من الشغل إلا صرف همته وعقله وفكرته فى تحصيل المال ، والمكاسب وقطع أرزاق المسترزقين ، والحجر والاحتكار لجميع الأسباب ، ولايتقرب إليه من يريد قربه إلا بمساعدته على مراداته ومقاصده ، ومن كان بخلاف ذلك فلا حظ له معه مطلقا ، ومن تجاسر عليه من الوجهاء بنصح أو فعل مناسب ولو على سبيل التشفع حقد عليه ، وربما أقصاه وأبعده وعاداه معاداة من لايصفو أبدا ، وعرفت طباعه وأخلاقه فى دائرته وبطانته ، فلم يمكنهم إلا الموافقة والمساعدة فى مشروعاته إما رهبة أو خوفا على سيادتهم ورياستهم ومناصبهم ، وإما رغبة وطمعا وتوصلا للرياسة والسيادة ، وهم الأكثر ، وخصوصا أعداء الملة ، من نصارى الأرمن وأمثالهم الذين هم الآن أخصاء لحضرته ومجالسته ، وهم شركاؤه فى أنواع المتاجر وهم أصحاب الرأى والمشورة ، وليس لهم شغل ودرس إلا فيما يزيد حظوتهم ووجاهتهم عند مخدومهم ، وموافقة أغراضه وتحسين مخترعاته ، وربما ذكروه ونبهوه على أشياء تركها أو غفل عنها من المبتدعات ، وما يتحصل منها من المال والمكاسب التى يسترزقها أرباب تلك الحرفة لمعاشهم ومصاريف عيالهم ، ثم يقع الفحص على أصل الشىء وما يتفرع منه وما يؤول إذا أحكم أمره وانتظم ترتيبه ، وما يتحصل منه بعد التسعير الذى يجعلونه مصاريف الكتبة والمباشرين أبرزت مباديه فى

---

(1) ٢ محرم ١٢٣١ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٨١٦ م .

قالب العدل والرفق بالرعية ، ولما وقع الالتفات إلى أمر المذابح والسلخانة ، وما يتحصل منه وما يكتسبه الموظفون فيها ، فأول ما بدأوا به إبطال جميع المذابح التى بجهات مصر والقاهرة وبولاق خلاف السلخانة السلطانية التى خارج الحسينية ، وتولى رياستها شخص من الأتراك ، ثم سعرت هذه التسعيرة ، فجعل الرطل الذى يبيعه القصاب بسبعة أنصاف فضة ، وثمنه على القصاب من المذبح ثمانية أنصاف ونصف ، وكان يباع قبل هذه التسعيرة بالزيادة الفاحشة ، فشح وجود اللحم ، وأغلقت حوانيت الجزارين ، وخسروا فى شراء الأغنام وذبحها وبيعها بهذا السعر ، وأنهى أمر شحة اللحم إلى ولى الأمر ، وأن ذلك من قلة المواشى وغلو أثمان مشترواتها على الجزارين ، وكثرة رواتب الدولة والعساكر ، وأشيع أنه أمر بمراسيم إلى كشاف الأقاليم قبلى وبحرى ، لشراء الأغنام من الأرياف لخصوص رواتبه ، ورواتب العسكر والخاصة ، وأهل الدولة ، ويترك ما يذبحه جزارو المذبح لأهل البلدة ، وعند ذلك ترخص الأسعار ثم تبين خلاف ذلك ، وأن هذه الإشاعة توطئة وتقدمة لما سيتلى عن قريب .

وفى منتصفه (١) ، وصلت أغنام وعجول وجواميس من الأرياف هزيلة ، وازدادت بإقامتها هزالا من الجوع وعدم مراعاتها ، فذبحوا منها بالمذابح أقل من المعتاد ، ووزعت على الجزارين ، فيخص الشخص منهم الاثنان أو الثلاثة فعندما يصل إلى حانوته ، وهو مثل الحرامى ، فيتخاطفها العساكر التى بتلك الخطة ، وتزدحم الناس فلاينوبهم شيء ، وتذهب فى لمح البصر ، ثم امتنع وجودها واستمر الحال ، والناس لايجدون ما يطبخونه لعيالهم ، وكذلك امتنع وجود الخضراوات ، فكان الناس لايحصلون القوت إلا بغاية المشقة ، واقتاتوا بالفول المصلوق(٢) ، والعدس والبيصار ونحو ذلك ، وانعدم وجود السمن والزيت والشيرج وزيت البزر وزيت القرطم لاحتكارها لجهة الميرى ، وأغلقت المعاصر والسيارج ، وامتنع وجود الشمع العسل والشمع المصنوع من الشحم لاحتكار الشحم ، والحجر على عمال الشمع فلا يصنعه الشماعون ولاغيرهم ، ونودى على بيع الموجود منه بأربعة وعشرين نصفا ، وكان يباع بثلاثين وأربعين فأخفوه ، وطفقوا يبيعونه خفية بما أحبوا ، وانعدم وجود بيض الدجاج لجعلهم العشرة منه بأربعة أنصاف ، وكان قبل المناداة اثنان بنصف ، وكل ذلك والمحتسب يطوف بالأسواق والشوارع ، ويشدد على الباعة

---

(١) ١٥ محرم ١٢٣٢ هـ / ٥ ديسمبر ١٨١٦ م .   (٢) هكذا بالأصل وصحتها « المسلوق » .

ويؤلمهم بالضرب والتجريس ، وفُقد وجود الدجاج فلا يكاد يوجد بالأسواق دجاجة ؛ لأنه نودى على الدجاجة باثنى عشر نصفا ، وكان الثمن عنها قبل ذلك خمسة وعشرين فأكثر .

واستهل شهر صفر الخير سنة ١٢٣٢ (١)

فيه (٢) ، حضر المعلم غالى من الجهة القبلية ، ومعه مكاتبات من محمد بيك الدفتردار الذى تولى إمارة الصعيد ، عوضا عن إبراهيم باشا ابن الباشا الذى توجه إلى البلاد الحجازية لمحاربة الوهابية ، يذكر فيها نصح المعلم غالى وسعيه فى فتح أبواب تحصيل الأموال للخزينة ، وأنه ابتكر أشياء وحسابات يتحصل منها مقادير كثيرة من المال ، فقوبل بالرّضا والإكرام وخلع عليه الباشا واختص به ، وجعله كاتب سره ولازم خدمته ، وأخذ فيما ندب إليه وحضر لأجله ، التى منها حسابات جميع الدفاتر وأقلام المبتدعات ومباشريها وحكام الأقاليم .

وفيه (٣) ، تجردت عدة عساكر أتراك ومغاربة إلى الحجاز ، وصحبتهم أرباب صنائع وحرف .

وفيه (٤) ، أرسل الباشا إلى بندر السويس أخشابا وأدوات عمارة وبلاط كذان وحديدا وصناعا ، بقصد عمارة قصر لخصوصه إذا نزل هناك .

واستهل شهر ربيع الأول سنة ١٢٣٢ (٥)

فيه (٦) ، شحت المبيعات والغلال والأدهان ، وغلا سعر الحبوب وقل وجودها فى الرقع والسواحل ، فكان الناس لايحصلون شيئًا منها إلا بغاية المشقة .

وفيه (٧) ، عزل الباشا حكام الأقاليم والكشاف ونوابهم ، وطلبهم للحضور ، وأمر بحسابهم وما أخذوه من الفلاحين زيادة على ما فرضه لهم ، وأرسل من قبله أشخاصا مفتشين للفحص والتجسس على ما عسى يكون أخذوه منهم من غير ثمن ، فأخذوا يقررون المشايخ والفلاحين ، ويحررون أثمان مفرق الأشياء من : غنم أو

(١) صفر ١٢٣٢ هـ / ٢١ ديسمبر ١٨١٦ - ١٨ يناير ١٨١٧ م . (٢) ١ صفر ١٢٣٢ هـ / ٢١ ديسمبر ١٨١٦ م .
(٣) ١ صفر ١٢٣٢ هـ / ٢١ ديسمبر ١٨١٦ م . (٤) ١ صفر ١٢٣٢ هـ / ٢١ ديسمبر ١٨١٦ م .
(٥) ربيع الأول ١٢٣٢ هـ / ١٩ يناير - ١٧ فبراير ١٨١٧ م .
(٦) ١ ربيع الأول ١٢٣٢ هـ / ١٩ يناير ١٨١٧ م . (٦) ١ ربيع الأول ١٢٣٢ هـ / ١٩ يناير ١٨١٧ م .

دجاج أو تبن أو عليق أو بيض أو غير ذلك ، فى المدة التى أقامها أحدهم بالناحية ، فحصل للكثير من قائم مقاماتهم الضرر ، وكذلك من انتمى إليهم ، فمنهم من اضطر وباع فرسه واستدان .

وفيه [1] ، حضر عليّ كاشف من شرقية بلبيس معزولا عن كشوفيتها ، وقلدها خلافه ، وكان كاشفا بالإقليم عدة سنوات ، وكذلك جرى لكاشف المنوفية والغربية ، وحضر أيضًا حسن بيك الشماشرجى من الفيوم معزولا ، ووجهه الباشا إلى ناحية درنة [2] ، لمحاربة أولاد على .

واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٣٢ [3]

فيه [4] ، حصل الحجر والمنع على من يذبح شيئًا من المواشى فى داره أو غيرها ، ولا يأخذ الناس لحوم أطعمتهم إلا من المذبح ، وأوقفت عساكر بالطرق رصدا لمن يدخل المدينة بشىء من الأغنام ، وذلك أنَّه لما نزلت المراسيم إلى الكشاف بمشترى المواشى من الفلاحين ، وإرسالها إلى المكان الذى أعده الباشا لذلك ، ويؤخذ منها مقدار ما يذبح بالسلخانة فى كل يوم لرواتب الدولة والبيع ، وطلب كشاف النواحى شراء الأغنام ، والعجول والجواميس بالثمن القليل من أربابها ، فهرب الكثير من الفلاحين بأغنامهم ، فيخرجون من القرية ليلا ، ويدخلون المدينة ويمرون بها فى الأسواق ويبيعونها بما أحبوا من الثمن على الناس ، فانكب الناس على شرائها منهم لجودتها ، ويشترك الجماعة فى الشاة فيذبحونها ويقسمونها بينهم ، وذلك لقلة وجدان اللحم كما سبقت الإشارة إليه ، وإنْ تيسر وجوده فيكون هزيلا رديئا ، فإنَّ فى كل يوم ترد الجملة الكثيرة من بحرى وقبلى إلى المكان المعد لها ، ولم يكن ثَم من يراعيها بالعلف والسقى فتهزل وتضعف ، فلما كثر ورود الفلاحين بالأغنام وشراء الناس لها ، ووصل خبر ذلك إلى الباشا فأمر بوقوف عساكر على مفارق الطرق خارج المدينة من كل ناحية ، فيأخذون الشاة من الفلاحين إمَّا بالثمن ، أو يذهب صاحبها معها إلى المذبح فتذبح فى يومها أو من الغد ، ويوزن اللحم خالصا ويعطى لصاحبها ثمنه ، على كل رطل ثمانية فضة ونصف ، ويوزن على الجزارين بذلك

---

(١) ١ ربيع الأول ١٢٣٢ هـ / ١٩ يناير ١٨١٧ م . (٢) درنة : مدينة تقع فى إقليم برقة بليبيا .
(٣) ربيع الثانى ١٢٣٢ هـ / ١٨ فبراير - ١٨ مارس ١٨١٧ م .
(٤) ١ ربيع الثانى ١٢٣٢ هـ / ١٨ فبراير ١٨١٧ م .

الثمن بما فيه من القلب والكبدر والمنحر والمذاكير ، والمخرج بما فيه من الزبل أيضًا ، والجزارون يبيعونها على من يشترى لشدة الطلب بزيادة النصف والنصفين بل والثلاثة والأربعة إنْ كان به نوع جودة ، وأما الأسقاط من الرؤوس والجلود والكروش فهو للميرى ، وكذلك يفعل فيما يرد لخاصة الناس من الأغنام ، يفعل بها كذلك ، ولايأخذ إلا قدر راتبه فى كل يوم من المذبح .

وفيه [1] ، شح وجود الغلال فى الرقع والسواحل ، حتى امتنع وجود الخبز فى الأسواق ، فأخرج الباشا جانب غلة ففرقت على الرقع ، وبيعت على الناس ، وهى ألف أردب انقضت فى يومين ، ولايبيعون أزيد من كيلة أو كيلتين ، وبيع الأردب بألف ومائتين وخمسين نصفا .

وفيه [2] ، أفرد محل لعمل الشمع الذى يعمل من الشحوم بعطفة ابن عبدالله بيك جهة السروجية ، واحتكروا لأجل عمله جميع الشحوم التى من المذبح وغيره ، وامتنع وجود الشحم من حوانيت الدهانين ، ومنعوا من يعمل شيئًا من الشمع فى داره ، أوفى القوالب الزجاج ، وتتبعوا من يكون عنده شىء منها ، فأخذوها منه ، وحذروا من عمله خارج المعمل كل التحذير ، وسعروا رطله بأربعة وعشرين نصفا .

واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢٣٢ [3]

فيه [4] ، حول معمل الشمع إلى جهة الحسينية عند الدرب الذى يعرف بالسبع والضبع .

وفيه [5] ، ارتحلت عساكر مجردة إلى الحجاز .

وفيه [6] ، برزت أوامر إلى كشاف النواحى بإحصاء عدد أغنام البلاد والقرى ، ويفرض عليها كل عشرة شياه واحدة من أعظمها ، إما كبش أو نعجة بأولادها ، يجمعون ذلك ويرسلون به إلى مجمع أغنام الباشا ، وفرض أيضًا على كل فدان رطلا من السمن ، يجمع الأرطال مشايخ البلاد من الفلاحين عند كشاف النواحى ، ويرسلونها إلى مصر ، وسبب هذه المحدثة أنه لما عملت التسعيرة ، وتسعر رطل

(١) ١ ربيع الثانى ١٢٣٢ هـ / ١٨ فبراير ١٨١٧ م . (٢) ١ ربيع الثانى ١٢٣٢ هـ / ١٨ فبراير ١٨١٧ م .
(٣) جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس - ١٧ أبريل ١٨١٧ م .
(٤) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .
(٥) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .
(٦) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .

السمن بستة وعشرين نصفا ، وبيعه السمان والزيات بزيادة نصفين ، امتنع وجوده وظهوره ، فيأتى به الفلاح ليلا فى الخفية ، ويبيعه للزبون أو للمتسبب بما أحب ، ويبيعه المتسبب أيضًا بالزيادة لمن يريده سرا ، فيبيعون الرطل بأربعين وخمسين ، ويزيد على ذلك غش المتسبب وخلطه بالدقيق والقرع والشحم وعكر اللبن ، فيصفو على النصف ، ولايقدر مشتريه على رد غشه للبائع لأنه ما حصله إلا بغاية المشقة والعزة والإنكار والمنع ، وإن فعل لايجد من يعطيه ثانيا ، وتقف الطائفة من العسكر بالطرق ليلا وفى وقت الغفلات ، يرصدون الواردين من الفلاحين ويأخذونه منهم بالقهر ويعطونهم ثمنه بالسعر المرسوم ، ويحتكرونه هم أيضًا ، ويبيعونه لمن يشتريه منهم بالزيادة الفاحشة ، فامتنع وروده إلا فى النادر خفية مع الغرر أو الخفارة والتحامى فى بعض العساكر من أمثالهم ، واشتد الحال فى انعدام السمن حتى على أكابر الدولة ، فعند ذلك ابتدع الباشا هذه البدعة ، وفرض على كل فدان من طين الزراعات رطلا من السمن ، ويعطى فى ثمن الرطل عشرين نصفا ، فاشتغلوا بتحصيل ما دهمهم من هذه النازلة ، وطولب المزارع بمقدار ما يزرعه من الأفدنة أرطالا من السمن ، ومن لم يكن متأخرا عنده شىء من سمن بهيمته ، أو لم يكن له بهيمة ، أو احتاج إلى تكملة موجود عنده فيشتريه ممن يوجد عنده بأغلى ثمن ، ليسد ما عليه اضطرارا جزاء وفاقا .

وفيه [1] ، حصل الإذن بدخول ما دون العشرة من الأغنام إلى المدينة ، وكذلك الإذن لمن يشترى شيئًا منها من الأسواق ، وسبب إطلاق الإذن بذلك ، مجئ بعض أغنام إلى أكابر الدولة ، ولا غنى عن ذلك لأدنى منهم أيضًا ، وحجزوا عن وصولها إلى دورهم ، فشكوا إلى الباشا فأطلق الإذن فيما دون العشرة .

وفيه [2] ، أيضًا ، امتنع وجود الغلال بالعرصات والسواحل ، بسبب احتكارها ، واستمرار انجرارها ونقلها فى المراكب قبلى وبحرى إلى جهة الإسكندرية للبيع على الإفرنج بالثمن الكثير كما تقدم ، ووجهت المراسيم إلى كشاف النواحى بمنع بيع الفلاحين غلالهم لمن يشترى منهم من المتسببين والتراسين وغيرهم ، وبأن كل ما احتاجوا لبيعه مما خرج لهم من زراعتهم يؤخذ لطرف الميرى بالثمن المفروض بالكيل الوافى ، واشتد الحال فى هذا الشهر وما قبله حتى قل وجود الخبز من الأسواق ، بل امتنع وجوده فى بعض الأيام ، وأقبلت الفقراء نساء ورجالا إلى الرقع

(١) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .
(٢) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .

بمقاطفهم ورجعوا بها فوارغ من غير شيء ، وزاد الهول والتشكي ، وبلغ الخبر الباشا فاطلق أيضًا ألف أردب توزع على الرقع ، ويباع على الناس إما ربع واحد أو كيلة فقط ، وكل ربع ثمنه قرش ، فيكون الأردب بأربعة وعشرين قرشا .

وفيه [1] ، حضر حسن بيك الشماشرجي من ناحية درنة ، وبلد أخرى يقال له سبوة [2] ، وصحبته فرقة من أولاد علي ، وذلك أنَّ أولاد علي افترقوا فرقتين إحداهما طائعة ، والأخرى عاصية عن الطاعة ، ومنحازون إلي هذه الناحية ، فجرد الباشا عليهم حسن بيك المذكور فحاربهم فهزمهم وهزموه ثانيا ، فرجع إلى مصر فضم إليه الباشا جملة من العساكر ، وأصحب معه الفرقة الأخرى الطائعة ، فسار الجمع ودهموهم على حين غفلة ، وتقدم لحربهم إخوانهم الطائعة ، وقتلوا منهم ، وأغاروا على مواشيهم وأباعرهم وأغنامهم ، فأرسلوا المنهوبات إلى جهة الفيوم ، وفي ظن العرب أن الغنائم تطيب لهم ، وحضر حسن بيك وصحبته كبار العرب من أولاد على الطائعين ، وفي ظنهم الفوز بالغنيمة ، وأنَّ الباشا لايطمع فيها لكون النصرة كانت بأيديهم ، وأنْ يشكر لهم ويزيدهم إنعاما ، وكانوا نزلوا بير الجيزة ، وحضر حسن بيك إلى الباشا ، فطلب كبار العرب ليخلع عليهم ويكسوهم ، فلما حضروا إليه أمر بحبسهم وإحضار الغنيمة من ناحية الفيوم بتمامها ، فأحضروها بعد أيام وأطلقهم ، فيقال : « إن الأغنام ستة عشر ألف رأس أو أكثر ، ومن الجمال ثمانية آلاف جمل وناقة ، وقيل أكثر من ذلك » .

وفيه [1] ، نجزت عمارة السواقي التى أنشأها الباشا بالأرض المعروفة برأس الوادى بناحية شرقية بلبيس ، قيل إنها تزيد على ألف ساقية ، وهى سواقى دواليب خشب تعمل فى الأرض التى يكون منبع الماء فيها قريبا ، واستمر الصناع مدة مستطيلة فى عمل آلاتها عند بيت الجبجي ، وهو بيت الرزاز الذى جهة التبانة بقرب المحجر ، وتحمل على الجمال إلى الوادى ، وهناك المباشرون للعمل المقيدون بذلك ، وغرسوا بها أشجار التوت الكثيرة لتربية دود القز ، واستخراج الحرير كما يكون بنواحى الشام وجبل الدروز ، ثم برزت الأوامر إلى جميع بلاد الشرقية بأشخاص أنفار من الفلاحين البطالين الذين لم يكن لهم أطيان فلاحة ، يستوطنون بالوادى المذكور ، وتبنى لهم كفور يسكنون فيها ، ويتعاطون خدمة السواقى والمزارع ،

---

(١) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .

(٢) سبوه : بلدة ليبية .

(٣) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .

ويتعلمون صناعة تربية القز والحرير ، واستجلب أناسا من نواحى الشام والجبل من أصحاب المعرفة بذلك ، ويرتب للجميع نفقات إلى حين ظهور النتيجة ، ثم يكونون شركاء فى ربع المتحصل ، ولما برزت المراسيم بطلب الأشخاص من بلاد الشرق ، أشيع فى جميع قرى الأقاليم المصرية إشاعات ، وتقولوا أقاويل منها أن الباشا يطلب من كل بلدة عشرة من الصبيان البالغين، وعشرة من البنات يزوجهم بهن ويمهرهن من ماله ، ويرتب لهم نفقات إلى بُدو صلاح المزارع ، ثم أشاعوا الطلب للصبيان الغير مختونين ليرسلهم إلى بلاد الإفرنج، ليتعلموا الصنائع التى لم تكن بأرض مصر، وشاع ذلك فى أهل القرى، وثبت ذلك عندهم ، فختن الجميع صبيانهم ، ومنهم من أرسل ابنه أو بنته وغيبها عند معارفه بالمدينة إلى غير ذلك من الأقاويل التى لم يثبت منها إلا ما ذكر أولا من أنَّ المطلوب جلب الفلاحين البطالين من بلد الشرقية لا غير ، وقد تعمر هذا الوادى بالسواقى والأشجار والسكان من جميع الأجناس ، وانتشأ دنيا جديدة متسعة لم يكن لها وجود قبل ذلك بل كانت برية خرابا وفضاء واسعا .

وفيه [1] ، سافر جملة من عساكر الأتراك والمغاربة وكبيرهم إبراهيم أغا الذى كان كتخدا إبراهيم باشا ، ثم تولى كشوفية المنوفية ، وصحبته خزينة وجبخانة ومطلوبات لمخدومه .

واستهل شهر جمادى الثانى بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٢ [2]

فى أوائله [3] ، حضر إلى مصر ابن يوسف باشا حاكم طرابلس ومعه أخوه أصغر منه ، يستأذنان الباشا فى حضور والدهما إلى مصر ، فَارًا من والده ، وكان ولاه على ناحية درنة وبنى غازى ، فحصل منه ما غير خاطر والده عليه ، وعزم على أن يجرد عليه ، فأرسل أولاده إلى صاحب مصر بهدية ، ويستأذن فى الحضور إلى مصر والالتجاء إليه ، فأذن له فى الحضور ، وهو ابن أخى الذى بمصر أولاً ، وسافر مع الباشا إلى الحجاز ، ورجع إلى مصر واستمر ساكنا بالسبع قاعات .

وفيه [4] ، وصل الخبر بأن إبراهيم أغا الذى سافر مع الجردة ، لما وصل إلى العقبة أمر من بصحبته من المغاربة والعسكر بالرحيل ، فلما ارتحلوا ركب هو فى خاصته ، وذهب على طريق الشام .

---

(1) ١ جمادى الأولى ١٢٣٢ هـ / ١٩ مارس ١٨١٧ م .

(2) جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ١٨ أبريل - ١٦ مايو ١٨١٧ م .

(3) ١ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ١٨ أبريل ١٨١٧ م . (4) ١ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ١٨ أبريل ١٨١٧ م .

وفى ليلة الأربعاء سادس عشره (1) ، وصل جراد كثير ليلا ، ونـزل ببستان الباشا بشبرا ، وتعلق بالأشجار والزهور ، وصاحت الخولة والبستانجية ، وأرسل الباشا إلى الحسينية وغيرها ، فجمعوا مشاعل كثيرة وأوقدوها ، وضربوا بالطبول والصنوج النحاس لطرده ، وأمر الباشا لكل من جمع منه رطلا فله قرشان ، فجمع الصبيان والفلاحون منه كثيراً .

ثم فى ليلة السبت تاسع عشره (2) ، قبل الغروب وصل جراد كثير من ناحية المشرق مارا بين السماء والأرض مثل السحاب ، وكان الريح ساكنا فسقط منه الكثير على الجنائن والمزارع والمقاثئ ، فلما كان نصف الليل ، هبت رياح جنوبية واستمرت، واشتد هبوبها عند انتصاف النهار ، وأثارت غبارا أصفر وعبوقا بالجو ، ودامت إلى بعد العصر يوم السبت (3) ، فطردت ذلك الجراد وأذهبته ، فسبحان الحكيم المدبر اللطيف .

وفى يوم الأحد (4) ، طاف مناد أعمى يقوده آخر بالأسواق ، ويقول فى ندائه : « من كان مريضا أو به رمد أو جراحة أو أدرة ، فليذهب إلى خان بالموسكى به أربعة من حكماء الإفرنج أطباء يداوونه من غير مقابلة شىء » ، فتعجب الناس من هذا ، وتحاكوه وسعوا إلى جهتهم لطلب التداوى .

وفيه (5) ، حضر ابن باشت طرابلس ، ودخل إلى المدينة ، وصحبته نحو المائتى نفر من أتباعه ، فأنزله الباشا فى منزل أم مرزوق بيك بحارة عابدين ، وأجرى عليه النفقات والرواتب له ولأتباعه .

وفى يوم الخميس حادى عشرينه (6) ، وصل خبر الأطباء ومناداتهم إلى كتخدا بيك ، فأحضر حكيم باشا وسأله ، فأنكر معرفتهم ، وأنه لا علم عنده بذلك ، فأمر بإحضارهم وسألهم فخلطوا فى الكلام ، فأمر بإخراجهم من البلدة ونفوهم فى الحال ، وذهبوا إلى حيث شاء الله ، ولو فعل مثل هذه الفعلة بعض المسلمين لجوزى بالقتل أو الخازوق ، وكان صورة جلوسهم أن يجلس أحدهم خارج المكان والآخر من داخل وبينهما ترجمان ، ويأتى مريد العلاج إلى الأول وهو كأنه الرئيس فيجس نبضه أو بيضه ، وكأنه عرف علته ، ويكتب له ورقة فيدخل مع الترجمان بها لآخر بداخل المكان ، فيعطيه شيئًا من الدهن أو السفوف أو الحب المركب ، ويطلب منه إمّا

---

(1) ١٦ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ٣ مايو ١٨١٧ م . (2) ١٩ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ٦ مايو ١٨١٧ م .
(3) ١٩ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ٦ مايو ١٨١٧ م . (4) ٢٠ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ٧ مايو ١٨١٧ م .
(5) ٢٠ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ٧ مايو ١٨١٧ م . (6) ٢١ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ٨ مايو ١٨١٧ م .

قرشا أو قرشين أو خمسة بحسب الحال ، وذلك ثمن الدواء لا غير ، وشاع ذلك وتسامع الناس ، وأكثرهم معلول ، ومن طبيعتهم التقليد والرغبة فى الوارد الغريب ، فتكاثروا وتزاحموا عليهم ، فجمعوا فى الأيام القليلة جملة من الدراهم ، واستلطف الناس طريقتهم هذه بخلاف ما يفعله الذين يدعون التطبيب من الإفرنج واصطلاحهم ، إذا دعى الواحد منهم لمعالجة المريض ، فأول ما يبدأ به نقل قدمه بدارهم يأخذها إما ريال فرانسة أو أكثر بحسب الحال ، والمقام ، ثم يذهب إلى المريض فيجسه ويزعم أنه عرف علته ومرضه ، وربما هول على المريض داءه وعلاجه، ثم يقاول سعيه فى معالجته بمقدار من الفرانسة إما خمسين أو مائة أو أكثر بحسب مقام العليل ، ويطلب نصف الجعالة ابتداء ، ويجعل على كل مرة من الترددات عليه جعالة أيضًا ، ثم يزاوله بالعلاجات التى تجددت عندهم ، وهى مياه مستقطرة من الأعشاب أو أدهان كذلك يأتون بها للمرضى فى قوارير الزجاج اللطيفة فى المنظر ، يسمونها بأسماء بلغاتهم ، ويعربونها بدهن البادزهر، وأكسير الخاصة ، ونحو ذلك ، فإن شفى الله العليل أخذ منه بقية ما قاوله عليه ، أو أماته طالب الورثة بباقى الجعالة، وثمن الأدوية طبق ما يدعيه ، وإذا قيل له إنه قد مات قال فى جوابه إنى لم أضمن أجله ، وليس على الطبيب منع الموت ولا تطويل العمر ، وفيهم من جعل له فى كل يوم عشرة من الفرانسة .

وفيه [1] ، رأى رأيه حضرة الباشا حفر بحر عميق يجرى إلى بركة عميقة تحفر أيضًا بالإسكندرية ، تسير فيها السفن بالغلال وغيرها ، ومبدؤها من مبدأ خليج الأشرفية عند الرحمانية ، فطلب لذلك خمسين ألف فأس ومسحة يصنعها صناع الحديد ، وأمر بجمع الرجال من القرى ، وهم مائة ألف فلاح توزع على القرى والبلدان للعمل والحفر بالأجرة ، وبرزت الأوامر بذلك ، فارتبك أمر الفلاحين ومشايخ البلاد لأن الأمر برز بحضور المشايخ وفلاحيهم ، فشرعوا فى التشهيل ، وما يتزودون به فى البرية ، ولايدرون مدة الإقامة ، فمنهم من يقدرها بالسنة ، ومنهم بأقل أو أكثر .

واستهل شهر رجب بيوم الأحد سنة ١٢٣٢ [2]

فى ثانيه يوم الإثنين [3] ، الموافق لثانى عشر بشنس القبطى وسابع أيار الرومى ،

---

(١) ٢١ جمادى الثانية ١٢٣٢ هـ / ٨ مايو ١٨١٧ م . (٢) رجب ١٢٣٢ هـ / ١٧ مايو - ١٥ يونيه ١٨١٧ م .
(٣) ٢ رجب ١٢٣٢ هـ / ١٨ مايو ١٨١٧ م .

قبل الغروب بنحو ساعة ، تغير الجو بسحاب وقتام ، وحصل رعد متتابع ، وأعقبه مطر بعد الغروب ثم انجلى ذلك ، والسبب فى ذكر مثل هذه الجزئية شيآن : الأوّل : وقوعها فى غير زمانها ، لما فيه من الاعتبار بخرق العوائد ، الثانى : الاحتياج إليها فى بعض الأحيان فى العلامات السماوية ، وبالأكثر فى الوقائع العامية ، فإن العامة لايؤرخون غالبا بالأعوام والشهور ، بل بحادثة أرضية أو سماوية ، خصوصا إذا حصلت فى غير وقتها ، أو بملحمة أو معركة ، أو فصل أو مرض عام ، أو موت كبير ، أو أمير ، يقول كان بعد الحادثة الفلانية بكذا من الأيام ، ثم لايدرى فى أى شهر أو عام ، وخصوصا إذا طال الزمان بعدها ، وقد تكرر الاحتياج إلى تحرير الوقت فى مسائل شرعية فى مجلس الشرع فى مثل : الحضانة ، والعدة ، والنفقة ، وسن اليأس ، ومدة غيبة المفقود ، بأن يتفق قولهم على أن الصبى ولد يوم السيل الذى هدم القبور ، أو يوم موت الأمير فلان ، أو الواقعة الفلانية ، ويختلفون فى تحقيق وقتها ، وعند ذلك يحتاجون إلى السؤال ممن عساه يكون أرخ وقتها ، وفى غير وقت الاحتياج يسخرون بمن يشغل بعض أوقاته بشىء من ذلك ، لاعتيادهم إهمال العلوم التى كان يعتنى بتدوينها الأوائل إلا بقدر إقامة الناموس الذى يحصلون به الدنيا ، ولولا تدوين العلوم ، وخصوصا علم الأخبار ما وصل إلينا شىء منها ، ولا الشرائع الواجبة ، ولايشك شاك فى فوائد التدوين ، وخصائصه بنص التنزيل ، قال تعالى : ﴿ وكُلاً نقُصُّ علَيك مِن أنباء الـرُّسلِ مَا تثبت به فُؤادَكَ وَجاءك فى هَذِه الحق ومَوْعِظَةٌ وذِكْرى لِلْمؤمنِين ﴾ (١)

وفى عاشره (٢) ، وصلت هجانة وأخبار عن إبراهيم باشا من الحجاز بأنه وصل إلى محل يسمى الموتان ، فوقع بينه وبين الوهابية وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأخذ منهم أسرى وخياما ومدفعين ، فضربوا لتلك الأخبار مدافع سرورا بذلك الخبر .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره (٣) ، سافر الباشا إلى أسكلة السويس وصحبته السيد محمد المحروقى ليتلقى سفائنه الواصلة بالبضائع الهندية .

واستهل شهر شعبان بيوم الإثنين سنة ١٢٣٢ (٤)

فيه (٥) رجع الباشا من السويس ، وأخلوا للبضائع الواصلة ثلاث خانات ، توضع فى حواصلها ، ثم توزع على الباعة بالثمن الذى يفرضه .

(١) سورة : هود ، رقم (١١) ، آية رقم (١٢٠) .

(٢) ١٠ رجب ١٢٣٢ هـ / ٢٦ مايو ١٨١٧ م .

(٣) ١٨ رجب ١٢٣٢ هـ / ٣ يونيه ١٨١٧ م .

(٤) شعبان ١٢٣٢ هـ / ١٦ يونيه - ١٤ يوليه ١٨١٧ م .

(٥) ١ شعبان ١٢٣٢ هـ / ١٦ يونيه ١٨١٧ م .

وفيه[1] ، وصل الخبر أيضًا بوصول سفائن إلى بندر جدة وفيها ثلاثة من الفيلة .

وفيه [2] ، قوى اهتمام الباشا لحفر الترعة الموصلة إلى الإسكندرية ، كما تقدم، وأن يكون عرضها عشرة أقصاب والعمق أربعة أقصاب بحسب علو الأراضى وانخفاضها ، وتعينت كشاف الأقاليم لجمع الرجال ، وفرضوا أعدادهم بحسب كثرة أهل القرية وقلتها ، وعلى كل عشرة أشخاص شخص كبير ، وجمعت الغلقان ، ولكل غلق فاس وثلاثة رجال لخدمته ، وأعطوا كل شخص خمسة عشر قرشا ، ترحيله ، ولكل شخص ثلاثون نصفا فى أجرته كل يوم فى وقت العمل ، وحصل الاهتمام لذلك فى وقت اشتغال الفلاحين بالحصيدة والدراس وزراعة الذرة التى هى معظم قوتهم ، وشرعوا فى تشهيل احتياجاتهم وشراء القرب للماء ، فإن بتلك البرية لايوجد الماء إلا ببعض الحفائر التى يحفرها طالب الماء ، وقد تخرج مالحة لأنها أراض مسبخة ، وتعين جماعة من مهندسخانة ، ونزلوا مع كبيرهم لمساحتها وقياسها ، فقاسوا من فم ترعة الأشرفية حيث الرحمانية إلى حد الحفر المراد بقرب عمود السوارى الذى بالإسكندرية، فبلغ ذلك ستة وعشرين ألف قصبة ، ثم قاسوا من أول الترعة القديمة المعروفة بالناصرية ، وابتداؤها من المكان المعروف بالعطف عند مدينة فوّة ، فكان أقل من ذلك ينقص عنه خمسة آلاف قصبة وكسر ، فوقع الاختيار على أنْ يكون ابتداؤها هناك .

وفى أثناء ذلك ، زاد النيل قبل المناداة عليه بالزيادة ، وذلك فى منتصف بؤنة القبطى [3] ، وغرّق المقاثئ من البطيخ والخيار والعبدلاوى ، وأهمل أمر الحفر فى الترعة المذكورة إلى ما بعد النيل ، واستردت الدراهم التى أعطيت للفلاحين لأجل الترحيلة ، وفرحوا بذلك الإهمال ، وقد كان أطلق الباشا لمصارفها أربعة آلاف كيس من تحت الحساب ، ورجع المهندسون إلى مصر وقد صوروا صورتها فى كواغد ، ليطلع عليها الباشا عيانا ، وكان رجوعهم فى ثامن عشر شعبان [4] .

وفيه [5] ، تقلد إبراهيم أغا المعروف بأغات الباب ، أمر تنظيم الأصناف والمحدثات ، وعمل معدلاتها ، لبيان سرقات ومخفيات المتقلدين أمر كل صنف من الأصناف بعد البحث والتفتيش والتفحص على دقائق الأشياء .

---

(1) ١ شعبان ١٢٣٢ هـ / ١٦ يونيه ١٨١٧ م .

(2) ١ شعبان ١٢٣٢ هـ / ١٦ يونيه ١٨١٧ م .

(3) ١٥ بؤنه ١٥٣٣ ق / ٢١ يونيه ١٨١٧ م .

(4) ١٨ شعبان ١٢٣٢ هـ / ٣ يوليه ١٨١٧ م .

(5) ١٨ شعبان ١٢٣٢ هـ / ٣ يوليه ١٨١٧ م .

وفيه [1] ، وصل نحو المائتي شخص من بلاد الروم أرباب صنائع معمرين ونجارين وحدادين وبنائين ، وهم ما بين أرمنى ونجريجى ونحو ذلك .

وفيه [2] ، أيضًا ، اهتم الباشا ببناء حائطين بحرى رشيد عند الطينة على يمين البغاز ، وشماله ، لينحصر فيما بينهما الماء ، ولاتطمى الرمال وقت ضعف النيل، ويقع بسبب ذلك العطب للمراكب ، وتلف أموال المسافرين ، وقد كمل ذلك فى هذا الشهر [3] ، وهذه الفعلة من أعظم الهمم الملوكية التى لم يسبق بمثلها .

وفى عشرينه [4] ، شنق شخص بباب زويلة بسبب الزيادة فى المعاملة ، وعلقوا بأنفه ريال فرانسة ، مع أن الزيادة سارية فى المبيعات والمشتروات من غير إنكار .

وفيه [5] ، أيضًا ، خزم المحتسب آناف أشخاص من الجزارين فى نواحى وجهات متفرقة ،، وعلق فى أنافهم قطعا من اللحم ، وذلك بسبب الزيادة فى ثمن اللحم وبيعهم له بما أحبوه من الثمن فى بعض الأماكن خفية ، لأن الجزارين إذا نزلوا باللحم من المذبح وأكثره هزيل ونعاج ومعز ، والقليل من المناسب الجيد ، فيعلقون الردئ بالحوانيت ويبيعونه جهارا بالثمن المسعر ، ويخفون الجيد ، ويبيعونه فى بعض الأماكن بما يحبون .

وفى يوم الخميس خامس عشرينه [6] ، وصلت الأفيال الثلاثة من السويس ، أحدها كبير عن الإثنين ، ولكن متوسط فى الكبر ، فعبروا بها من باب النصر ، وشقوا من وسط المدينة ، وخرجوا بها من باب زويلة على الدرب الأحمر ، وذهبوا بها إلى قراميدان ، وهرولت الناس والصبيان للفرجة عليها ، وذهبوا خلفها ، وازدحموا فى الأسواق لرؤيتها ، وكذلك العسكر والدلاة ركبانا ومشاة ، وعلى ظهر الفيل الكبير مقعد من خشب .

واستهل شهر رمضان بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٢ [7]

وعملت الرؤية تلك الليلة ، وركب المحتسب وكذا مشايخ الحرف كعادتهم ، وأثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة ، وكان عسر الرؤية جدًا .

---

(١) ١ٸ شعبان ١٢٣٢ هـ / ٣ يوليه ١٨١٧ م .
(٢) ١٨ شعبان ١٢٣٢ هـ / ٣ يوليه ١٨١٧ م .
(٣) شعبان ١٢٣٢ هـ / ١٦ يونيه - ١٤ يوليه ١٨١٧ م .
(٤) ٢٠ شعبان ١٢٣٢ هـ / ٥ يوليه ١٨١٧ م .
(٥) ٢٠ شعبان ١٢٣٢ هـ / ٥ يوليه ١٨١٧ م .
(٦) ٢٥ شعبان ١٢٣٢ هـ / ١٠ يوليه ١٨١٧ م .
(٧) رمضان ١٢٣٢ هـ / ١٥ يوليه - ١٣ أغسطس ١٨١٧ م .

وفى صبح ذلك اليوم [1] ، عزل عثمان أغا الوردانى من الحسبة ، وتقلدها مصطفى كاشف كرد ، وذلك لما تكرر على سمع الباشا ، أفعال السوقة وانحرافهم وقلة طاعتهم وعدم مبالاتهم بالضرب والإيذاء ، وخزم الأنوف والتجريس ، قال فى مجلس خاصته : « لقد سرى حكمى فى الأقاليم البعيدة فضلاً عن القريبة ، وخافنى العربان وقطاع الطريق وغيرهم ، خلاف سوقة مصر فإنهم لايرتدعون بما يفعله فيهم ولاة الحسبة من الإهانة والإيذاء ، فلابد لهم من شخص يقهرهم ، ولايرحمهم ولايهملهم » ، فوقع اختياره على مصطفى كاشف كرد هذا فقلده ذلك ، وأطلق له الإذن ، فعند ذلك ركب فى كبكبة وخلفه عدة من الخيالة ، وترك شعار المنصب من المقدمين والخدم الذين يتقدمونه ، وكذلك الذى أمامه بالميزان ومن بأيديهم الكرابيج لضرب المستحق والمنقص فى الوزن ، وبات يطوف على الباعة ، ويضرب بالدبوس هشما بأدنى سبب ، ويعاقب بقطع شحمة الأذن ، فأغلقوا الحوانيت ، ومنعوا وجود الأشياء حتى ما جرت به العادة فى رمضان من عمل الكعك والرقاق المعروف بالسحير وغيره ، فلم يلتفت لامتناعهم وغلقهم الحوانيت ، وزاد فى العسف ، ولم يرجع عن سعيه واجتهاده ، ولازم على السعى والطواف ليلا ونهارا ، لاينام الليل بل ينام لحظة وقت ما يدركه النوم فى أى مكان ولو على مصطبة حانوت ، وأخذ يتفحص على السمن والجبن ونحوه المخزون فى الحواصل ويخرجه ، ويدفع ثمنه لأربابه بالسعر المفروض ، ويوزعه لأرباب الحوانيت ، ليبيعوه على الناس بزيادة نصف أو نصفين فى كل رطل ، وذهب إلى بولاق ومصر القديمة ، فاستخرج منهما سمنا كثيرا ، ومعظم ذلك فى مخازن للعسكر ، فإن العسكر كانوا يرصدون الفلاحين وغيرهم فيأخذونه منهم بالسعر المفروض ، وهو مائتان وأربعون فى العشرة منه ، ثم يبيعونه على المحتاجين إليه بما أحبوا من الزيادة الفاحشة ، فلم يراع جانبهم ، واستخرج مخبآتهم قهرا عنهم ، ومن خالف عليه منهم ضربه ، وأخذ سلاحه ونكل به ، وذهب فى بعض الأوقات إلى بولاق ، فأخرج من حاصل ببعض الوكائل ثلثمائة وخمسين ماعونا لكبير من العسكر ، فحضر إليه بطائفته ، فلم يلتفت إليه ، ووبخه ، وقال له : « أنتم عساكر لكم الرواتب والعلائف واللحوم والأسمان وخلافها ، ثم تحتكرون أيضًا أقوات الناس وتبيعونها عليهم بالثمن الزائد » ، وأعطاه الثمن المفروض ، وحمل المواعين على الجمال إلى الأمكنة التى أعدها لها عند باب الفتوح ، وعندما رأى أرباب الحوانيت الجد وعدم الإهمال والتشديد عليهم ، فتح المغلق منهم

---

(1) ١ رمضان ١٢٣٢ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨١٦ - ١١ نوفمبر ١٨١٧ م .

حانوته ، وأظهروا مخبآتهم أمامهم وملأوا السدريات والطسوت من السمن ، وأنواع الجبن ، خوفا من بطش المحتسب وعدم رحمته بهم ، ويقف بنفسه على باعة البطيخ والقاوون.

وفى منتصف شهر رمضان [1] ، وصلوا برمة إبراهيم بيك الكبير من دنقلة ، وذلك أنه لما وصل خبر موته استأذنت زوجته أم ولده الباشا فى إرسالها امرأة تدعى نفيسة لإحضار رمته ، فأذن بذلك ، وأعطى المتسفرة فيما بلغنا عشرة أكياس ، وكتب لها مكاتبات لكشاف الوجه القبلى بالمساعدة ، وسافرت وحضرت به في تابوت وقد جف جلده على عظمه لنحافته ، وذلك بعد موته بنحو ستة شهور ، وعملوا له مشهدا وأمامه كفارة ، ودفنوه بالقرافة الصغرى عند إبنه مرزوق بيك .

وفى ليلة الخميس سابع عشره [2] ، طلب المحتسب حجاج الخضرى الشهير بنواحى الرميلة ، فأخذه إلى الجمالية وشنقه على السبيل المجاورة لحارة المبيضة ، وذلك فى سادس ساعة من الليل وقت السحور ، وتركوه معلقا لمثلها من الليلة القابلة ، ثم أذن برفعه فأخذه أهله ودفنوه ، وحجاج هو الذى تقدم ذكره غير مرة فى واقعة خورشيد باشا وغيرها ، وكان مشهوراً بالإقدام والشجاعة طويل القامة ، عظيم الهمة ، وكان شيخا على طوائف الخضرية ، صاحب صولة وكلمة بتلك النواحى ، ومكارم أخلاق ، وهو الذى بنى البوابة بآخر الرميلة عند عرصة الغلة أيام الفتنة ، واختفى مرارا بعد تلك الحوادث ، وانضم إلى الألفى ، ثم حضر إلى مصر بأمان ، ولم يزل على حالته في هدو وسكون ، ولم يؤخذ في هذه بجرم فعله يوجب شنقه ، بل قتل مظلوما لحقد سابق وزجرا لغيره .

وفى يوم الإثنين ثامن عشرين شهر رمضان ، الموافق لسادس مسرى القبطى [3] ، أوفى النيل أذرعه بالوفاء ، وكسر السد صبح يوم الثلاثاء [4] ، بحضرة كتخدا بيك والقاضى وغيره ، وجري الماء فى الخليج ، ولم يقع فيه مهرجان مثل العادة ، هذا والمحتسب مواظب على السروح ليلا ونهارا ، ويعاقب بجرح الآذان والضرب بالدبوس ، وأقعد بعض صناع الكنافة على صوانيهم التى على النار ، وأمر بكنس الأسواق ، ومواظبة رشها بالماء ، ووقود القناديل على أبواب الدور ، وعلى كل ثلاثة من الحوانيت قنديل ، ويركب آخر الليل ، ثم يذهب إلى بولاق ليتلقى الواردين بالبطيخ الأخضر والأصفر ، ويعرف عدة الشروات ، ويأمرهم بدفع مكوسها

(1) ١٥ رمضان ١٢٣٢ هـ / ٢٩ يوليه ١٨١٧ م . (2) ١٧ رمضان ١٢٣٢ هـ / ٣١ يوليه ١٨١٧ م .
(3) ٢٨ رمضان ١٢٣٢ هـ / ١٢ اغسطس ١٨١٧ م . (4) ٢٩ رمضان ١٢٣٢ هـ / ١٣ اغسطس ١٨١٧ م .

المفروض ، ثم يأمرهم بالذهاب إلى مراكز بيعهم ولايبيعون شيئًا حتى يأتيهم بنفسه ، أو بحضـرة من يرسله من طـرفه ، ثم يعود طـائفا عليـهم ، فيحصى مـا فى فرش أحدهم عددا ، ويميز الـكبير بثمن والصغيـر بثمن ، ويترك عند البائـع من يباشره أو يقف هو بنفسه ، ويبيع على الناس بما فرضه ، ويعطى لصاحبه الثمن والربح ، فيراه قد ربح العشـرة قروش وأكثر بعد مكسه ومـصارفه ، فيقول له : « أما يكـفى مثلك ربح هذا القدر حتى تطمع أيضًا فى الزيـادة عليه » ، وهو مع ذلك يكر ويطوف على غيرهم ، ويحلّق على ما يرد من السمن الوارد الذى تقرر على المزارعين ، فيزنه منهم بالسعر المفروض ، وهو أربعة وعشرون نصفا الرطل ، ويرد عليهم الفوارغ ، ويعطيه للبائع بالثمـن المقرر وهو ستة وعشرون ، وهم يبيعونه بـزيادة نصفين فى كل رطل ، وهو ثمانية وعشرون ، ويناله الناس بأسهل وجدان سالما من الخلط والغش ، ويأمرهم بإعادة ما عسى يوجـد فيه من المرتة والعكار إلى مواعينـه ليوزن مع فوارغه ، ورصد أيضًا ما يرد للناس ، ولو لأكابر الدولة من الســمن ، فيطلق البعض ، ويأخذ الباقى بالثمن ، وكذلك مـا يأتيهم من البطيخ والدجاج ، ولو كان لـصاحب الدولة حسب أذنه له بذلك ، كل ذلـك للحرص على كثرة وجدان الأشياء ، وتـعدت أحكامه إلى بضائع التجار والأقمشة الهندية ، وأهل مرجوش والمحلاوية وخلافهم ، وطلب قوائم مشترواتـهم والنظر فى مكـايلهم ، فضاق خناق أكـثر الناس من ذلك ، لكـونهم لم يعتـادوه من محتـسب قبلـه ، وكأنه وصله خـبر ولاة الحسبـة وأحكامهـم فى الدول المصرية القديمة ، فـإن وظيفة أمين الاحتساب وظيفة قضاء ، وله الـتحكم والعدالة ، والتكلم على جميع الأشياء ، وكان لايتولاهـا إلا المتضلع من جميع المعارف والعلوم والقوانين ، ونظام الـعدالة ، حتى على من يتصـدر لتقرير العلوم ، فيحـضر مجلسه ويباحثه ، فإن وجد فيه أهلية للإلقاء أذن له بالتصدر أو منعه حتى يستكمل ، وكذلك الأطباء والجراحية حتى البيطارية والبزدريـة ، ومعلموا الأطفال فى المكاتب ، ومعلمو السباحة فى المـاء ، والنظر فى وسق المراكب فى الأسفار ، وأحـمال الدواب فى نقل الأشياء ، ومقادير روايا الماء مما يطول شرحه ، وفـى ذلك مؤلف للشيخ ابن الرفعة ، وقد يسهل بعض ذلـك مع العدالة ، وعدم الاحتكار وطمع المتولـى ، وتطلعه لما فى أيدى الناس وأرزاقهم .

ومما يحكى ، أن الرشيد سأل الليث بن سعد فقال له : « يا أبا الحرث ما صلاح بلدكم يعنى مصر » ، فقال له : « أما صلاح أمرها ومزارعها فبالنيل ، وأما أحكامها فمن رأس العين يأتى الكدر » .

وفى أواخر رمضان [1] ، زاد المحتسب فى نغمات الطنبور ، وهو أنه أرسل مناديه فى مصر القديمة ينادى على نصارى الأرمن والأروام والشوام ، بإخلاء البيوت التى عمروها وزخرفوها ، وسكنوا بها بالإنشاء ، والملك والمؤاجرة المطلة على النيل ، وأن يعودوا إلى زيهم الأول من لبس العمائم الزرق ، وعدم ركوبهم الخيول والبغال والرهوانات الفارهة ، واستخدامهم المسلمين ، فتقدم أعاظمهم إلى الباشا بالشكوى ، وهو يراعى جانبهم ، لأنهم صاروا أخصاء الدولة وجلساء الحضرة وندماء الصحبة .

وأيضًا ، نادى مناديه على المردان ، ومحلقى اللحى ، بأنهم يتركونها ولايحلقونها ، وجميع العسكر وغالب الأتراك سنتهم حلق اللحى ولو طعن فى السن ، فأشيع فيهم أن يأمرهم بترك لحاهم ، وذلك خرم لقواعدهم ، بل يرونه من الكبائر ، وكذلك السيد محمد المحروقى بسبب تعرضه إلى بضائع التجار ، وأهل الغورية فإن ذلك منوط به .

وفى أثناء ذلك ، ورد إلى عابدين بيك مواعين سمن ، فأرسل الجمال إلى حملها من ساحل بولاق ، فبلغ خبرها المحتسب فأخذها وأدخلها مخزنه ، وعادت الجمال فارغة ، وأخبروا مخدومهم بحجز المحتسب لها ، فأرسل عدة من العسكر فأخرجوها من المخزن ، وأخذوها ولم يكن المحتسب حاضرا ، واتفق أنه ضرب شخصا من عسكر المذكور أرنؤدى بالدبوس حتى كاد يموت ، فاشتد بعابدين بيك الحنق ، وركب إلى كتخدا بيك وشنع على المحتسب وتعددت الشكاوى ، وصادفت فى زمن واحد ، فأنهى الأمر إلى الباشا ، فتقدم إليه بكف المحتسب عن هذه الأفعال ، فأحضره الكتخدا وزجره وأمره أن لايتعدى حكمه الباعة ، ومن كان يسرى عليهم أحكام من كان فى منصبه قبله ، وأن يكون أمامه الميزان ويؤدب المستحق بالكرابيج دون الدبوس .

واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة ١٢٣٢ [2]

فترك السروح فى أيام العيد ، وأشيع بين السوقة عزله ، فأظهروا الفرح ، ورفعوا ما كان ظاهرا بين أيديهم من : السمن والجبن ، وأخفوه عن الأعين ، ورجعوا إلى حالتهم الأولى من الغش والخيانة وغلاء السعر ، وأغلق بعضهم الحانوت ، وخرجوا إلى المتنزهات ، وعملوا ولائم .

---

(١) أخر رمضان ١٢٣٢ هـ/ ١٣ أغسطس ١٨١٧ م .

(٢) شوال ١٢٣٢ هـ / ١٤ أغسطس - ١١ سبتمبر ١٨١٧ م .

وفى رابعه [1] ، شنقوا عدة أشخاص فى أماكن متفرقة ، قيل أنهم سراق وزغلية ، وكانوا مسجونين فى أيام رمضان [2] ، ولم يركب المحتسب حسب الأمر بل أركب خازنداره ، وشق بالميزان عوضا عنه ، ثم ركب هو أيضًا وبيده الدبوس ، لكن دون الحالة الأولى فى الجبروت ، ولم يسر حكمه على النصارى فضلا عن غيرهم .

وفى عاشره يوم السبت [3] ، نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة ، وشقوا بها من وسط الشارع إلى المشهد الحسينى .

وفى يوم السبت سابع عشره [4] ، أداروا المحمل وخرج أمير الركب إلى خارج باب النصر ، ووصلت حجاج كثيرة من ناحية المغرب إلى بر إنبابة وبولاق ، وطفقوا يشترون الأغنام من الفلاحين ، ويذبحونها ويبيعونها ببولاق وطرقها على الناس جزافا من غير وزن ، ويذهب الكثير من الناس إلى الشراء منهم ، فيقعون فى الغبن الفاحش والزيادة على السعر بالضعف ، وأكثر ، وضرورتهم فى الشراء منهم رداءة ما يحمله القصابون من المذبح من أغنام الباشا المحضرة من البلاد والقرى ، وقد هزلت من السفر والإقامة بالجوع والعطش ، ويموت الكثير منها فيسلمونه ويزنونه على الجزارين بالبيع للناس ، وفيه المتغير الرائحة ، وما تعافه النفوس ، فبسبب ذلك اضطر الناس إلى الشراء من هؤلاء الأجناس بالغبن ، وتحمل سوء أخلاقهم ، وحصل بينهم وبين العسكر شرور ، وقتل بينهم قتلى ومجاريح ، والباشا وحكام الوقت يتغافلون عنهم خوفا من وقوع الفتن ، ثم ارتحلوا لأنهم كثروا وملأوا الأزقة والنواحى ، وحضر أيضًا الركب الفاسى وفيه ولدا السلطان سليمان ومن يصحبهما ، فأحسن الباشا نزلهم ، وتقيد السيد محمد المحروقى بملاقاتهم ولوازمهم ، وأنزلوهم فى منزل بجوار المشهد الحسينى ، وأجريت عليهم نفقات تليق بهم ، وأهديا للباشا هدية ، وفيها عدة بغال وبرانس حرير وغير ذلك .

وفى ثامن عشرينه [5] ، ارتحل الحج من البركة ، وكان الحجوج فى هذه السنة كثيرة من سائر الأجناس : أتراك ، وططر ، وبشناق ، وچركس ، وفلاحين ، ومن سائر الأجناس ، ورجع الكثير من المسافرين على بحر القلزم إلى الحجاز من السويس لقلة المراكب التى تحملهم ، وغصت المدينة من كثرة الزحام زيادة على ما بها من ازدحام العساكر ، وأخلاط العالم من فلاحى القرى المشيعين والمسافرين ، ومن يرد من الآفاق ، والبلاد الشامية ، ونصارى الروم ، والأرمن ، والدلاة ، والواردين

---

(١) ٤ شوال ١٢٣٢ هـ / ١٧ اغسطس ١٨١٧ م . (٢) رمضان ١٢٣٢ هـ / ١٥ يوليه - ١٣ اغسطس ١٨١٧ م .

(٣) ١٠ شوال ١٢٣٢ هـ / ٢٣ اغسطس ١٨١٧ م . (٤) ١٧ شوال ١٢٣٢ هـ / ٣٠ اغسطس ١٨١٧ م .

(٥) ٢٨ شوال ١٢٣٢ هـ / ١٠ سبتمبر ١٨١٧ م .

والذين استدعاهم الباشا من الدروز والمتاولة والنصيرية وغيرهم لعمل الصنائع والمزارع وشغل الحرير ، وما استجده بوادى الشرق حتى أن الإنسان يقاسى الشدة والهول إذا مر بالشارع من كثرة الازدحام ، ومرور الخيالة وحمير الأوسية والجمال التى تحمل الأتربة والأنقاض والأحجار لعمائر الدولة ، سوى من عداها من حمول الأحطاب والبضائع والتراسين حتى الزحمة فى داخل العطف الضيقة ، وزيادة على ذلك كثرة الكلاب بحيث يكون فى القطعة من الطريق نحو الخمسين ، ثم صياحها ونباحها المستمر ، وخصوصا فى الليل على المارين ، وتشاجرها مع بعضها مما يزعج النفوس ويمنع الهجوع ، وقد أحسن الفرنساوية بقتلهم الكلاب ، فإنهم لما استقروا وتكرر مرورهم ونظروا إلى كثرة الكلاب من غير حاجة ولا منفعة سوى الهبهبة والعواء ، وخصوصا عليهم لغرابة أشكالهم ، فطاف عليها طائف منهم باللحم المسموم ، فما أصبح النهار إلا وجميعها موتى مطروحة بجميع الشوارع ، فكان الناس والصغار يسحبونها كذا بالحبال إلى الخلاء ، واستراحت الأرض ومن فيها منها ، فالله يكشف عنا مطلق الكرب فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه .

واستهل شهر ذى القعدة سنة ١٢٣٢ (١)

فى خامسه يوم الأربعاء (٢) ، وليلة الخميس (٣) ، ارتحل ركب الحجاج المغاربة من الحصوة .

وفى أواخره (٤) ، حصل الأمر للفقهاء بالأزهر بقراءة صحيح البخارى ، فاجتمع الكثير من الفقهاء والمجاورين وفرقوا بينهم أجزاء وكراريس من البخارى ، يقرءون فيها مقدار ساعتين من النهار بعد الشروق ، فاستمروا على ذلك خمسة أيام ، وذلك بقصد حصول النصر لإبراهيم باشا على الوهابية ، وقد طالت مدة انقطاع الأخبار عنه ، وحصل لأبيه قلق زائد ، ولما انقضت أيام قراءة البخارى ، نزل للفقهاء عشرون كيسا فرقت عليهم ، وكذلك على أطفال المكاتب .

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الأحد سنة ١٢٣٢ (٥)

فى رابعه (٦) ، شنقوا أشخاصا قيل إنهم خمسة ويقال إنهم حرامية .

---

(١) ذى القعدة ١٢٣٢ هـ / ١٢ سبتمبر - ١١ أكتوبر ١٨١٧ م .
(٢) ٥ ذى القعدة ١٢٣٢ هـ / ١٦ سبتمبر ١٨١٧ م .
(٣) ٦ ذى القعدة ١٢٣٢ هـ / ١٧ سبتمبر ١٨١٧ م . (٤) أخر ذى القعدة ١٢٣٢ هـ / ١١ أكتوبر ١٨١٧ م .
(٥) ذى الحجة ١٢٣٢ هـ / ١٢ أكتوبر - ١٠ نوفمبر ١٨١٧ م .
(٦) ٤ ذى الحجة ١٢٣٢ هـ / ١٥ أكتوبر ١٨١٧ م .

وفيه [١] ، أرسلت الأفيال الثلاثة إلى دار السلطنة صحبة الهدايا المرسلة ، وثلاثة سروج ذهب ، وفيها سرج مجوهر ، وخيول وكباش ونقود وأقمشة هندية وسكاكر وأرز .

وفيه [٢] ، وصل فيل آخر كبير مروا به من وسط المدينة ، وذهبوا به إلى رحبة بيت السيد محمد المحروقي ، وقفوا به في أواخر النهار ، والناس تجتمع للفرجة عليه إلى أواخر النهار ، ثم طلعوا به إلى القلعة ، وأوقفوه بالطبخانة ، وهي محل عمل المدافع ، وحضر بصحبته شخص يدعى العلم والمعرفة بالطب والحكمة ، ومعه مجلد كبير في حجم الوسادة ، يحتوى على الكتب الستة الحديثية ، وخطه دقيق ، قال : « إنه نسخه بيده » ، ونزل ببيت السيد محمد المحروقي ، وركب له معجون الجواهر أنفق فيه جملة من المال وكحلا ، وركب أيضًا تراكيب لغيره ، وشرط عليهم في الاستعمال بعد مضى ستة أشهر ، وشيء منها بعد شهرين وثلاثة ، وأقام أياما ثم سافر راجعا إلى صنعاء .

وفي يوم الثلاثاء عاشره [٣] ، كان عيد النحر ، ولم يرد فيه مواشي كثيرة كالأعياد السابقة من الأغنام والجواميس التي تأتي من الأرياف ، فكانت تزدحم منها الأسواق لكثرتها والوكائل والرميلة ، فلم يرد إلاّ النزر القليل قبل النحر بيومين ، وبياع بالثمن الغالي ، ولم يذبح الجزارون في أيام النحر للبيع كعادتهم إلا القليل منهم مع التحجير على الجلود ، وعلى من يشتريها ، وتباع لطرف الدولة بالثمن الرخيص جدًا .

وانقضت السنة مع استمرار ما تجدد فيها من الحوادث التي منها ما حدث في آخر السنة [٤] ، من الحجر وضبط أنوال الحياكة ، وكل ما يصنع بالمكوك ، وما ينسج على نول أو نحوه ، من جميع الأصناف من إبريسم أو حرير أو كتان إلى الخيش والفل والحصير في سائر الإقليم المصرى ، طولا وعرضا ، قبلي وبحرى من الإسكندرية ودمياط إلى أقصى بلاد الصعيد والفيوم ، وكل ناحية تحت حكم هذا المتولى ، وانتظمت لهذا الباب دواوين ببيت محمود بيك الخازندار ، وأياما ببيت السيد محمد المحروقي ، وبحضرة من ذكر ، والمعلم غالي ، ومتولى كبر ذلك ، والمفتتح لأبوابه المعلم يوسف كنعان الشامى ، والمعلم منصور أبو سريمون القبطى ، ورتبوا لضبط ذلك كتابا ومباشرين يتقررون بالنواحى والبلدان والقرى ، وما يلزمهم من المصاريف

---

(١) ٤ ذى الحجة ١٢٣٢ هـ / ١٥ أكتوبر ١٨١٧ م . (٢) ٤ ذى الحجة ١٢٣٢ هـ / ١٥ أكتوبر ١٨١٧ م .
(٣) ١٠ ذى الحجة ١٢٣٢ هـ / ٢١ أكتوبر ١٨١٧ م . (٤) آخر ١٢٣٢ هـ / ١٠ نوفمبر ١٨١٧ م .

والمعاليم والمشاهرات ما يكفيهم فى نظير تقيدهم وخدمتهم ، فيمضى المتعينون لذلك فيحصون ما يكون موجودا على الأنوال بالناحية من القماش والبز والأكسية الصوف المعروفة بالزعابيط والدفافى ، ويكتبون عدده على ذمة الصانع ، ويكون ملزوما به ، حتى إذا تم نسجه دفعوا لصاحبه ثمنه بالفرض الذى يفرضونه ، وإن أرادها صاحبها أخذها من الموكلين بالثمن الذى يقدرونه بعد الختم عليها من طرفيها بعلامة الميرى ، فإن ظهر عند شخص شيء من غير علامة الميرى ، أخذت منه بل وعوقب وغرم تأديبا على اختلاسه وتحذيرا لغيره ، هذا شأن الموجود الحاصل عند النساجين ، واستئناف العمل المجدد ، فإن الموكل بالناحية ومباشريها يستدعون من كل قرية شخصا معروفا من مشايخها فيقيمونه وكيلا ، ويعطونه مبلغا من الدراهم ، ويأمرونه بإحصاء الأنوال والشغالين والبطالين منهم فى دفتر ، فيأمرون البطالين بالنسج على الأنوال التى ليس لها صناع بأجرتهم كغيرهم على طرف الميرى ، ويدفع المتوكل لشخصين أو ثلاثة دراهم يطوفون بها على النساء اللاتى يغزلن الكتان بالنواحى ، ويجعلنه أذرعا فيشترون ذلك منهن بالثمن المفروض ، ويأتون به إلى النساجين ، ثم تجمع أصناف الأقمشة فى أماكن للبيع بالثمن الزائد ، وجعلوا لمبيعها أمكنة مثل خان أبو طقية ، وخان الجلاد ، وبه يجلس المعلم كنعان ، ومن معه وغير ذلك ، وبلغ ثمن الثوب القطن الذى يقال له البطانة إلى ثلثمائة نصف فضة ، بعدما كان يشترى بمائة نصف وأقل وأكثر ، بحسب الرداءة والجودة ، وأدركناه يباع فى الزمن السابق بعشرين نصفا ، ويلغ ثمن المقطع القماش الغليظ إلى ستمائة نصف فضة ، وكان يباع بأقل من ثلث ذلك ، وقس على ذلك باقى الأصناف ، وهذه البدعة أشنع البدع المحدثة ، فإن ضررها عم الغنى والفقير ، والجليل والحقير ، والحكم لله العلى الكبير .

ومنها : أن المشار إليه هدم القصر الذى بالآثار ، وأنشأه على الهيئة الرومية التى ابتدعوها فى عمائرهم بمصر ، وهدموه وعمروه وبيضوه فى أيام قليلة ، وذلك أنه بات هناك ليلتين فأعجبه هواؤه ، فاختار بناءه على هواه ، وعند تمامه وتنظيمه بالفرش والزخارف جعل يتردد إلى المبيت به بعض الأحيان مع السرارى والغلمان ، كما يتنقل من قصر الجيزة وشبرا والأزبكية والقلعة وغيرها من سرايات أولاده وأصهاره ، والملك لله الواحد القهار .

ومنها : أن طائفة من الإفرنج الإنكليز قصدوا الإطلاع على الأهرام المشهورة الكائنة ببر الجيزة غربى الفسطاط ، لأن طبيعتهم ورغبتهم الإطلاع على الأشياء

المستغربات ، والفحص عن الجزئيات ، وخصوصا الآثار القديمة وعجائب البلدان ، والتصاوير والتماثيل التى فى المغارات والبرابى بالناحية القبلية وغيرها ، ويطوف منهم أشخاص فى مطلق الأقاليم بقصد هذا الغرض ، ويصرفون لذلك جملا من المال فى نفقاتهم ولوازمهم ومؤجراتهم ، حتى أنهم ذهبوا إلى أقصى الصعيد ، وأحضروا قطع أحجار عليها نقوش وأقلام وتصاوير ونواويس من رخام أبيض ، كان بداخلها موتى بأكفانها وأجسامها باقية بسبب الأطلية والأدهان الحافظة لها من البلا ، ووجه المقبور مصور على تمثال صورته التى كان عليها فى حال حياته ، وتماثيل آدمية من الحجر السماقى الأسود المنقط الذى لايعمل فيه الحديد ، جالسين على كراسى واضعين أيديهم على الركب ، وبيد كل واحد شبه مفتاح بين أصابعه اليسرى ، والشخص مع كرسيه قطعة واحدة مفرغ معه أطول من قامة الرجل الطويل ، وعلو رأسه نصف دائرة منه فى علو الشبر وهم شبه العبيد المشوهين الصورة ، وهم ستة على مثال واحد ، كأنما أفرغوا فى قالب واحد ، يحمل الواحد منهم الجملة من العتالين ، وفيهم السابع من رخام أبيض جميل الصورة ، وأحضروا أيضًا رأس صنم كبير دفعوا فى أجرة السفينة التى أحضروه فيها ستة عشر كيسا ، عنها ثلثمائة وعشرون ألف نصف فضة ، وأرسلوها إلى بلادهم لتباع هناك بأضعاف ما صرفوه عليها ، وذلك عندهم من جملة المتاجر فى الأشياء الغريبة .

ولما سمعت بالصور المذكورة ، فذهبت بصحبة ولدنا الشيخ مصطفى باكير المعروف بالساعاتى ، وسيدى إبراهيم المهدى الإنكليزى إلى بيت قنصل بدرب البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة جهة الأزبكية ، وشاهدت ذلك كما ذكرته ، وتعجبنا من صناعتهم وتشابههم ، وصقالة أبدانهم الباقية على ممر السنين والقرون التى لايعلم قدرها إلا علام الغيوب ، وأرادوا الاطلاع على أمر الأهرام ، وأذن لهم صاحب المملكة ، فذهبوا إليها ، ونصبوا خيمة وأحضروا الفعلة والمساحى والغلقان ، وعبروا إلى داخلها وأخرجوا منها أتربة كثيرة من زبل الوطواط وغيره ، ونزلوا إلى الزلاقة ، ونقلوا منها ترابا كثيرا وزبلا ، فانتهوا إلى بيت مربع من الحجر المنحوت غير مسلوك ، هذا ما بلغنا عنهم ، وحفروا حوالى الرأس العظيمة بالقرب من الأهرام التى تسميها الناس رأس أبى الهول ، فظهر أنه جسم كامل عظيم من حجر واحد ممتد كأنه راقد على بطنه رافع رأسه ، وهى التى يراها الناس وباقى جسمه مغيب بما انهال عليه من الرمال ، وتباعدا من مرفقيه ممتدان أمامه ، وبينهما شبه صندوق مربع إلى استطالة من سماق أحمر عليه نقوش شبه قلم الطير ، فى داخله صورة سبع مجسم

من حجر مدهون بدهان أحمر ، رابض باسط ذراعيه فى مقدار الكلب ، رفعوه أيضاً إلى بيت القنصل ورأيته يوم ذاك ، وقيس المرتفع من جسم أبى الهول من عند صدره إلى أعلى رأسه فكان اثنين وثلاثين ذراعا ، وهى نحو الربع من باقى جسمه ، وأقاموا فى هذا العمل نحوا من أربعة أشهر .

وأما من مات فى هذه السنة من المشاهير [1]

فمات ، العالم العلامة ، الفاضل الفهامة ، صاحب التحقيقات الرائقة ، والتآليفات الفائقة ، شيخ شيوخ أهل العلم ، وصدر صدور أهل الفهم ، المتفنن فى العلوم كلها ، نقليها وعقليها وأدبيها ، إليه انتهت الرياسة فى العلوم بالديار المصرية ، وباهت مصر ما سواها بتحقيقاته البهية ، استنبط الفروع من الأصول واستخرج نفائس الدرر من بحور المعقول والمنقول ، وأودع الطروس فوائد ، وقلدها عوائد فرائد ، الأستاذ الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن محمد السَّنَباوى ، المالكى الأزهرى ، الشهير بالأمير ، وهو لقب جده الأدنى أحمد ، وسببه أن أحمد وأباه عبد القادر كان لهما إمرة بالصعيد ، وأخبرنى المترجم من لفظه ، أنَّ أصلهم من المغرب ، ونزلوا بمصر عند سيدى عبد الوهاب أبى التخصيص ، كما أخبر عن ذلك وثائق لهم ، ثم التزموا بحصة بناحية سنَبو [2] ، وارتحلوا إليها وقطنوا بها ، وبها ولد المترجم ، وكان مولده فى شهر ذى الحجة سنة أربع وخمسين ومائة وألف [3] ، بإخبار والديه ، وارتحل معهما إلى مصر ، وهو ابن تسع سنين ، وكان قد ختم القرآن فجوّده على الشيخ المنير على طريقة الشاطبية ، والدرة ، وحبب إليه طلب العلم ، فأوّل ما حفظ متن الآجرومية ، وسمع سائر الصحيح والشفاء على سيدى على بن العربى السقاط ، وحضر دروس أعيان عصره ، واجتهد فى التحصيل ، ولازم دروس الشيخ الصعيدى فى الفقه ، وغيره من كتب المعقول ، وحضر على السيد البليدى شرح السعد على عقائد النسفى والأربعين النووية ، وسمع الموطأ على هلال المغرب وعالمه الشيخ محمد التاودى ابن سودة بالجامع الأزهر ، سنة وروده بقصد الحج ، ولازم المرحوم الوالد حسن الجبرتى سنين ، وتلقى عنه الفقه الحنفى ، وغير ذلك من الفنون : كالهيئة ، والهندسة

---

(١) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٢٨٤ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة » .

(٢) سنبو : قرية قديمة ، وهى إحدى قرى مركز ديروط ، محافظة أسيوط .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ٤٨ .

(٣) ١١٥٤ هـ / ١٩ مارس ١٧٤١ - ٧ مارس ١٧٤٢ م .

والفلكيات ، والأوفاق والحكمة عنه ، وبواسطة تلميذه الشيخ محمد بن إسماعيل النفراوى المالكى ، وكتب له إجازة مثبتة فى برنامج شيوخه ، وحضر الشيخ يوسف الحفنى فى آداب البحث ، وبانت سعاد ، وعلى الشيخ محمد الحفنى أخيه مجالس من الجامع الصغير والشمائل والنجم الغيطى فى المولد ، وعلى الشيخ أحمد الجوهرى فى شرح الجوهرة للشيخ عبد السلام ، وسمع منه المسلسل بالأولية ، وتلقى عنه طريق الشاذلية من سلسلة مولاى عبدالله الشريف ، وشملته إجازة الشيخ الملوى ، وتلقى عنه مسائل فى أواخر أيام انقطاعه بالمنزل ، ومهر وأنجب ، وتصدر لإلقاء الدروس فى حياة شيوخه ، ونما أمره ، واشتهر فضله ، خصوصا بعد موت أشياخه ، وشاع ذكره فى الآفاق ، وخصوصا بلاد المغرب ، وتأتيه الصلات من سلطان المغرب وتلك النواحى فى كل عام ، ووفد عليه الطالبون للأخذ عنه ، والتلقى منه ، وتوجه فى بعض المقتضيات إلى دار السلطنة ، وألقى هناك دروسا حضره فيها علماؤهم ، وشهدوا بفضله واستجازوه وأجازهم بما هو مجاز به من أشياخه ، وصنف عدة مؤلفات اشتهرت بأيدى الطلبة ، وهى فى غاية التحرير ، منها : مصنف فى فقه مذهبه ، سماه المجموع ، حاذى به مختصر خليل ، جمع فيه الراجح فى المذهب ، وشرحه شرحا نفيسا ، وقد صار كل منهما مقبولا فى أيام شيخه العدوى ، حتى كان إذا توقف شيخه فى موضع يقول هاتوا مختصر الأمير ، وهى منقبة شريفة ، وشرح مختصر خليل ، وحاشية على المغنى لابن هشام ، وحاشية على الشيخ عبد الباقى على المختصر ، وحاشية على الشيخ عبد السلام على الجوهرة ، وحاشية على شرح الشذور لابن هشام ، وحاشية على الأزهرية ، وحاشية على الشنشورى على الرحبية فى الفرائض ، وحواشى على المعراج ، وحاشية على شرح الملوى على السمرقندية ، ومؤلف سماه : مطلع النيرين فيما يتعلق بالقدرتين ، واتحاف الأنس فى الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس ، ورفع التلبيس عما يسئل به ابن خميس، وثمر التمام فى شرح آداب الفهم والإفهام ، وحاشية على المجموع ، وتفسير سورة القدر ، ومن نظمه قوله متغزلا :

أيُّهَا السَّيِّدُ المدللُ ضَاعَتْ ... فِي الهوى ضَيعتى وأنسيتُ نُسْكى
يالكَ اللهُ لا تَمِلْ لِسوائى ... وتحكَّمْ ولَو بمَا فِيه فَتْكى
وانظُر الحقَّ فى عُلُوّ غِنَاهُ ... كلُّ شىءٍ يمحُوهُ غَيرَ الشِّرْك

وله فى التشبيه :

يَا حُسنَ لَوِن الشَّمس عندَ غُروبِها ... فى روضِ أُنسٍ نُزهةً لِلأنفُسِ

فكأنَّهُ وكأنَّهُ في نَاظِرى ذهبٌ يجُولُ على بِسَاطِ سُندُسِ

وله أيضًا :

تخيلْتُ إنَّ الشمسَ والبحرُ تحتَها وقد بُسِطَتْ منْهـا علَيـه بَوارِقُ
مَليحٌ أتى المرآةَ ينْظُر وجْهَهُ فَفى وجْهِها مِن وجْهِهِ الضوءُ دَافِقُ

وله أيضًا :

يا مَالكَ القلْبِ مِن بينِ المِلاحِ وَإنْ تَوهَّم الغيرُ أنَّ القَلبَ مُشْتركُ
أنى أغارُ على حظى لديك فَغِر أيضًا على قلب صبٌّ فيك مُرتبكُ
وقُل لهم يتَنَهُوا عمًّا تُسَوِّلُه نفوسُ سَومِهُم طُرق الردَى سَلَكُوا
تَوهَّمُوا أنهَم حَلُّوا وقد مَلَكُوا ويعْلَمُ اللهَ مـا حَلُّوا ومَا مَلَكُوا
يا سَيدَ الكلِّ يا قطبَ الجمالِ ومَن فى دَولةِ الحسْنِ يُروى أنـهُ الملكُ
ما كان قَلْبى يَهْوَى الغيرَ يا أمَلى فابعثْ رِميمى إذَا أهلُ الهوَى هَلَكُوا
وأسْقِط البينَ وارفَعْ حُجْبَ شأنكَ لى ليشْتَفِى خاطرٌ بالفكْرِ يَعتَرِكُ
بِلُطْفِ ذَاتِك لا تقْطعْ رَجَاءَ فَتىً على عيُوبٍ له بالعَهْدِ يمتَسِكُ

وله أيضًا :

دَع الدنْيا فلَيس بها سُرورٌ يتمُّ وَلا مِن الأحزانِ تَسلَمْ
ونفْرِضُ أنهُ قد تَم فَرْضًا فَغَمٌّ زواله أمرٌ مُحتَّمْ
فكُنْ فيها غَرِيبًا ثم عبىء إلى دَار البَقا ما فيه تَغْنَمْ
وإنْ لابدَّ مِن لهوٍ فَلهوٌ بِشَيءٍ نَافعٍ واللهُ أعلَمْ

وله غير ذلك من النظم المليح ، والذوق الصحيح ، وللسان الفصيح ، وكان رحمه الله رقيق القلب ، لطيف المزاج ، يتزعج طبعه من غير انزعاج ، يكاد الوهم يؤلمه ، وسماع المنافر يوهنه ويسقمه ، وبآخرة ضعفت قواه ، وتراخت أعضاه ، وزاد شكواه ، ولم يزل يتعلل ، ويزداد أنينه ويتململ ، والأمراض بـه تسلسل ، وداعى المنون عنه لايتحول ، إلى أن توفى يوم الإثنين عاشر ذى القعدة الحرام (١) ، وكان له مشهد حافل جدًا ، ودفن بالصحراء بجوار مدفن الشيخ عبدالله الوهاب العفيفى بالقرب من السلطان قايتباى ، وكثر عليه الأسف والحزن ، وخلف ولده العلامة النحرير ، الشيخ محمد الأمير ، وهو الآن أحد الصدور كوالده ، يقرأ الدروس ، ويفيد الطلبة ، ويحضر الداووين والمجالس العالية ، بارك الله فيه .

(١) ١٠ ذى القعدة ١٢٣٢ هـ / ٢١ سبتمبر ١٨١٧ م .

ومات ، الشيخ الفقيه العَلاَّمة ، الشيخ خليل المدابغى ، لكونه يسكن بحارة المدابغ، حضر دروس الأشياخ من الطبقة الأولى ، وحصّل الفقه والمعقول ، واشتهر فضله مع فقره وانجماعه عن الناس متقشفا متواضعا ، ويكتسب من الكتابة بالأجرة ، ولم يتجمل بالملابس ، ولا بزى الفقهاء ، يظن الجاهل به أنه من جملة العوام ، توفى يوم الإثنين ثامن عشر ذى القعدة من السنة (١) .

ومات ، الشيخ الفقيه الورع ، الشيخ عليّ المعروف بأبى ذكرى البولاقى ، لسكنه ببولاق ، وكان ملازما لإقراء الدروس ببولاق ، ويأتى إلى الجامع الأزهر فى كل يوم ، يقرأ الدروس ، ويفيد الطلبة ، ويرجع إلى بولاق بعد الظهر ، ومات حماره الذى كان يأتى عليه إلى الجامع الأزهر ، فلم يتخلف عن عادته ويأتى ماشيا ، ثم يعود مدة حتى أشفق عليه بعض المشفقين من أهالى بولاق ، واشتروا له حمارا ، ولم يزل على حالته وانكساره ، حتى توفى يوم الخميس ثامن شهر ذى القعدة من السنة(٢) ، رحمه الله وإيانا وجمعنا فى مستقر رحمته آمين .

ومات ، من أكابر الدولة ، المسمى ولى أفندى ، ويقال له ولى خوجا ، وهو كاتب خزينة الباشا ، وأنشأ الدار العظيمة التى بناحية باب اللوق ، وأدخل فيها عدة بيوت ، ودورا جليلة تجاهها وملاصقة لها من الجهتين ، وبعضها مطل على البركة المعروفة ببركة أبى الشوارب ، وتقدم فى أخبار العام الماضى أن الباشا صاهره وزوّج ابنته لبعض أقارب الباشا الخصيصين به ، مثل الذى يقال له شريف أغا وآخر ، وعمل له مهما عظيما احتفل فيه إلى الغاية ، وزفة وشنكا ، كل ذلك وهو متمرض إلى أن مات فى ثانى عشرين ربيع الثانى (٣) ، وضبطت تركته فوجد له كثير من النقود والجواهر والأمتعة وغير ذلك ، فسبحان الحى الذى لايموت .

واستهلت سنة ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف(٤)

واستهل المحرم بيوم الإثنين (٥) ، ووالى مصر وحاكمها الوزير محمد على باشا، وهو المتصرف فيها قبليها وبحريها بل والأقطار الحجازية وضواحيها ، وبيده أزمة الثغور الإسلامية ، ووزيره محمد بيك لاظ المعروف بكتخدا بيك ، وهو قائم مقامه فى حال غيابه وحضوره ، والمتصدر فى ديوان الأحكام الكلية والجزئية ، وفصل

(١) ١٨ القعدة ١٢٣٢ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٨١٧ م . (٢) ١٨ القعدة ١٢٣٢ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٨١٧ م .
(٣) ٢٢ ربيع الثانى ١٢٣٢ هـ / ١٠ مارس ١٨١٧ م .
(٤) ١٢٣٣ هـ / ١١ نوفمبر ١٨١٧ - ٣٠ أكتوبر ١٨١٨ م .
(٥) ١ محرم ١٢٣٣ هـ / ١١ نوفمبر ١٨١٧ م .

الخصومات ومباشرة الأحوال نافذ الكلمة وافر الحرمة ، وأغات الباب إبراهيم أغا ، ومتولى أيضًا أمر تعديل الأصناف ، ليوفر على الخزينة ما يأكله المتولى على كل صنف ، ويخفى أمره فيشدد الفحص فى المكيل والموزون والمذروع حتى يستخرج المخبأ ولو قليلا ، فيجتمع من القليل الكثير من الأموال ، فيحاسب المتولى مدة ولايته ، فيجتمع له ما لا قدرة له على وفاء بعضه ، لأن ذلك شىء قد استهلك فى عدة أيدى أشخاص وأتباع ، ويلزم الكبير بأدائه ، ويقاسى ما يقاسيه من الحبس وسلب النعمة ومكابدة الأهوال ، وسلحدار الباشا سليمان أغا عوضا عن صالح بيك السلحدار لاستعفائه عنها فى العام السابق ، وهو المسلط على أخذ الأماكن وهدمها وبنائها خانات ورباعا وحوانيت ، فيأتى إلى الجهة التى يختار البناء فيها ، ويشرع فى هدمها ، ويأتيه أربابها فيعطيهم أثمانها كما هى فى حججهم القديمة ، وهو شىء نادر بالنسبة لغلو أثمان العقارات فى هذا الوقت ، لعموم التخرب وكثرة العالم ، وغلاء المؤن ، وضيق المساكن بأهلها حتى أنّ المكان الذى كان يؤجر بالقليل صار يؤجر بعشرة أمثال الأجرة القديمة ، ونحو ذلك ، ومحمود بيك الخازندار ، وخدمته قبض أموال البلاد والأطيان والرزق وما يتعلق بذلك من الدعاوى والشكاوى ، وديوانه بخط سويقة اللالا ، والمعلم غالى كاتب سر الباشا ، ورئيس الأقباط ، وكذلك الدفتردار محمد بيك صهر الباشا ، وحاكم الجهة القبلية ، والروزنامجى مصطفى أفندى ، وأغا مستحفظان حسن أغا البهلوان ، والزعيم على أغا الشعراوى ، ومصطفى أغا كرد المحتسب ، وقد بردت همته عما كان عليه ، ورجع الحال فى قلة الأدهان كالأول ، وازدحم الناس على معمل الشمع فلا يحصل الطالب منه شيئًا إلا بشق الأنفس ، وكذلك انعدم وجود بيض الدجاج لعدم المجلوب ، ووقوف العسكر ورصدهم من يكون معه شىء منه من الفلاحين الداخلين إلى المدينة من القرى ، فيأخذونه منهم بدون القيمة حتى بيعت البيضة الواحدة بنصفين ، وأما المعاملة فلم يزل أمرها فى إضطراب بالزيادة والنقص ، وتكرار المناداة كل قليل ، وصرف الريال الفرانسة إلى أربعمائة نصف فضة ، والمحبوب إلى أربعمائة وثمانين ، والبندقى إلى تسعمائة نصف ، والمجر إلى ثمانمائة نصف ، وأما هذه الأصناف العددية التى تذكر فيها أسماء لا وجود لمسمياتها فى الأيدى .

وفى ثانى عشره [1] ، سافر الباشا إلى جهة الإسكندرية لمحاسبة الشركاء والنظر فى بيع الغلال والمتاجر والمراسلات .

---

(1) ١٢ محرم ١٢٣٣ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٨١٧ م .

وفى تاسع عشره [1] ، ارتحلت عساكر أتراك ومغاربة مجردة إلى الحجاز .

واستهل شهر صفر بيوم الأربعاء سنة ١٢٣٣ [2]

فى ثالث عشره [3] ، وصل الكثير من حجاج المغاربة .

وفى يوم الجمعة سابع عشره [4] ، وصل جاويش الحاج ، وفى ذلك اليوم وقت العصر ، ضربوا عدة مدافع من القلعة لبشارة وصلت من إبراهيم باشا ، بأنه حصلت له نصرة وملك بلدة من بلاد الوهابية ، وقبض على أميرها ، ويسمى عتيبة ، وهو طاعن فى السن .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه [5] ، وصل ركب الحاج المصرى والمحمل وأمير الحاج من الدلاة .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الجمعة سنة ١٢٣٣ [6]

وصل قابجى من دار السلطنة ، فعملوا له موكبا وطلع إلى القلعة ، وضربوا له شنكا سبعة أيام ، وهى مدافع تضرب فى كل وقت من الأوقات الخمسة .

وفى هذا الشهر [7] ، انعدم وجود القناديل الزجاج وبيع القنديل الواحد الذى كان ثمنه خمسة أنصاف بستين نصفا إذا وجد .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت سنة ١٢٣٣ [8]

ووافقه أيضًا أول أمشير القبطى [9] .

وفى منتصفه [10] ، سافر أولاد سلطان الغرب والكثير من حجاج المغاربة ، وكانوا فى غاية الكثرة بحيث ازدحمت منهم أسواق المدينة وبولاق وما بينهما من جميع الطرق ، فكانوا يشترون الأغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعونها على الناس

---

(١) ١٩ محرم ١٢٣٣ هـ / ٢٩ نوفمبر ١٨١٧ م .
(٢) صفر ١٢٣٣ هـ / ١١ ديسمبر ١٨١٧ - ٨ يناير ١٨١٨ م .
(٣) ١٣ صفر ١٢٣٣ هـ / ٢٣ ديسمبر ١٨١٧ م . (٤) ١٧ صفر ١٢٣٣ هـ / ٢٧ ديسمبر ١٨١٧ م .
(٥) ٢١ صفر ١٢٣٣ هـ / ٣١ ديسمبر ١٨١٧ م . (٦) ربيع الأول ١٢٣٣ هـ / ٩ يناير - ٧ فبراير ١٨١٨ م .
(٧) ربيع الأول ١٢٣٣ هـ / ٩ يناير - ٧ فبراير ١٨١٨ م .
(٨) ربيع الثانى ١٢٣٣ هـ ٨ فبراير - ٨ مارس ١٨١٨ م . (٩) ١ ربيع الثانى ١٢٣٣ هـ / ٨ فبراير ١٨١٨ م .
(١٠) ١٥ ربيع الثانى ١٢٣٣ هـ / ٢٢ فبراير ١٨١٨ م .

جزافا من غير وزن ، بعد أن يتركوا لأنفسهم مقدار حاجتهم ، فذهب الكثير للشراء منهم ، بسبب رداءة اللحم الموجود بحوانيت الجزارين ، ولو وقف عليهم بالثمن الزائد .

وفى أواخره [١] ، حضر مبشر من ناحية الديار الحجازية يخبر بنصرة حصلت لإبراهيم باشا ، وأنه استولى على بلدة تسمى الشقراء [٢] ، وأن عبدالله بن مسعود كان بها ، فخرج منها هاربا إلى الدرعية ليلا ، وأن بين عسكر الأتراك والدرعيين مسافة يومين، فلما وصل المبشر ضربوا لقدومه مدافع من أبراج القلعة ، وذلك وقت الغروب من يوم الأربعاء سادس عشرينه [٣] .

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد سنة ١٢٣٣ [٤]

فيه [٥] ، نودى على طائفة المخالفين للملة من الأقباط والأروام بأن يلزموا زيهم من الأزرق والأسود ولايلبسون العمائم البيض ، لأنهم خرجوا عن الحد فى كل شيء ، ويتعممون بالشيلان الكشميرى الملونة والغالية فى الثمن ، ويركبون الرهوانات والبغال والخيول ، وأمامهم وخلفهم الخدم بأيديهم العصى ، يطردون الناس عن طريقهم ، ولايظن الرائى لهم إلا أنهم من أعيان الدولة ، ويلبسون الأسلحة ، وتخرج الطائفة منهم إلى الخلاء ، ويعملون لهم نشانا يضربون عليه بالبنادق الرصاص وغير ذلك ، فما أحسن هذا النهى لو دام .

وفى يوم السبت حادى عشرينه [٦] ، حضر الباشا من غيبته بالإسكندرية أواخر النهار ، فضربوا لقدومه مدافع ، فبات بقصر شبرا ، وطلع فى صبحها إلى القلعة ، فضربوا بها مدافع أيضًا ، فكان مدة غيبته بالإسكندرية أربعة أشهر وتسعة أيام .

وفى أواخره [٧] ، وصل هجان من شرق الحجاز ببشارة بأن إبراهيم باشا استولى على بلد كبير من بلاد الوهابية ، ولم يبق بينه وبين الدرعية إلا ثمان عشرة ساعة ، فضربوا شنكا ومدافع .

---

(١) ١٠ ربيع الثانى ١٢٣٣ هـ/ ١٧ فبراير ١٨١٨ م .

(٢) الشقراء : قاعدة إقليم الوشم ، بلدة ذات إمارة من إمارات منطقة الرياض
الجاسر ، حمد : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٨٠٣ - ٨٠٤ .

(٣) ٢٦ ربيع الثانى ١٢٣٣ هـ / ٤ مارس ١٨١٨ م .

(٤) جمادى الأولى ١٢٣٣ هـ / ٩ مارس - ٧ ابريل ١٨١٨ م .

(٥) ١ جمادى الأولى ١٢٣٣ هـ / ٩ مارس ١٨١٨ م .

(٦) ٢١ جمادى الأولى ١٢٣٣ هـ / ٢٩ مارس ١٨١٨ م .

(٧) اخر جمادى الأولى ١٢٣٣ هـ / ٧ ابريل ١٨١٨ م .

وفيه [1] ، وصل هجان من حسن باشا الذى بجدة بمراسلة يخبر فيها بعصيان الشريف حمود بناحية يمن الحجاز ، وأنه حاصر من بتلك النواحى من العساكر وقتلهم ، ولم ينج منهم إلا القليل ، وهو من فر على جرائد الخيل .

ووقع فيه أيضًا [2] ، الاهتمام فى تجريد عساكر للسفر وأرسل الباشا بطلب خليل باشا للحضور من ناحية بحرى ، هو وخلافه ، وحصل الأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر ، فقرئ يومين ، وفرق على مجاورى الأزهر عشرة أكياس ، وكذلك فرقت دراهم على أولاد المكاتب .

واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٣ [3]

فى منتصفه ليلة الثلاثاء [4] ، حصل خسوف للقمر فى سادس ساعة من الليل ، وكان المنخسف منه مقدار النصف ، وحصل الأمر أيضًا بقراءة صحيح البخارى بالأزهر .

وفيه [5] ، ورد الخبر بموت الشريف حمود وأنه أصيب بجراحة ومات بها .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه [6] ، حصل كسوف للشمس فى ثالث ساعة من النهار ، وكان المنكسف منها مقدار الثلث .

وفى ذلك اليوم [7] ، ضربت مدافع لوصول بشارة من إبراهيم باشا بأنه ملك جانبا من الدرعية ، وأنَّ الوهابية محصورون ، وهو ومن معه من العربان محيطون بهم .

واستهل شهر شعبان سنة ١٢٣٣ [8]

فيه ، حضر خليل باشا وحسين بيك دالى باشا من الجهة البحرية ونزلوا بدورهم .

---

(١) آخر جمادى الأولى ١٢٣٣ هـ / ٧ أبريل ١٨١٨ م .
(٢) آخر جمادى الأولى ١٢٣٣ هـ / ٧ أبريل ١٨١٨ م .
(٣) جمادى الثانية ١٢٣٣ هـ / ٨ أبريل – ٦ مايو ١٨١٨ م .
(٤) ١٥ جمادى الثانية ١٢٣٣ هـ / ٢٢ أبريل ١٨١٨ م .
(٥) ١٥ جمادى الثانية ١٢٣٣ هـ / ٢٢ أبريل ١٨١٨ م .
(٦) ٢٩ جمادى الثانية ١٢٣٣ هـ / ٦ مايو ١٨١٨ م .
(٧) ٢٩ جمادى الثانية ١٢٣٣ هـ / ٦ مايو ١٨١٨ م .
(٨) شعبان ١٢٣٣ هـ / ٦ يونيه – ٤ يوليه ١٨١٨ م .

واستهل شهر رمضان بيوم الأحد سنة ١٢٣٣ [١]

فى منتصفه [٢] ، وصل نجاب وأخبر بأن إبراهيم باشا ركب إلى جهة من نواحى الدرعية لأمر يبتغيه وترك عرضيه ، فاغتنم الوهابية غيابه ، وكبسوا على العرضى على حين غفلة ، وقتلوا من العساكر عدة وافرة ، وأحرقوا الجبخانة ، فعند ذلك قوى الاهتمام ، وارتحل جملة من العساكر فى دفعات ثلاث برا وبحرا يتلو بعضهم بعضا فى شعبان ورمضان [٣] ، وبرز عرضى خليل باشا إلى خارج باب النصر ، وترددوا فى الخروج والدخول ، واستباحوا الفطر فى رمضان بحجة السفر ، فيجلس الكثير منهم بالأسواق ، يأكلون ويشربون ويمرون بالشوارع ، وبأيديهم أقصاب للدخان والتتن من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم ، وفى اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الإسلام، وانقضى شهر الصوم [٤] ، والباشا متكدر الخاطر ومتقلق ومنتظر ورود خبر يُسَرُّ بسماعه .

واستهل شهر شوال بيوم الإثنين سنة ١٢٣٣ [٥]

وكان هلاله عسر الرؤية جداً ، فحضر جماعة من الأتراك إلى المحكمة ، وشهدوا برؤيته .

وفى ذلك اليوم [٦] ، الموافق لثامن عشرى شهر أبيب القبطى ، أوفى النيل أذرعه فأخروا فتح سد الخليج ثلاثة أيام العيد ، ونودى بالوفاء يوم الأربعاء [٧] ، وحصل الجمع يوم الخميس رابعه [٨] ، وحضر فتح الخليج كتخدا بيك والقاضى ، ومن له عادة بالحضور ، فكان جمعا وازدحاما عظيما من أخلاط العالم فى جهة السد والروضة تلك الليلة واشتعلت النار فى الحريقة ، واحترق فيها أشخاص ، ومات بعضهم .

وفي سادسه يوم السبت [٩] ، خرج خليل باشا المعين إلى السفر فى موكب ، وشق من وسط المدينة ، وخرج من باب النصر ، وعطف على باب الفتوح ، ورجع إلى داره فى قلة من أتباعه فى طريقه التى خرج منها .

---

(١) رمضان ١٢٣٣ هـ / ٥ يوليه - ٣ أغسطس ١٨١٨ م .

(٢) ١٥ رمضان ١٢٣٣ هـ / ١٩ يوليه ١٨١٨ م .

(٣) شعبان ورمضان ١٢٣٣ هـ / ٦ يونيه - ٣ أغسطس ١٨١٨ م .

(٤) رمضان ١٢٣٣ هـ / ٥ يوليه - ٣ أغسطس ١٨١٨ م .

(٥) شوال ١٢٣٣ هـ / ٤ أغسطس - ١ سبتمبر ١٨١٨ م .

(٦) ١ شوال ١٢٣٣ هـ / ٤ أغسطس ١٨١٨ م .

(٧) ٣ شوال ١٢٣٣ هـ / ٦ أغسطس [illegible]

(٨) ٤ شوال ١٢٣٣ هـ / ٧ أغسطس ١٨١٨ م .

(٩) ٦ شوال ١٢٣٣ هـ / ٩ أغسطس [illegible]

وفيه [1] ، انتدب مصطفى أغا المحتسب ، ونادى فى المدينة ، ويأمر الناس بقطع أراضى الطرقات ، والأزقة حتى العطف والحارات الغير النافذة ، فأخذ أرباب الحوانيت والبيوت يعملون بأنفسهم فى قطع الأرض ، والحفر ونقل الأتربة ، وحملها من خوفهم من أذيته ، ولعدم الفعلة والأجراء ، واشتغال حمير الترابين باستعمالهم فى عمائر أهل الدولة ، فلو كان هذا الاهتمام فى قطع أرض الخليج الذى يجرى به الماء ، فإنه لم تقطع أرضه ، وينقطع جريانه فى أيام قليلة لعلو أرضه من الطمى ، ومما يتهدم عليه من الدور القديمة ، وما يلقيه السكان فيه من الأتربة ، وزاد على ذلك بهذه الفعلة القاء ما يحفرونه ، وينلقونه من أتربة الأزقة والبيوت القديمة القريبة منه فيه ليلا ونهاراً .

وفى ثامنه [2] ، ارتحل خليل باشا مسافرا إلى الحجاز من القلزم وعساكره الخيالة على طريق البر .

وفى يوم السبت ثالث عشره [3] ، نزلوا بكسوة الكعبة إلى المشهد الحسينى على العادة .

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه [4] ، عمل الموكب لأمير الحاج وهو حسين بيك دالى باشا ، وخرج بالمحمل خارج باب النصر تجاه الهمايل ، ثم انتقل فى يوم الأربعاء [5] إلى البركة ، وارتحل منها يوم الإثنين تاسع عشرينه [6] ، وسافر الكثير من الحجاج وأكثر فلاحى القرى والصعايدة ، ومن باقى الأجناس مثل : المغاربة ، والقرمان ، والأتراك أنفار قليلة .

وفى ذلك اليوم [7] ، وصل قابجى ، وعلى يده تقرير لحضرة الباشا على السنة الجديدة ، وطلع إلى القلعة فى موكب ، وقرئ التقرير بحضرة الجمع ، وضربت مدافع كثيرة ، وكذلك وصل قبله قابجى صحبته فرمان بشارة بمولود ولد لحضرة السلطان ، فعمل له شنك ومدافع ثلاثة أيام فى الأوقات الخمسة وذلك فى منتصفه [8] .

---

(1) ٦ شوال ١٢٣٣ هـ / ٩ اغسطس ١٨١٨ م .
(2) ٨ شوال ١٢٣٣ هـ / ١١ اغسطس ١٨١٨ م .
(3) ١٣ شوال ١٢٣٣ هـ / ١٦ اغسطس ١٨١٨ م .
(4) ٢٢ شوال ١٢٣٣ هـ / ٢٥ اغسطس ١٨١٨ م .
(5) ٢٤ شوال ١٢٣٣ هـ / ٢٧ اغسطس ١٨١٨ م .
(6) ٢٩ شوال ١٢٣٣ هـ / ١ سبتمبر ١٨١٨ م .
(7) ٢٩ شوال ١٢٣٣ هـ / ١ سبتمبر ١٨١٨ م .
(8) ١٥ شوال ١٢٣٣ هـ / ١٨ اغسطس ١٨١٨ م .

واستهل شهر ذى القعدة بيوم الأربعاء سنة ١٢٣٣ (١)

وانقضى (٢) ، والباشا منفعل الخاطر لتأخر الأخبار وطول الانتظار ، وكل قليل يأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر ، ويفرق على صغار المكاتب والفقراء دراهم ، ولضيق صدره ، واشتغال فكره ، لايستقر بمكان ، فيقيم بالقلعة قليلا ، ثم ينتقل إلى قصر شبرا ، ثم إلى الآثار ، ثم الأزبكية ، ثم الجيزة ، وهكذا .

واستهل شهر ذى الحجة الحرام بيوم الجمعة سنة ١٢٣٣ (٣)

فى سابعه (٤) ، وردت بشائر من شرق الحجاز بمراسلة من عثمان أغا الوردانى أمير الينبع بأن إبراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية ، فانسر الباشا لهذا الخبر سرورا عظيما ، وانجلى عنه الضجر والقلق وأنعم على المبشر ، وعند ذلك ضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية ، وانتشر المبشرون على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش .

وفى ثانى عشره (٥) ، وصل المرسوم بمكاتبات من السويس والينبع ، وذلك قبيل العصر ، فأكثروا من ضرب المدافع من كل جهة ، واستمر الضرب من العصر إلى المغرب ، بحيث ضرب بالقلعة خاصة ألف مدفع ، وصادف ذلك شنك أيام العيد ، وعند ذلك أمر بعمل مهرجان وزينة داخل المدينة وخارجها وبولاق ومصر القديمة والجيزة ، وشنك على بحر النيل تجاه الترسخانة ببولاق من النجارين والخراطين ، والحدادين ، وتقيد لذلك أمين أفندى المعمار ، وشرعوا فى العمل ، وحضر كشاف النواحى والأقاليم بعساكرهم ، وأخرجوا الخيام والصواوين والوطاقات خارج باب النصر ، وباب الفتوح ، وذلك يوم الثلاثاء سادس عشرينه (٦) ، ونودى بالزينة وأولها الأربعاء (٧) ، فشرع الناس فى زينة الحوانيت والخانات وأبواب الدور ووقود القناديل والسهر ، وأظهروا الفرح والملاعيب ، كل ذلك مع ما الناس فيه من ضيق الحال ، والكد فى تحصيل أسباب المعاش ، وعدم ما يسرجون به من الزيت والشيرج والزيت الحار ، وكذا السمن فإنه شح وجوده ، ولايوجد منه إلا القليل عند بعض الزياتين ، ولايبيع الزيات زيادة عن الأوقية ، وكذلك اللحم لايوجد منه إلا ما كان فى غاية

---

(١) ذى القعدة ١٢٣٣ هـ / ٢ سبتمبر - ١ أكتوبر ١٨١٨ م .

(٢) ذى القعدة ١٢٣٣ هـ / ٢ سبتمبر - ١ أكتوبر ١٨١٨ م .

(٣) ذى الحجة ١٢٣٣هـ / ٢ أكتوبر - ٣٠ أكتوبر ١٨١٨ م .

(٤) ٧ ذى الحجة ١٢٣٣ هـ / ٨ أكتوبر ١٨١٨ م .

(٥) ١٢ ذى الحجة ١٢٣٣ هـ / ١٣ أكتوبر ١٨١٨ م .

(٦) ٢٦ ذى الحجة ١٢٣٣ هـ / ٢٧ أكتوبر ١٨١٨ م .

(٧) ٢٧ ذى الحجة ١٢٣٣ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٨١٨ م .

الرداءة من لحم النعاج الهزيل ، وامتنع أيضًا وجود القمح بالساحل وعرصات الغلة ، حتى الخبز امتنع وجوده بالأسواق ، ولما أنهى الأمر إلى من لهم ولاية الأمر ، فأخرجوا من شون الباشا مقدارا ليباع فى الرقع ، وقد أكلها السوس ، ولايباع منها أزيد من الكيلة أكثرها مسوّس ، وكذلك لما شكا الناس من عدم ما يسرج به فى القناديل أطلقوا للزياتين مقدارا من الشيرج فى كل يوم يباع فى الناس ، لوقود الزينة ، وفى كل يوم يطوف المنادى ويكرر المناداة بالشوارع على الناس بالسهر والوقود والزينة ، وعدم غلق الحوانيت ليلا ونهارا ،وانقضى العادم بحوادثه ومعظمها مستمر .

فمنها : وهو أعظمها شدة الأذية والضيق وخصوصا بذوى البيوت والمساتير من الناس ، بسبب قطع إيرادهم وأرزاقهم من الفائظ والجامكية السائرة والرزق الأحباسية ، وضبط الأنوال التى تقدم ذكرها ، وكان يتعيش منها ألوف من العالم ، ولما اشتد الضنك بالملتزمين ، وتكرر عرضحالهم ، فأمر لهم بصرف الثلث ، وتحول المصرفجى على بعض الجهات ، فكان كلما اجتمع لديه قدر يلحقه الطلب بحوالة من لوازم عساكر السفر المجردين ، وانقضى العام وأكثر الناس لم يحصل على شيء ، وذلك لكثرة المصاريف والإرساليات من الذخائر والغلال والمؤن ، وخزائن المال من أصناف خصوص الريال الفرانسة ، والذهب البندقى ، والمحبوب الإسلامى بالأحمال ، وهى الأصناف الرائجة بتلك النواحى ، وأما القروش فلا رواج لها إلا بمصر وضواحيها فقط ، أخبرنى أحد أعيان كتاب الخزينة عن أجرة حمل الذخيرة على جمال العرب خاصة فى مرة من المرات خمسة وأربعين ألف فرانسة ، وذلك من الينبع إلى المدينة ، حسابا عن أجرة كل بعير ستة فرانسة يدفع نصفها أمير الينبع ، والنصف الأخير يدفعه أمير المدينة عند وصول ذلك ، ثم من المدينة إلى الدرعية ما يبلغ المائة والأربعين ألف فرانسة ، وهو شيء مستمر التكرار والبعوث ويحتاج إلى كنوز قارون وهامان ، وإكسير جابر بن حيان .

ومنها : العمارة التى أمر بإنشائها الباشا المشار إليه بين السورين وحارة النصارى ، المعروفة بخميس العدس ، المتوصل منها إلى جهة الخرنفش ، وذلك بإشارة أكابر نصارى الإفرنج ، ليجتمع بها أرباب الصنائع الواصلون من بلاد الإفرنج وغيرهم ، وهى عمارة عظيمة ابتدءوا فيها من العام الماضى ، واستمروا مدة فى صناعة الآلات الأصولية التى يصطنع بها اللوازم مثل : السندالات ، والمخارط للحديد، والقواديم ، والمناشير ، والتزجات ونحو ذلك ، وأفردوا لكل حرفة وصناعة

مكـانا وصناعـا ، يحتوى المكان على الأنـوال والدواليب والآلات الـغريبة الـوضع التركيب ، لصناعة القطن ، وأنواع الحرير ، والأقمشة والمقصبات .

وفى أواخر هذا العام : جمعوا مشايخ الحارات وألزموهم بجمع أربعة آلاف غلام من أولاد البلـد ، ليشتغلـوا تحت أيدى الصناع ، ويتـعلموا ويأخذوا أجـرة يومية ، ويرجعـوا لأهاليهم أواخر الـنهار ، فمنـهم من يكون لـه القرش والقرشان والـثلاثة بحسب الصناعة وما يناسبها ، وربما احتيج إلى نحو العشرة آلاف غلام بعد إتمامها ، والمحتاج إليـه فى هذا الوقت القـدر المذكور ، وهى كرخانـة عظيمة ، صرف عـليها مقادير عظيمة من الأموال .

ومنها : أنه ظهر بأراضى الأرز بالبحر الشـرقى بناحية دمياط ، حيوان يخرج من البحر الشرقى فى قدر الجاموس العظيم ، ولونه ، فيرعى الفدان من الزرع ، ثم يتقايأ أكثره ، وكـان ظهوره من الـعام الماضى ، فـيجتمـع عليه الـكثير مـن أهل الناحـية ويرجمونه بالحجـارة ، ويضربون عليه ببنادق الرصاص فلا تـؤثر فى جلده ، ويهرب إلى البحـر ، واتفق أنَّه ابتلع رجـلا إلى أن أصـيب فـى عينه وسـقط ، وتكاثروا عليه وقتـلوه وسلخوا جلده ، وحشوه تبـنا وأتوا به إلى بولاق ، وتفرج علـيه الباشا والناس ، وأخـبرنى غير واحد ممـن رآه أنه أعظم من الجامـوس الكبير - طولـه ثلاثة عشر قدما - ولونه لونه وجلده أملس ، ورأسـه عظيم يشبه رأس ابن عرس ، وعيناه فى أعلى دماغه ، وواسع الفم ، وذنبه مثـل ذنب السمك ، وأرجله غلاظ مثل أرجل الفيل فى أواخرهـا أربع ظلوف طوال ، وأسفلها كخف الجمـل ، وأدخلوه إلى بيت الإفرنج ، وأنعم به الباشـا على بغوص الترجمان الأرمنى ، وهو يـبيعه على الإفرنج بثمن كبير .

ومنها : أن امرأة يقال لها الشيخة رقية تتزر بمئزر أبيض ، وبيدها خيزرانة وسبحة تطوف على بـيوت الأعيان ، وتقرأ وتصلـى ، وتذكر على السبحـة ، ونساء الأكابر يعتقدن فيها الصلاح ، ويسألن منهـا الدعاء ، وكذلك الرجال حتى بعض الفقهاء ، وتجتمع على الشيخ العالم المعتقد الشيـخ تعيلب الضرير، ويكثر من مدحها للناس ، فيزدادون فيها اعتقـادا ، ولها بمنزل خليل بيك طوقان النابلسـى مكان مفرد تأوى إليه على حدتها ، وإذا دخلت بيتا من البيوت ، قام إليها الخدم واستقبلوها يقولهم نهارنا سعيد ومـبارك ونحو ذلك ، وإذا دخلـت على الستات قمـن إليها وفرحن بـقدومها وقبلن يدهـا ، وتبيت معهن ومع الجوارى ، فـذهبت يوما إلى دار الشيخ عبد العليم

الفيـومى ، وذلك فى شـهر شوّال [1] ، فتمرضـت أياما وماتت ، فضجـوا وتأسفوا عليها ، وأحبـوا تغيير ما عليها من الـثياب ، فرأوا شيئًا معجرما بين أفـخاذها فظنوه صرة دراهم ، وإذا هو آلة الرجال الخصيتان والذى فوقـهما ، فبهت النسـاء وتعجبن ، وأخبروا الشيخ تعيلب بذلك فقال : « أستروا هذا الأمر ، وغسلوه وكفنوه وواروه فى التراب » ، ووجدوا فى جيـبه مرآة وموسى وملقاط ، وشاع أمره واشتـهر ، وتناقله الناس بالتحدث والتعجب .

ومنها : زيادة النيل فـى هذا العام الزيادة المفرطة التى لم نسمـع ولم نر مثلها ، حتى غـرّق الزروع الصيفـية مثل الذرة والـنيلة والـسمسم والقصـب والأرز ، وأكثر الجنائن ، بحـيث صار البحر وسواحله والمـلق لجة ماء ، وانهدم بسببـه قرى كثيرة ، وغرق الكثير مـن الناس والحيوان ، حتى كان الماء ينبع بـين الناس من وسط الدور ، واختلـط بحـر الجيزة بـبحر مصر العـتيقة ، حتى كـانت المراكب تمشى فـوق جزيرة الروضة ، وكثر عويل الفلاحين وصراخهم على ما غرق لهم من المزارع ، وخصوصا الذرة الذى هو معظم قوتهم ، وكثير من أهل البلاد ندبوا بالدفوف .

ومنها : أن الباشا زاد فى هذه السنـة الخراج ، وجعل على كل فدان ستة قروش وسبـعة وثمانـية ، وذكر أنـها مساعـدة على حـروب الحجاز ، والخوارج ، فـدهى الفلاحون بهاتين الداهيتين ، وهـى زيادة النيل ، وزيادة الخراج فى غير وقت وأوان ، فإن من عادة الفلاحـين وأهل القرى إذا انقضت أيام الحصاد والـدراوى ، وشطبوا ما عليهم من مال الخراج لملتزميهم ، ويكـون ذلك فى مبادى زيادة النيل ، وارتفع عنهم الطلب ، وارتحلت كشـاف النواحى وقائمقام الملتزمين والصيـارف والمعينون ، وخلت النواحى منهم ، فعند ذلك ترتاح نفوسهم ، وتجتمع حواسهم ، ويعملون أعراسهم ، ويجددون ملبوسـهم ، ويزوّجون بناتهم ، ويختـنون صبيانهم ، ويشيدون بـنيانهم ، ويصلـحون جسورهم وحبـوسهم ، فإذا أخذ النـيل فى الزيادة ، شرعـوا فى زراعة الصيفى الذى هو معظم قوتهم وكسـبهم ، حتى إذا انحسر الماء وانكشفت الأرضى ، وآن أوان التخـضير وزراعة الشتـوى من البرسيم والـغلة ، وجدوا ما يسـدون به مال التجهيـة ، وما يرقعون به أحوالهم مـن بهائم الحرث ومحاريث وتـقاوى وأجر عمال ونحو ذلك ، فدهـموا هذه السنة بهاتين الآفـتين الأرضية والسماوية ، ورحـل الكثير عن أهله ووطنه ، وكان ابتداء طلب هذه الزيادة قبل زيادة النيل ومجئ خبر النصرة ، فلما ورد خبر النصرة لم يرتفع ذلك .

---

(1) شوال ١٢٣٣ هـ / ٤ اغسطس - ١ سبتمبر ١٨١٨ م .

ومنهـا : الاضطراب فى المـعاملة بـالزيادة والنقـص ، والمناداة علـيها كل قـليل والتـنكيل والترك ، وبـلغ صرف البنـدقى ثمانمائـة وثمانين نصـفا فضة ، والفـرانسة أربعمائة نصف وعشرة ، والمحبوب أربعمائة وأربعين وهو المصرى ، وأما الإسلامبولى فيزيد أربعين ، والمجر ثمانمائة نصف ، وأمـا هذه الأنصاف وهى الفضة العددية فهى أسماء من غير مسميـات لمنعها واحتكارها ، فلا يوجد منها فى المـعاملة بأيدى الناس إلا النادر جدا ، ولايـوجد بالأيدى فى محقـرات الأشياء وغيرها إلا المجزأ بـالخمسة والعشرة والعشريـن ، وتصرف من اليهود والصيارف بالفـرط والنقص ، ومن حصل بيده شىء من الأنصاف عض عليه بالنواجد ولايسمح بإخراج شىء منها إلا عند شدة الاضطرار اللازم .

ومنهـا : أن السيد محـمد المحروقى أنشأ بـبركة الرطلـى دارا وبستانا فـى محل الأماكن التى تخربت فى الحوادث ، وذلك أنه لما طـرقت الفرنساوية الديار المصرية ، واختل النظام ، وجلا أكثر الناس عن أوطانهم ، وخصوصا سكان الأطراف ، فبقيت دور البركة خـالية من السكـان ، وكان بها عدة من الديـار الجليلة ، منـها دار حسن كتخدا الشعراوى ، وتابعه عمر جاويش ، وداره على سمته أيضًا ، ودار على كتخدا الخربطلى ، ودار قـاضى البهار ، ودار سليمان أغـا ، ودار الحموى ، وخلاف ذلك دور كانت جاريـة فى وقف عثمان كتخـدا القازدغلى وغيره ، وهذه الـدور هى التى أدركناها بل وسكنا بها عدة سنين ، وكانت فى الزمن الأول عدة دور مختصرة يسكنها أهل الرفاهية من أهالى البلدة ، وكان بها بيت الـبكرية القديم بالناحية الجنوبية ، تجاه زاوية جدهم الشـيخ جلال الدين البكرى ، وكان الـناس يرغبون فى سكنـاها لطيب هواهـا ، وانكشاف الـريح البحـرى بها ، وليـس فى تجاههـا من البر الآخـر سوى الأشجـار والمزارع ، ويعبـرها المراكب والـسفائن والـقنج فـى أيام النيـل بالمتفـرجين والمتنزهـين ، وأهـل الخـلاعة بمزامرهم ومغانيهم ، ولصدى أصـواتهم المطربة طرب آخر ، فلمـا انقشع عنها الـسكان تداعت الدور إلى الخـراب ، وبقيت مسكنـا للبوم والغراب مدة إقامة الفرنساوية ، فلمـا حضر يوسف باشا الوزير المرة الأولى ، وذلك سنة أربع عشرة ومائتين وألف [1] ، وانتقض الصلح بينه وبين الفرنساوية ، وحصلت المفاقـمة ، ووقعت الحروب داخـل البلدة ، واحتـاطت الفرنسـاوية بجهات الـبلد ، وجرى ما تقدم ذكره فى الحوادث السابقة ، وكان طائفة من الفرنساوية أتوا إلى ناحية هذه البركة ، وملكـوا التل المعروف بتل أبو الريش ، وأخذوا يرمون بـالمدافع والقنابر

---

(1) ١٢١٤ هـ/ ٥ يونيه ١٧٩٩ - ٢٥ مايو ١٨٠٠ م .

على أهل باب الشعرية ، وتلك النواحى ، فما انجلت الحروب حتى خربت بيوت البركة ، وما كان بتلك النواحى من الدور التى بظاهرها ، وبقيت كيمانا ، فخسن ببال السيد المذكور أن يجعل له سكنا هناك ، فاحتكر أراضى تلك المساكن من أربابها من مدة سابقة ، ثم تكاسل عن ذلك ، واشتغل بتوسعة دار سكنه التى بخطة الفحامين ، محل دكة الحسبة القديمة ، حتى أتمها على الوضع الذى قصده ، ثم شرع فى السنة الماضية ، فى إنشاء سكن لخصوص نزاهته ، فشرع فى تنظيف الأتربة وإصلاح الأرض ، وأنشأ دارا متسعة وقيعانا وفسحات ، وهى مفروشة بالرخام وحولها بستان ، وغرس به أنواع الأشجار ودوالى الكروم ، وهى بمكان حسن كتجدا ، وما كان على سمته من الدور نحو الثلاثين ، وأنشأ كاتبه السيد عمر الحسينى دارا عظيمة لخصوصه أخذ فيها باقى أراضى الأماكن ، وزخرفها وانتقل إليها بأهله وعياله ، وجعلها دارا لسكناه صيفا وشتاء ، وبنيا خارج ظاهرها حائطا يكون لدورهما سورا ، وعملا بها بوابة تفتح وتقفل ، وكان بجوار ذلك جامع متخرب يسمى جامع الحريشى ، فعمره أيضًا السيد محمد المحروقى ، وأقام حوائطه وأعمدته وسقفه وبيضه ، وأقام الخطبة آخر جمعة فى شهر المحرم [1] .

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر [2]

فمات ، شيخ الإسلام ، وعمدة الأنام ، الفقيه العلامة ، والنحرير الفهامة ، الشيخ محمد الشنوانى نسبة إلى شنوان الغرق [3] ، الشافعى الأزهرى ، شيخ الجامع الأزهر ، من أهل الطبقة الثانية ، الفقيه النحوى المعقولى ، حضر الأشياخ أجلهم الشيخ فارس ، وكالصعيدى ، والدردير ، والفرماوى ، وتفقه على الشيخ عيسى البراوى ، ولازم دروسه وبه تخرج ، وأقرأ الدروس ، وأفاد الطلبة بالجامع المعروف بالفاكهانى بالقرب من دار سكناه بخشقدم ، مهذب النفس مع التواضع ، والانكسار والبشاشة لكل أحد من الناس ، ويشمر ثيابه ويخدم بنفسه ، ويكنس الجامع ، ويسرج القناديل ، ولما توفى الشيخ عبدالله الشرقاوى اختاروه للمشيخة ، فامتنع وهرب إلى مصر العتيقة ، بعد ما جرى ما تقدم ذكره ، من تصدر الشيخ محمد المهدى ، فأحضروه قهرا عنه ، وتلبس بالمشيخة مع ملازمته لجامع الفاكهانى كعادته ، وأقبلت

---

(١) محرم ١٢٣٣ هـ / ١١ نوفمبر - ١٠ ديسمبر ١٨١٧ م .

(٢) كتب أمام هذا العنوان بهامش ص ٢٩٤ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة » .

(٣) شنوان الغرق : قرية قديمة ، وهى إحدى قرى مركز شبين الكوم ، محافظة المنوفية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٩١ .

عليه الدنيا ، فلم يتهنأ بها ، واعترته الأمراض وتعلل بالزحير أشهرا ، ثم عوفى ، ثم بآخرة بـالبرودة ، وانقـطع بالدار كـذلك أشهرا ، ولم يـزل منقطـعا حتى تـوفى يوم الأربعاء رابع عشرى المحرم [١] ، وصلى عليه بالأزهر فى مشـهد عظيم ، ودفن بتربة المجاورين ، ولـه تآليف منـها ، حاشيـة جليلة عـلى شرح الشيـخ عبد السلام على الجوهرة ، مشهورة بأيدى الطلبة ، وكان يجيد حفظ القرآن ويقرأ مع فقهاء الجوقة فى الليالى .

وتقـلد المشيـخة بعده الـشيخ العـلامة السيـد محمد ابـن شيخنـا الشيخ أحـمد العروسى[٢] من غير منازع وبإجماع أهل الوقت ، ولـبس الخلع من بيوت الأعيان مثل البكرى والسادات وباقى أصحاب المظاهر ، ومن يحب التظاهر .

ومات ، الـعمدة الشـيخ محـمد بن أحمـد بن محـمد المعـروف هو بالدواخـلى الشافعـى ، ويقال له السيد مـحمد ، لأن أباه تزوّج بفاطـمة بنت السيد عـبد الوهاب البرديـنى ، فولد لـه المترجم مـنها ، ومنهـا جاءه الشرف ، وهـم من محلـة الداخل بالغربية [٣] ، وولد المترجم بمصر وتربى فى حجـر أبيه ، وحفظ القرآن ، واجتهد فى طلب الـعلم ، وحضر الأشـياخ من أهل وقتـه : كالشيخ مـحمد عرفة الـدسوقى ، والشيخ مـصطفى الصاوى ، وخلافه مـن أشياخ هذا العصر ، ولازم الشـيخ عبدالله الشرقاوى فى فقه مذهبه وغيره من المعقولات ملازمة كلية ، وانتسب له ، وصار من أخص تلامذته ، ولما مات الـسيد مصطفى الدمنهورى الذى كان بمـنزلة كتخداه ، قام مقامه واشتهر به ، وأقرأ الدروس الفقهية والمعقولية ، وحف به الطلبة ، وتداخل فى قضايا الدعاوى والمصالح بين الناس ، واشتـهر ذكره ، وخصوصا أيام الفرنساوية حين تقلد شيخه رآسة ديوانـهم ، وانتفع فى أيامهم انتفاعا عظيما من تـصديه لقضايا نساء الأمراء المصريـة وغيرهم ، ومات والده فأحرز مـيراثه ، وكذلك لما قتل عـديله الحاج مصطفى البـشتيلى فى الحرابة ببولاق لا عـن وارث ، فاستولى على تعلقـاته وأطيانه وبستانه التى بـبشتيل ، واتسع حاله ، واشترى العـبيد والجوارى والخدم ، ولما ارتحل الفرنساوية ، ودخلها العثمانيون انـطوى إلى السيد أحمد المحروقى ، لأنه كان يراسله سراً بالأخـبار حين خرج مـع العثمـانيين فى الكـسرة إلى الشـام ، فلما رجـع فراعاه وراشاه ونوّه بذكره عند أهل الدولة ، وفى أيام الأمراء المصريين حين رجعوا إلى مصر

---

(١) ٢٤ محرم ١٢٣٣ هـ / ٤ ديسمبر ١٨١٧ م .

(٢) كتب أمام هذه الفقرة ص ٢٩٤ ، طبعة بولاق « تولية الشيخ محمد العروسى مشيخة الأزهر » .

(٣) محلة الداخل : قرية قديمة ، وهى الدواخلية ، إحدى قرى مركز المحلة الكبرى ، محافظة الغربية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٥ .

بعد قتل طاهر باشا ، فى سنة ثمان عشرة [1] ، واحتوى على رزق وأطيان وحصص التزام ، ولبس الفراوى بالأقبية ، وركب البغال ، وأحدق به الأشياخ والأتباع ، وعنده ميل عظيم للتقدم والرياسة ولايقنع بالكثير ، ولما وقع ما وقع فى ولاية محمد على باشا ، وانفرد السيد عمر أفندى فى الرياسة ، وصار بيده مقاليد الأمور ، وازداد به الحسد ، فكان هو من أكبر الساعين عليه سرا مع المهدى وباقى الأشياخ ، حتى أوقعوا به ، وأخرجه الباشا من مصر كما تقدم ، فعند ذلك صفا لهم الوقت ، وتقلد المترجم النقابة بعد موت الشيخ محمد بن وفا ، وركب الخيول ، ولبس التاج الكبير ، ومشت أمامه الجاويشية والمقدمون وأرباب الخدم ، وازدحم بيته بأرباب الدعاوى والشكاوى ، وعمر دار سكنهم القديمة بكفر الطماعين ، وأدخل فيها دورا وأنشأ تجاهها مسجدا لطيفا ، وجعل فيه منبرا وخطبة ، وعمر دارا ببركة جناق ، وأسكنها إحدى زوجاته ، وداخله الغرور وظن أن الوقت قد صفا له ، فأول ما ابتدأه به الدهر من نكباته أن مات ولده أحمد ، وكان قد ناهز البلوغ ، ولم يكن له من الأولاد الذكور غيره ، فوجد عليه وجدا شديدا حتى كان يتكلم بكلام نقمه الناس عليه ، وعمل له ميتما ودفنه بمسجده تجاه بيته ، وعمل عليه مقاما ومقصورة مثل المقامات التى تقصد للزيارة ، وكان موته فى منتصف سنة تسع وعشرين [2] ، ووقعت حادثة قومة العسكر على الباشا فى أواخر شهر شعبان من السنة المذكورة [3] ، والمترجم إذ ذاك من أعيان الرؤوس يطلع وينزل فى كل ليلة إلى القلعة ، ويشار إليه ويحل ويعقد فى قضايا الناس ، ويسترسل معه الباشا كما تقدم ذكر ذلك وداخله الغرور الزائد ، ولقد تطاول على كبار الكتبة الأقباط وغيرهم ، ويراجع الباشا فى مطالبه بعد انقضاء الفتنة ، إلى أن ضاق صدر الباشا منه وأمر بإخراجه ونفيه إلى دسوق ، وذلك فى سنة إحدى وثلاثين [4] ، فأقام بها أشهرا ، ثم توجه بشفاعة السيد المحروقى إلى المحلة الكبرى ، فلم يزل بها متعلق الحواس منحرف المزاج متكدر الطبع ، وكل قليل يراسل السيد المحروقى فى أن يشفع فيه عند الباشا وليأذن له فى الحج ، ومرة يحتج بالمرض ليموت فى داره ، فلم يؤذن له فى شىء من ذلك ، ولم يزل بالمحلة حتى توفى فى منتصف شهر ربيع الأول من السنة [5] ، ودفن هناك ،

---

(١) ١٢١٨ هـ / ٢٣ أبريل ١٨٠٣ - ١٢ أبريل ١٨٠٤ م .
(٢) ١٢٢٩ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٨١٣ - ١٣ ديسمبر ١٨١٤ م
(٣) آخر شعبان ١٢٣٣ هـ / ٤ يونيه ١٨١٨ م .
(٤) ١٢٣١ هـ / ٣ ديسمبر ١٨١٥ - ٢٠ نوفمبر ١٨١٦ م .
(٥) ١٥ ربيع الأول ١٢٣٣ هـ / ٢٣ يناير ١٨١٨ م .

وكان رحمه الله يميل إلى الرياسة طبعا ، وفيه حدة مزاج ، وهى التى كانت سببا لموته بأجله ، رحمه الله تعالى وإيانا .

ومات ، الصدر المعظم ، والدستور المكرم ، الوزير طاهر باشا ، ويقال إنَّه ابن أخت محمد على باشا ، وكان ناظرا على ديوان الكمرك ببولاق ، وعلى الخمامير ، ومصارفه من ذلك ، وشرع فى عمارة داره التى بالأزبكية بجوار بيت الشرايبى تجاه جامع أزبك على طرف الميرى ، وهى فى الأصل بيت المدنى ، ومحمود حسن واحترق منه جانب ، ثم هدم أكثرهما وخرج بالجدار إلى الرحبة ، وأخذ منها جانبا ، وأدخل فيه بيت رضوان كتخدا الذى يقال له ثلاثة ولية ، تسمية له باسم العامودين الرخام الملتفين على مكسلتى الباب الخارج ، وشيد البناء بخرجات فى العلو متعددة ، وجعل بابه مثل باب القلعة ، ووضع فى جهتيه العامودين المذكورين ، وصارت الدار كأنها قلعة مشيدة فى غاية من الفخامة ، فما هو إلا أن قارب الإتمام ، وقد اعتراه المرض فسافر إلى الإسكندرية بقصد تبديل الهواء ، فأقام هناك أياما ، وتوفى فى شهر جمادى الثانية [1] ، وأحضروا رمته فى أواخر الشهر [2] ، ودفنوه بمدفنه الذى بناه محل بيت الزعفرانى بجوار السيدة ، بقناطر السباع ، وترك ابنا مراهقا فأبقاه الباشا على منصب أبيه ونظامه وداره .

ومات ، الأمير أيوب كتخدا الفلاح ، وهو مملوك الأمير مصطفى جاويش تابع صالح الفلاح ، وكان آخر الأعيان المبجلين من جماعة الفلاح المشهورين ، وله عزوة وأتباع ، وبيته مفتوح للواردين ، ويحب العلماء والصلحاء ، ويتأدب معهم ، وكان الباشا يجله ويقبل شفاعته ، وكذلك أكابر الدولة فى كل عصر ، وعلى كل حال ، كان لابأس به ، توفى يوم الأربعاء لعشرين من شهر شعبان [3] ، وقد جاوز السبعين، رحمه الله تعالى .

واستهلت سنة اربع وثلاثين ومائتين والف [4]

واستهل المحرم بيوم السبت [5] ، وسلطان الإسلام السلطان محمود شاه ابن عبد الحميد بدار سلطنته إسلامبول ، ووالى مصر وحاكمها محمد على باشا القوللى ،

---

(١) جمادى الثانية ١٢٣٣ هـ / ٨ أبريل - ٦ مايو ١٨١٨ م .
(٢) آخر جمادى الثانية ١٢٣٣ هـ / ٦ مايو ١٨١٨ م .
(٣) ٢٠ شعبان ١٢٣٣ هـ / ٢٥ يونيه ١٨١٨ م .
(٤) ١٢٣٤ هـ / ٣١ أكتوبر ١٨١٨ م - ١٩ أكتوبر ١٨١٩ م .
(٥) ١ محرم ١٢٣٤ هـ / ٣١ أكتوبر ١٨١٨ م .

وكتخداه ، وباقى أرباب المناصب على حالهم ، وما هم عليه فى العام الماضى .

ووردت الأخبار من شرق الحجاز والبشائر ، بنصرة حضرة إبراهيم باشا على الوهابية قبل استهلال السنة بأربعة أيام ، فعند ذلك نودى بزينة المدينة سبعة أيام ، أولها الأربعاء سابع عشرى الحجة [1] ، ونصبت الصواوين خارج باب النصر عند الهمايل ، وكذلك صيوان الباشا ، وباقى الأمراء والأعيان خرجوا بأسرهم لعمل الشنك والحرائق ، وأخرجوا من المدافع مائة مدفع وعشرة ، وتماثيل وقلاعا ، وسواقى وسواريخ ، وصوروا من بارود وبدءوا فى عمل الشنك من يوم الأربعاء ، فيضربون بالمدافع مع رماحة الخيالة من أول النهار مقدار ساعة زمانية وربع قريبا من عشرين درجة ، ضربا متتابعا لايتخلله سكون على طريقة الإفرنج فى الحروب ، بحيث أنهم يضربون المدفع الواحد اثنى عشرة مرة ، وقيل أربع عشرة مرة فى دقيقة واحدة ، فعلى هذا الحساب يزيد ضرب المدافع فى تلك المدة على ثمانين ألف مدفع ، بحيث يتخيل الإنسان أصواتها مع أصوات بنادق الخيالة المترامحين ، رعوداً هائلة ، ورتبوا المدافع أربع صفوف ، ورسم الباشا أن الخيالة ينقسمون كذلك طوابير ، ويكمنون فى الأعالى ، ثم يتزلون مترامحين وهم يضربون بالبنادق ، ويهجمون على المدافع فى حال اندفاعها بالرمى ، فمن خطف شيئًا من أدوات الطبجية الرماة يأتى به إلى الباشا ، ويعطيه البقشيش والإنعام ، فمات بسبب ذلك أشخاص وسوّاس ، ويكون مبادئ نهاية وقوف الخيالة نهاية محط جلة المدفع ، فإنهم عند طلوع الفجر يضربون مدافع معمورة بالجلل بعدد الطوابير ، فتستعد الخيالة ، ويقف كل طابور عند مرمى جلته ، ويأخذون أهبتهم من ذلك الوقت إلى بعد شروق الشمس ، ويبتدءون فى الرمى والرماحة والحصة المذكورة ، وبعد العشاء الأخيرة ، يعمل كذلك الشنك ، برمى المدافع المتتالية المختلطة أصواتها بدون الرماحة ، ومع المدافع الحراقة والنفوط والسواريخ التى تصعد فى الهواء ، وفيها من خشب الزان بدل القصب وكرنجة بارودها أعظم من تلك ، بحيث أنها تصعد من الأسفل إلى العلو مثل عامود النار ، وأشياء أخر لم يسبق نظائرها ، تفنن فى عملها الإفرنج وغيرهم ، وحول محل الحراقة حلقة دائرة متسعة حولها ألوف من المشاعل الموقدة ، وطلبوا لعمل أكياس بارود المدافع مائتى ألف ذراع من القماش البز ، وكان راتب الأرز الذى يطبخ فى القزانات ، ويفرق فى عراضى العساكر فى كل يوم أربعمائة أردب ، وما يتبعها من السمن ، وهذا خلاف مطابخ الأعيان وما يأتيهم من بيوتهم من تعابى

---

(1) ٢٧ ذى الحجة ١٢٣٢ هـ / ٧ نوفمبر ١٨١٧ م .

الأطعمة وغيرها ، واستمر هذا الضرب والشنك إلى يوم الثلاثاء رابع المحرم [1] ، وأهل البلد ملازمون للسهر والزينة على الحوانيت والدور ليلا ونهارا ، وتكرار المناداة عليهم فى كل يوم ، وركب حضرة الباشا ، وتوجه إلى داره بالأزبكية ، وهدمت الصواوين والخيام ، وبطل الرمى ، ودخلت العساكر والبينبات بمتاعهم وعازقهم أفواجا إلى المدينة ، وذهبوا إلى دورهم ، ورفع الناس الزينة ، وكان معظمها حيث مساكن الإفرنج ، والأرمن ، فإنهم تفننوا فى عمل التصاوير ، والتماثيل وأشكال السرج ، والشنيارات الزجاج والبلور ، وأشكال النجف ومعظمها فى جهات المسلمين بخان الخليلى والغورية والجمالية ، وببعض الأماكن والخانات ، ملاهى وأغانى وسماعات وقيان وجنك رقاصات ، هذا والتهيؤ والأشغال والاستعداد لعمل الدونانمة على بحر النيل ببولاق ، فصنعوا صورة قلعة بأبراج وقباب وزوايا وأنصاف دوائر ، وخورنقات وطيقان للمدافع ، وطلوها وبيضوها ونقشوها بالألوان والأصباغ ، وصورة باب مالطة ، وكذلك صورة بستان على سفائن ، وفيه الطين ، ومغروس به الأشجار ، ومحيط به درابزين مصبغ ، وبه دوالى العنب وأشجار الموز والفاكهة والنخيل ، والرياحين فى قصارى لطيفة على حافاته ، وصورة عربة يجرها أفراس ، وبها تماثيل وصور جالسين وقائمين ، وتمثال مجلس ، وبه جنك رقاصات من تماثيل مصورة ، تتحرك بآلات ابتكار بعض المبتكرين ، لأن كل من تخيل بفكره شيئًا ملعوبا أو تصويرا ذهب إلى الترسخانة ، حيث الأخشاب والصناع ، فيعمله على طرف الميرى ، حتى يبرزه فى الخارج ، ويأخذ على ابتكاره البقشيش ، وأكثرها لخصوص الحراقات والنفوط والبارود والسواريخ وغير ذلك ، وبعد انقضاء السبعة أيام المذكورة ، حصل السكون من يوم الثلاثاء [2] المذكور إلى يوم الأحد التالى [3] له من الجمعة الأخرى ، مدة خمسة أيام فى أثنائها اجتهد الناس من الأعيان وكل من له اسم من أكابر الناس ، وأهل الدائرة ، والأفندية الكتبة حتى الفقهاء أرباب المناصب والمظاهر ، ومشايخ الإفتاء والنواب والمتفرجين فى نصب الخيام بحافتى النيل ، واستأجروا الأماكن المطلة على البحر ولو من البعد ، وتنافسوا واشتط أربابها فى الأجرة حتى بلغ أجرة أحقر طبقة بمثل وكالة الفسيخ إلى خمسمائة قرش وزيادة ، وكان الباشا أمر بإنشاء قصر لخصوص جلوسه بالجزيرة تجاه بولاق ، قبلى قصر ابنه إسماعيل باشا ، وتمموا بياضه ونظامه فى هذه المدة القليلة ، فلما كان ليلة

(١) ٤ محرم ١٢٣٤ هـ / ٣ نوفمبر ١٨١٨ م .
(٢) ٤ محرم ١٢٣٤ هـ / ٣ نوفمبر ١٨١٨ م .
(٣) ٨ محرم ١٢٣٤ هـ / ٧ نوفمبر ١٨١٨ م .

الإثنين [1] ، وهو يوم عاشوراء خرج الباشا فى ليلته وعدّى إلى القصر المذكور ، وخرج أهل الدائرة والأعيان إلى الأماكن التى استأجروها ، وكذلك العامة أفواجا ، وأصبح يوم الإثنين المذكور ، فضربت المدافع الكثيرة التى صففوها بالبرين ، وزين أهالى بولاق أسواقهم وحوانيتهم ، وأبواب دورهم ودقت الطبول والمزامير والنقرزانات فى السفائن وغيرها ، وطبلخانة الباشا تضرب فى كل وقت ، والمدافع الكثيرة فى ضحوة كل يوم وعصره وبعد العشاء كذلك ، وتوقد المشاعل ، وتعمل أصناف الحراقات والسواريخ والنفوط والشعل ، وتتقابل القلاع المصنوعة على وجه الماء ، ويرمون منها المدافع على هيئة المتحاربين ، وفيها فوانيس وقناديل ، وهيئة باب مالطة بوابة مجسمة مقوصرة لها بدنات ، ويرى بداخلها سرج وشعل ، ويخرج منها حراقات وسواريخ ، وغالب هذه الأعمال من صناعة الإفرنج ، وأحضروا سفائن رومية صغيرة ، تسمى الشلبنات يرمى منها مدافع وشنابر وشيطيات ، وغلايين مما يسير فى البحر المالح ، وفى جميعها وقدات وسرج وقناديل ، وكلها مزينة بالبيارق الحرير والأشكال المختلفة الألوان ، ودبوس أوغلى ببولاق التكرور وعنده أيضًا الحراقات الكثيرة والشعل والمدافع والسواريخ ، وبالجيزة عباس بيك ابن طوسون باشا ، والنصارى الأرمن بمصر القديمة وبولاق ، والإفرنج ، وأبرز الجميع زينتهم وتماثيلهم وحراقتهم ، وعند الأعيان حتى المشايخ فى القنج والسفائن المعدة للسروح والتفرج والنزاهة ، والخروج عن الأوضاع الشرعية والأدبية ، واستمروا على ما ذكر إلى يوم الإثنين سابع عشره [2] ،

وفى ذلك اليوم [3] ، وصل عبدالله بن مسعود الوهابى ، ودخل من باب النصر ، وصحبته عبدالله بكتاش قبطان السويس ، وهو راكب على هجين ، وبجانبه المذكور ، وأمامه طائفة من الدلاة ، فضربوا عند دخوله مدافع كثيرة من القلعة وبولاق وخلافهما ، وانقضى أمر الشنك وخلافه من ساحل النيل وبولاق ، ورفعوا الزينة وركب الباشا إلى قصر شبرا فى تلك السفينة ، وانفض الجمع وذهبوا إلى دورهم ، وكان ذلك من أغرب الأعمال التى لم يقع نظيرها بأرض مصر ، ولاما يقرب من ذلك ، ومطبخ الميرى يطبخ به الأرز على النسق المتقدّم والأطعمة ، ويؤتى لأرباب المظاهر منها فى وجبتى الغداء والعشاء ، خلاف المطابخ الخاصة بهم ، وما يأتيهم من بيوتهم ، وأما العامة والمتفرجون من الرجال والنساء فخرجوا أفواجا ،

---

(١) ٩ محرم ١٢٣٤ هـ / ٨ نوفمبر ١٨١٨ م . (٢) ١٧ محرم ١٢٣٤ هـ / ١٦ نوفمبر ١٨١٨ م .
(٣) ١٧ محرم ١٢٣٤ هـ / ١٦ نوفمبر ١٨١٨ م .

وكثر زحامهم فى جميع الطرق الموصلة إلى بولاق ليلا ونهارا بأولادهم وأطفالهم ركبانا ومشاة ، وقد ذهب فى هاتين الملعبتين من الأموال مـا لايدخل تحت الحصر ، وأهل الاستحقاق يتلظون من القشل والتفليس ، مع ما فيهم من غلاء الأسعار فى كل شىء ، وانعدام الأدهان وخصوصا : السمن والشيرج والشحم فلا يوجد من ذلك الشىء اليسير إلا بغاية المشقة ، ويكون على حانوت الدهان الذى يحصل عنده بعض السمن شدّة الزحام والصياح ، ولايبيع بأزيد من خمسة أنصاف ، وهى أوقية اثنا عشر درهما بما فيها من الخلط ، وأعوان المحتسب مرصدون لمن يرد من الفلاحين والمسافرين بالسمن ، فيحجزونه لمطالب الدولة ومطابخهم ودورهم فى هذه الولائم والجمعيات ، ويدفع لهم ثمنه على موجب التسعيرة ، ثم يوزع مـا يوزعه ، وهو الشىء القليل على المتسببين ، وهم يبيعونه على هذه الحالة ، ومثل ذلك الشيرج وخلافه حتى الجبن القريش .

وفيه[1] ، وصل عبدالله الوهابى ، فذهبوا به إلى بيت إسماعيل باشا ابن الباشا ، فأقام يومه ، وذهبوا به فى صبحها عند الباشا بشبرا ، فلما دخل عليه قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه ، وقال له : « ما هذه المطاولة » ، فقال : « الحرب سجال » ، قال : « وكيف رأيت إبراهيم باشا » ، قال : « ما قصرَّ وبذل همته ، ونحن كذلك ، حتى كان مـا كان قدره المولى » ، فقال : « أنا إن شاء الله تعالى أترجى فيك عند مولانا السلطان » ، فقال : « المقدر يكون » ، ثم ألبسه خلعة ، وانصرف عنه إلى بيت إسماعيل باشا ببولاق ، ونزل الباشا فى ذلك اليوم السفينة ، وسافر إلى جهة دمياط ، وكان بصحبة الوهابى صندوق صغير من صفيح ، فقال له الباشا : « ما هذا » ، فقال : « هذا مـا أخذه أبى من الحجرة أصحبه معى إلى السلطان » ، وفتحه فوجد به ثلاث مصاحف قرآنا مكللة ، ونحو ثلثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة ، وبها شريط ذهب ، فقال له الباشا : « الذى أخذه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا » ، فقال : « هذا الذى وجدته عند أبى ، فإنه لم يستأصل كل ما كان فى الحجرة لنفسه ، بل أخذ كذلك كبار العرب ، وأهل المدينة ، وأغوات الحرم ، وشريف مكة » ، فقال الباشا : « صحيح وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك » .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره[2] ، سافر عبدالله بن مسعود إلى جهة الإسكندرية وصحبته جماعة من الططر إلى دار السلطنة ومعه خدم لزومه

---

(1) ١٧ محرم ١٢٣٤ هـ / ١٦ نوفمبر ١٨١٨ م . (2) ١٩ محرم ١٢٣٤ هـ / ١٨ نوفمبر ١٨١٨ م .

واستهل شهر صفر بيوم الإثنين سنة ١٢٣٤ (١)

فى ثالثه (٢)، وصل طائفة من الحجاج المغاربة يوم الأربعاء (٣) ، وصحبتهم حجاج كثيرة من الصعائدة وأهل القرى ، فدخلوا على حين غفلة ، وكان الرئيس فيهم شخص من كبار عرب أولاد على يسمى الجبالى ، وهذا لم يتفق نظيره فيما وعيناه ، وسببه أمن الطريق وانكماش العربان ، وقطاع الطريق .

وفيه (٤) ، أخبر المخبرون بأن الباشا أقام بدمياط أياما قليلة ، ثم توجه إلى البرلس ، ونزل فى نقيرة (٥) ، وذهب إلى الإسكندرية على ظهر البحر المالح ، وقد استعد أهلها لقدومه ، وزينوا البلد والذى تولى الاعتناء بذلك طائفة الإفرنج ، فإنهم نصبوا طريقا من باب البلد إلى القصر الذى هو سكن الباشا ، وجعلوا بناحيتيه يمنى ويسرى أنواع الزينة والتماثيل والتصاوير والبلور والزجاج والمرايات ، وغير ذلك من البدع البديعة الغريبة .

وفى غايته (٦) ، وصل الحاج المصرى ودخلوا أرسالا شيئًا فشيئًا ، ومنهم من دخل ليلا ، وخصوصا ليلة الاثنين (٧) ، وفى صبحه دخل حسن باشا أرنؤد الذى كان مقيما بجدة ، وفى ذلك اليوم دخل بواقى الحجاج إلى منازلهم .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٤ (٨)

فى صبحه (٩) ، دخلوا بالمحمل المدينة ، وأكثر الناس لم يشعر بدخوله ، وهذا لم يتفق فيما نعلم ، تأخر الحاج إلى شهر ربيع الأول (١٠) .

وفى ليلة الثلاثاء ثامنه (١١) ، احترق سوق الشرم ، والجملون الكائن أسفل جامع الغورية بما فيه من الحوانيت ، وبضائع التجار ، والأقمشة الهندية وخلافها ، فظهرت به النار من بعد العشاء الأخيرة ، فحضر الوالى وأغات التبديل ، فوجدوا الباب الذى من جهة الغورية مغلوقا من داخل ، وكذلك الباب الذى من الجهة الأخرى ، وهما

---

(١) صفر ١٢٣٤ هـ / ٣٠ نوفمبر - ٢٨ ديسمبر ١٨١٨ م .
(٢) ٣ صفر ١٢٣٤ هـ / ٢ ديسمبر ١٨١٨ م . (٣) ٣ صفر ١٢٣٤ هـ / ٢ ديسمبر ١٨١٨ م .
(٤) ٣ صفر ١٢٣٤ هـ / ٢ ديسمبر ١٨١٨ م . (٥) نقيرة : سفينة صغيرة .
(٦) غاية صفر ١٢٣٤ هـ / ٢٨ ديسمبر ١٨١٨ م . (٧) ٨ صفر ١٢٣٤ هـ / ٧ ديسمبر ١٨١٨ م .
(٨) ربيع الأول ١٢٣٤ هـ / ٢٩ ديسمبر ١٨١٨ م - ٢٧ يناير ١٨١٩ م .
(٩) ١ ربيع الأول ١٢٣٤ هـ / ٢٩ ديسمبر ١٨١٨ م .
(١٠) ربيع الأول ١٢٣٤ هـ / ٢٩ ديسمبر ١٨١٨ م - ٢٧ يناير ١٨١٩ م .
(١١) ٨ ربيع الأول ١٢٣٤ هـ / ٥ يناير ١٨١٩ م .

فى غاية المتانة ، فلم يزالوا يعالجون فتح الباب بالعتالات والكسر إلى بعد تصف الليل، والنار عمالة من داخل ، وهرب الخفير ، واحترق ليوان الجامع البرانى والدهليز ، وأخذوا فى الهدم ، وصب المياه بآلات القصارين مع صعوبة العمل ، بسبب علو الحيطان الشاهقة ، والأخشاب العظيمة ، والأحجار الهائلة ، والعقود ، فلم يخمد لهب النار إلا بعد حصة من النهار ، وسرحت النار فى أخشاب الجامع التى بداخل البناء ، ولم يزل الدخان صاعدا منها ، وسقطت الشبابيك النحاس العظام ، وبقيت مفتتة ومكلسة ، واستمر العلاج فى إطفاء الدخان ثلاثة أيام ، ولولا لطف المولى ، وتأخير فتح الباب لكونه مصفحا بالحديد ، فلم تعمل فيه النار ، فلو لم يكن كذلك لاحترق وسرحت النار إلى الحوانيت الملاصقة به ، وهى كلها أخشاب ويعلوها سقائف أخشاب كذلك ، ومن فوق الجميع السقيفة العظيمة الممتدة على السوق من أوّله إلى آخره ، وهى فى غاية العلو والارتفاع ، وكلها أخشاب وحجنة وسهوم وبراطيم من أعلى ومن أسفل لحملها من الجهتين ، ومن ناحيتها الرباع والوكايل والدور وحيطان الجميع من الحجنة والأخشاب العتيقة ، التى تشتعل بأدنى حرارة ، فلو وصلت النار والعياذ بالله تعالى هذه السقيفة ، لما أمكن إطفاؤها بوجه ، وكان حريقا دوميا ، ولكن الله سلم .

وفى يوم السبت ثانى عشره [1] ، حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف سابقا ، وذلك أنه لما حصلت النصرة والمسرة للباشا ، فكتب إليه مكتوبا بالتهنئة ، وأرسله مع حفيده السيد صالح إلى الإسكندرية فتلقاه بالبشاشة ، وطفق يسأله عن جده ، فيقول له : « بخير ويدعو لكم » ، فقال له : « هل فى نفسه شىء أو حاجة نقضيها له » ، فقال : « لايطلب غير طول البقاء لحضرتكم » ، ثم انصرف إلى المكان الذى نزل به ، فأرسل إليه فى ثانى يوم [2] ، عثمان السلانكى ليسأله ويستفسره عما عسى أن يستحى من مشافهة الباشا بذكره ، فلم يزل يلاطفه حتى قال : « لم يكن فى نفسه إلا الحج إلى بيت الله إن أذن له أفندينا بذلك » ، فلما عاد بالجواب أنعم عليه بذلك ، وأذن له بالذهاب إلى مصر ، وأن يقيم بداره إلى أوان الحج إن شاء برا وإن شاء بحرا ، وقال : « أنا لا أتركه فى الغربة هذه المدة إلا خوفا من الفتنة ، والآن لم يبق شىء من ذلك ، فإنه أبى وبينى وبينه مالا أنساه من المحبة والمعروف » ، وكتب له جوابا بالإجابة ، وصورته بحروفه : « مظهر الشمائل سنيها ، حميد الشؤن وسميها، سلالة بيت المجد الأكرم ، والدنا السيد عمر مكرم ،

---

(١) ١٢ ربيع الاول ١٢٣٤ هـ / ٩ يناير ١٨١٩ م . (١) ١٣ ربيع الأول ١٢٣٤ هـ / ١٠ يناير ١٨١٩ م .

دام شأنه ، أما بعد فقد ورد الكتاب اللطيف من الجناب الشريف ، تهنئة بما أنعم الله علينا ، وفرحا بمواهب تأييده لدينا ، فكان ذلك مزيدا فى السرور ، ومستديما لحمد الشكور ، ومجلبة لثناكم ، وإعلانا بنيل مناكم ، جزيتم حسن الثنا ، مع كمال الوقار ونيل المنى ، هذا وقد بلغنا نجلكم على طلبكم الإذن فى الحج إلى البيت ، وزيارة روضته عليه الصلاة والسلام ، للرغبة فى ذلك ، والترجى لما هنالك ، وقد آذناكم فى هذا المرام ، تقربا لذى الجلال والإكرام ، كما هو الظن فى الطاهرين ، والمأمول من الأصفياء المقبولين ، والواصل لكم جواب منا خطابا إلى كتخدائنا ، ولكم الإجلال والاحترام ، مع جزيل الثناء والسلام » ، وأرسل إليه المكتوبين صحبة حفيده السيد صالح ، وأرسل إلى كتخدا بيك كتابا وصل إليه قبل قدومه ، فأرسل الكتخدا ترجمانه إلى منزله ليبشرهم بذلك ، وأشيع خبر مقدمه ، فكان الناس بين مصدّق ومكذب حتى وصل فى اليوم المذكور إلى بولاق ، فركب من هناك ، وتوجه إلى زيارة الإمام الشافعى ، وطلع إلى القلعة ، وقابل الكتخدا ، وسلم عليه ، وهنته الشعراء بقصائدهم ، وأعطاهم الجوائز ، واستمر ازدحام الناس أياما ، ثم امتنع عن الجلوس فى المجلس العام نهارا ، واعتكف بحجرته الخاصة ، فلا يجتمع به إلا بعض من يريده من الأفراد ، فانكف الكثير عن الترداد ، وذلك من حسن الرأى .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت سنة ١٢٣٤ (١)

فيه (٢) ، حصل الاهتمام بحفر الترعة المعروفة بالأشرفية الموصلة إلى الإسكندرية ، وقد تقدم فى العام الماضى بل والذى قبله اهتمام الباشا ، ونزل إليها المهندسون ، ووزنوا أرضها وقاسوا طولها وعرضها ، وعمقها المطلوب ، ثم أهمل أمرها لقرب مجئ النيل ، وتركوا الشغل فى مبدئها ، ولم يترك الشغل فى منتهاها عند الإسكندرية بالقرب من عامود السوارى ، فحفروا هناك منبتها ، وهى بركة متسعة ، وحوّطوها بالبناء المحكم المتين ، وهى مرسى المراكب التى تعبر منها إلى الإسكندرية بدلا عن البغاز ، وهى ملتقى البحرين ، وما يقع فيه من تلف المراكب فتكون هذه أسلم وأقرب كلفة إن صحت ، بل وأقرب مسافة ، ونزل الأمر لكشاف الأقاليم بجمع الفلاحين والرجال على حساب مزارع الفدادين ، فيحصون رجال القرية المزارعين ، ويدفعون للشخص الواحد عشرة ريال ، ويخصم له مثلها من المال ، وإذا كان له شريك وأحب المقام لأجل الزرع الصيفى ، أعطاه حصته ، وزاده

---

(١) ربيع الثانى ١٢٣٤ هـ / ٢٨ يناير - ٢٥ فبراير ١٨١٩ م .

(٢) ١ ربيع الثانى ١٢٣٤ هـ / ٢٨ يناير ١٨١٩ م .

عليها حتى يرضى خاطره ، وزوّده بما يحتاج إليه أيضًا ، وعند العمل يدفع لكل شخص قرش فى كل يوم ، ويخرج أهل القرية أفواجا ، ومعهم أنفار من مشايخ البلاد ، ويجتمعون فى المكان المأمورين باجتماعهم فيه ، ثم يسيرون مع الكاشف الذى بالناحية ، ومعهم طبول وزمور وبيارق ونجارون وبناؤن وحدادون ، وفرضوا على البلاد التى فيها النخيل غلقانا ومقاطف وعراجين وسَلَبا ، وعلى البنادر فئوسا ومساحِى شىء كثير بالثمن ، وطلبوا أيضًا طائفة الغواصين ، لأنهم كانوا إذا تسفلوا فى قطع الأرض فى بعض المواضع منها ينبع الماء قبل الوصول إلى الحدّ المطلوب .

وفى يوم الخميس عشرينه [1] ، ورد مرسوم من الباشا بعزل كتخدا بيك عن منصب الكتخدائية ، وتولية محمود بيك فيها عوضا عنه ، وحضر محمود بيك فى ذلك اليوم قادما من الإسكندرية ، وطلع إلى القلعة ، وحضر أيضًا حسن باشا ، وكان قد ذهب إلى الإسكندرية ليسلم على الباشا لكونه كان بالديار الحجازية المدة المديدة ، وحضر إلى مصر والباشا بالإسكندرية ، فتوجه إليه ، وأقام معه أياما ، وعاد إلى مصر صحبة محمود بيك ، وحضر أيضًا إبراهيم أفندى من إسلامبول ، وهو ديوان أفندى الباشا ، فتقلد فى نظر الأطيان والرزق والالتزام عوضا عن محمود بيك .

واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢٣٤ [2]

فى سابعه يوم الخميس [3] ، ضربت مدافع كثيرة وقت الشروق ، بسبب ورود نجابة من الديار الحجازية باستيلاء خليل باشا على يمن الحجاز صلحا .

وفيه[4] ، وصلت الأخبار أيضًا عن عبدالله بن مسعود أنه لما وصل إلى إسلامبول طأفوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون ، وقتلوا أتباعه أيضًا فى نواحى متفرقة ، فذهبوا مع الشهداء .

وفيه [5] ، أشيع وصول قابجى كبير من طرف الدولة يقال له قهوجى باشا إلى الإسكندرية ، وورد الأمر بالاستعداد لحضوره مع الباشا ، فطلعوا بالمطابخ إلى ناحية شبرا ، وطلبت الخيول من الربيع ، واستمر خروج العساكر ودخولهم ، وكذلك طبخ

(١) ٢٠ ربيع الثانى ١٢٣٤ هـ / ١٦ فبراير ١٨١٩ م .
(٢) جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٢٦ فبراير - ٢٧ مارس ١٨١٩ م .
(٣) ٧ جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٤ مارس ١٨١٩ م . (٤) ٧ جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٤ مارس ١٨١٩ م .
(٥) ٧ جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٤ مارس ١٨١٩ م .

الأطعمة ، وفى كل يوم يشيعون الورود ، فلم يأت أحد ، ثم ذكروا أنَّ ذلك القابجى حين قرب من الإسكندرية رده الريح إلى رودس ، واستمر هذا الريح إلى آخر الشهر .

وفيه [1] ، قوى الاهتمام بأمر حفر الترعة المتقدم ذكرها ، وسيقت الرجال والفلاحون من الأقاليم البحرية ، وجدوا فى العمل بعدما حددوا لكل أهل إقليم أقصابا ، توزع على أهل كل بلد من ذلك الإقليم ، فمن أتم عمله المحدود انتقل إلى مساعدة الآخرين ، وظهر فى حفر بعض الأماكن منها صورة أماكن ومساكن ، وقيعان وحمام بعقوده وأحواضه ومغاطسه ، ووجد ظروف بداخلها فلوس نحاس كفرية قديمة ، وأخرى لم تفتح لايعلم ما فيها ، رفعوها للباشا مع تلك .

وفى يوم الأربعاء سابع عشرينه [2] ، حضر الباشا إلى شبرا ، ووصل فى أثره قهوجى باشا ، وعملوا له موكبا فى صبيحة يوم الخميس [3] ، وطلعوا إلى القلعة ، ومع الأغا المذكور ما أحضره برسم الباشا وولده إبراهيم باشا الذى بالحجاز ، وهو خلعتا سمور لكل واحد خلعة ، وخنجر مجوهر لكل واحد ، وشلنجان مجوهران وساعة جوهر وغير ذلك ، وقرئ الفرمان بحضرة الجمع ، وفيه الثناء الكثير على الباشا ، والعفو عمن بقى من الوهابية ، وبعد القراءة ضربت مدافع كثيرة ، وكذلك عند ورودهم ، واستمر ضرب المدافع ثلاثة أيام فى جميع الأوقات الخمس ، ونزل القابجى المذكور ببيت طاهر باشا بالأزبكية ، وحضر أيضًا عقبه أطواخ لكل من عباس بيك ابن طوسون باشا ابن الباشا ، ولأحمد بيك ابن طاهر باشا ، وفى ضمن الفرمان الإذن للباشا بتولية أمريات وقبجيات لمن يختار .

وفى صبحها يوم الجمعة [4] ، خلع الباشا على أربعة أو خمسة من أمرائه بقبجات باشا ، وهم على بيك السلانكلى قابجى باشا ، وحسن أغا أزرجانلى كذلك ، وخليل أفندى حاكم رشيد ، وشريف بيك .

واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٤ [5]

فيه [6] ، حضر محمد بيك الدفتردار من الجهة القبلية ، فأقام أياما وعاد إلى قبلى.

---

(١) ٧ جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٤ مارس ١٨١٩ م .

(٢) ٢٧ جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٢٤ مارس ١٨١٩ م .

(٣) ٢٨ جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٢٥ مارس ١٨١٩ م .

(٤) ٢٩ جمادى الأولى ١٢٣٤ هـ / ٢٦ مارس ١٨١٩ م .

(٥) جمادى الثانية ١٢٣٤ هـ / ٢٨ مارس - ٢٥ أبريل ١٨١٩ م .

(٦) ١جمادى الثانية ١٢٣٤ هـ / ٢٨ مارس ١٨١٩ م .

وفى أواخره (١) ، رجع الكثير من فلاحى الأقاليم إلى بلادهم من الأشرفية وهم الذين أتموا ما لزمهم من العمل والحفر ، ومات الكثير من الفلاحين من البرد ومقاساة التعب .

وفى هذا الشهر (٢) ، حصل بعض موت بالطاعون ، فداخل الناس وهم بسبب ما حدث فى أكابر الدولة والنصارى من التحجب ، وعمل الكورنتيلات ، وهى التباعد من الملامسة ، وتبخير الأوراق والمجالس ونحو ذلك .

واستهل شهر رجب بيوم الإثنين سنة ١٢٣٤ (٣)

فى خامسه (٤) ، مات عبود النصرانى كاتب الخزينة ، وكان مشكور السيرة فى صناعته ، وعنده مشاركة ودعوى عريضة ودعوى علم ، ويتكلم بالمناسبات والآيات القرآنية ، ويضمن إنشاءاته ومراسلاته آيات وأمثالا وسجعات ، وأخذ دار القيسرلى بدرب الجنينة وما حولها ، وأنشأها دارا عظيمة وزخرفها ، وجعل بها بستانا ومجالس مفروشة بالرخام الملوّن ، وفساقى وشاذروانات وزجاج بلور ، وكل ذلك على طرف الميرى ، وله مرتب واسع ، وكان الباشا يحبه ويثق به ، ويقول لولا الملامة لقلدته الدفتردارية .

وفى سابعه (٥) ، حضر إلى مصر حاكم يافا المعروف بمحمد بيك أبو نبوت معزولا عن ولايته ، فأرسل إلى الباشا يستأذنه فى الحضور إلى مصر ، فأطلق له الإذن ، فحضر فأنزله بقصر العينى ، وصحبته نحو الخمسمائة مملوك وأجناد وأتباع ، واجتمع بالباشا وأجله وسلم عليه ، وأقام معه حصة من الليل ، ورتب له مرتبا عظيما ، وعين له ما يقوم بكفايته وكفاية أتباعه ، فمن جملة ما رتب له ثلاثة آلاف تذكرة ، كل تذكرة بألفين وستمائة نصف فضة فى كل شهر ، وذلك خلاف المعين ، واللوازم من : السمن والخبز والسكر والعسل والحطب والأرز والفحم والشمع والصابون ، فمن الأرز خاصة فى كل يوم أردبان ، وللعليق خمسة وعشرون أردبا فى كل يوم .

---

(١) آخر جمادى الثانية ١٢٣٤ هـ / ٢٥ أبريل ١٨١٩ م .
(٢) جمادى الثانية ١٢٣٤ هـ / ٢٨ مارس - ٢٥ أبريل ١٨١٩ م .
(٣) رجب ١٢٣٤ هـ / ٢٦ أبريل - ٢٥ مايو ١٨١٩ م .
(٤) ٥ رجب ١٢٣٤ هـ / ٣٠ أبريل ١٨١٩ م .
(٥) ٧ رجب ١٢٣٤ هـ / ٢ مايو ١٨١٩ م .

وفى يوم السبت ثالث عشره [1] ، سافر قهوجى باشا عائدا إلى إسلامبول ، واحتفل به الباشا احتفالا زائدا ، وقدّم له ولمخدومه وأرباب الدولة من الأموال والهدايا والخيول والبن والأرز والسكر والشربات ، والأقمشة الهندية وغيرها شيئًا كثيرًا ، وكذلك قدّم له أكابر الدولة هدايا كثيرة ، ولأنه لما حضر إلى مصر قدّم لهم هدايا فقابلوه بأضعافها ، وعندما سافر احتجب الباشا وأمر كل من كان يلازم ديوانه بالانصراف والتحجب فتكرتن منهم من تكرتن فى داره ، ومنهم فى القصور ، وسافر مع قهوجى باشا سليمان أغا السلحدار وشربتشى باشا ، وآخرون لتشييعه إلى الإسكندرية .

وفى يوم الخميس ثامن عشره [2] ، حضر بواقى الوهابية بحريمهم وأولادهم وهم نحو الأربعمائة نسمة ، وأسكنوا بالقشلة التى بالأزبكية وابن عبدالله بن مسعود بدار عند جامع مسكة ، هو وخواصه من غير حرج عليهم ، وطفقوا يذهبون ويجيئون ويترددون على المشايخ وغيرهم ، ويمشون فى الأسواق ويشترون البضائع والاحتياجات .

واستهل شهر شعبان سنة ١٢٣٤ [3]

وفيه [4] ، وصل جماعة هجانة من جهة الحجاز وصحبتهم ابن حمود أمير يمن الحجاز ، وذلك أنَّه لما مات أبوه تأمّر عوضه ، وأظهر الطاعة ، وعدم المخالفة للدولة ، فلما توجه خليل باشا إلى اليمن أخلى له البلاد ، واعتزل فى حصن له ، ولم يخرج لدفعه ومحاربته كما فعل أبوه ، وترددت بينهما المراسلات والمخادعات حتى نزل من حصنه ، وحضر عند خليل باشا فقبض عليه ، وأرسله مع الهجانة إلى مصر .

وفيه [5] ، صرفوا الفلاحين عن العمل فى الترعة لأجل حصاد الزرع ، ووجهوا عليهم طلب المال ..

---

(١) ١٣ رجب ١٢٣٤ هـ / ٨ مايو ١٨١٩ م .
(٢) ١٨ رجب ١٢٣٤ هـ / ١٣ مايو ١٨١٩ م .
(٣) شعبان ١٢٣٤ هـ / ٢٦ مايو - ٢٣ يونيه ١٨١٩ م .
(٤) ١ شعبان ١٢٣٤ هـ / ٢٦ مايو ١٨١٩ م .
(٥) ٨ شعبان ١٢٣٤ هـ / ٢ يونيه ١٨١٩ م .

واستهل شهر رمضان سنة ١٢٣٤ [١]

والباشا مكرتن بشبرا ، ولم يطلع إلى القلعة كعادته فى شهر رمضان [٢]

وفى ثامن عشرينه [٣] ، طلع إلى القلعة وعيد بها .

واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٣٤ [٤]

فى رابع عشره الموافق لآخر يوم من شهر أبيب [٥] ، نودى بوفاء النيل ، وكان الباشا سافر إلى جهة الإسكندرية بسبب ترعة الأشرفية ، وأمر حكام الجهات بالأرياف بجمع الفلاحين للعمل ، فأخذوا فى جمعهم ، فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال ، وينزلون بهم المراكب ، وتعطلوا عن زرع الدراوى الذى هو قوتهم ، وقاسوا بعد رجوعهم من المرة الأولى بعدما قاسوا ما قاسوه ، ومات الكثير منهم من البرد والتعب، وكل من سقط أهالوا عليه من تراب الحفر ولو فيه الروح ، ولما رجعوا إلى بلادهم للحصيدة طولبوا بالمال ، وزيد عليهم عن كل فدان حمل بعير من التبن وكيلة قمح وكيلة فول ، وأخذ ما يبيعونه من الغلة بالثمن الدون والكيل الوافر ، فما هم إلا والطلب للعود إلى الشغل فى الترعة ، ونزح المياه التى لاينقطع نبعها من الأرض، وهى فى غاية الملوحة ، والمرة الأولى التى كانت فى شدّة البرد ، وهذه المرة فى شدة الحر وقلة المياه العذبة ، فينقلونها بالروايا على الجمال مع بعد المسافة ، وتأخر رى الإسكندرية .

وفى سابع عشرينه [٦] ، ارتحل ركب الحجاج من البركة ، وأمير الحاج عابدين بيك أخو حسن باشا .

واستهل شهر ذى القعدة سنة ١٢٣٤ [٧]

والعمل فى الترعة مستمر .

---

(١) رمضان ١٢٣٤ هـ / ٢٤ يونيه - ٢٣ يوليه ١٨١٩ م .

(٢) رمضان ١٢٣٤ هـ / ٢٤ يونيه - ٢٣ يوليه ١٨١٩ م .

(٣) ٢٨ رمضان ١٢٣٤ هـ / ٢١ يوليه ١٨١٩ م . (٤) شوال ١٢٣٤ هـ / ٢٤ يوليه - ٢١ أغسطس ١٨١٩ م .

(٥) ١٤ شوال ١٢٣٤ هـ / ٦ أغسطس ١٨١٩ م . (٦) ٢٧ شوال ١٢٣٤ هـ / ١٩ أغسطس ١٨١٩ م .

(٧) ذى القعدة ١٢٣٤ هـ / ٢٢ أغسطس - ٢٠ سبتمبر ١٨١٩ م .

واستهل شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٤ [1]

فى منتصفه [2] ، سافر الباشا إلى الصعيد ، وسافر صحبته حسن باشا طاهر ، ومحمد أغا لاظ المنفصل عن الكتخدائية ، وحسن أغا أزرجانلى وغيرهم من أعيان الدولة .

وفيه [3] ، وصل الخبر بموت سليمان باشا حاكم عكا ، وهو من مماليك أحمد باشا الجزار .

وفى أواخره [4] ، وصل ابن إبراهيم باشا وصحبته حريم أبيه ، فضربوا لوصولهم مدافع ، وعملوا للصغير موكبا ، ودخل من باب النصر وشق من وسط المدينة .

وانقضت السنة ، وما تجدد بها من الحوادث التى منها زيادة النيل الزيادة المفرطة أكثر من العام الماضى ، وهذا من النوادر ، وهو الغرق فى عامين متتابعين ، واستمر أيضًا فى هذه السنة إلى منتصف هاتور [5] ، حتى فات أوان الزراعة ، وربما نقص قليلا ، ثم يرجع فى ثانى يوم [6] ، أكثر ما نقص .

ودخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف [7]

فكان أوّل المحرم بالهلال يوم الخميس [8] ، وفيه وما قبله بأيام حصل بالأرياف بل وبداخل المدينة انزعاجات ، بسبب تواتر سرقات ، وإشاعة سروج متاسر وحرامية، وعمر الناس أبواب الدور والدروب ، وحصل منع الناس من المسير والمشى بالأزقة من بعد الغروب ، وصار كتخدا بيك وأغات التبديل والوالى يطوفون ليلا بالمدينة ، وكل من صادفوه قبضوا عليه وحبسوه ولو كان مما لاشبهة فيه، واستمر هذا الحال إلى آخر الشهر .

وفى سابع عشرينه [9] ، حضر الباشا من الصعيد بعد أن وصل فى سرحته إلى الشلال ، وكان الناس تقولوا على ذهابه إلى قبلى أقاويل ، منها : أنه يريد التجريد على بواقى المصريين المنقطعين بدنقلة ، فإنهم استفحل أمرهم واستكثروا من شراء العبيد ، وصنعوا البارود والمدافع وغير ذلك ، ومنها : أنه يريد التجريد أيضًا ، وأخذ

---

(١) ذى الحجة ١٢٣٤ هـ / ٢١ سبتمبر - ١٩ أكتوبر ١٨١٩ م .

(٢) ١٥ ذى الحجة ١٢٣٤ هـ / ٥ أكتوبر ١٨١٩ م .

(٣) ١٥ذى الحجة ١٢٣٤ هـ / ٥ أكتوبر ١٨١٩ م .

(٤) آخر ذى الحجة ١٢٣٤ هـ / ١٩ أكتوبر ١٨١٩ م .

(٥) ١٥ هاتور ١٥٣٥ ق / ٢٣ نوفمبر ١٨١٨ م .

(٦) ١٦ هاتور ١٥٣٥ ق / ٢٤ نوفمبر ١٨١٨ م .

(٧) ١٢٣٥ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٩ - ٨ أكتوبر ١٨٢٠ م .

(٨) ١ محرم ١٢٣٥ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٩ م .

(٩) ٢٧ محرم ١٢٣٥ هـ / ١٦ نوفمبر ١٨١٩ م .

بلاد دارفور والنوبة ، ويمهد طريق الوصول إليهـا ، ومنها : أنهم قالوا إنه ظهر بتلك البلاد مـعدن الذهب والـفضة والرصاص والزمرد ، وأنّ ذهابـه للكشـف عن ذلك وامتحانه وعمـل معدله ومقدار ما يصرف علـيه حتى يستخرج صافيـه ، ويطل كل ما توهموه وخمنوه برجوعه ، وأما قولهم عن هذه المعادن ، فالذى تلخص من ذلك أنه ظهر بأرض أحجار خضر تشبه الزمـرد وليست إيَّاه ، وبمكان آخر شيء أسود مخرفش مثل خرء الحديد ، يخرج منه بعد العلاج والتصفية رصاص قليل ، فقد أخبرنى أخونا الشيخ عمر النـاوى المعروف بالمخلصى ، أنه أخذ منه قطعة ، وذهـب بها إلى الصائغ ودقها ووضعها فى بوط كـبير ، وساق عليها بنار السبك ، وانكسر الـبوط فنقلها إلى بوط آخر ، ولم يـزل يعالجهـا بـطـول النهار ، وأحرق عـليها زيادة عن القـنطار من الفحم .

وفيه [1] ، حضر أيضًا جماعة من الوهابية وأنزلوا بدار بحارة عابدين .

واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة ١٢٣٥ [2]

فى غرته [3] ، سافر مـحمد أغا المـعروف بأبو نـبوت الشامـى إلى دار السلـطنة باستدعاء من الدولـة ، وذلك أنه لما حضر مصر ونزل برحاب الباشـا كما تقدم وكاتب الباشا فى شأنه إلى الدولة ، فحضر الأمر بطلبه ، وأوكد بالإكرام ، فعند ذلك هيأ له الباشـــا ما يحـتاج إليه من هـدية وغيرها ، وتعـين للـسفر صـحبته خمســة وثلاثون شخصا ، أرسل إليهم الباشا كساوى وفراوى ، وترك باقى أتباعه بمصر ، أنزلوهم فى دار بسويـقة اللالا ، وهم يزيـدون عن المائتين ، ويصـرف لهم الرواتب فـى كل يوم والشهرية .

وفيه [4] ، وصل جمـاعة من عسكـر المغاربة والعرب الـذين كانوا ببـلاد الحجاز وصحبتـهم أسرى من الوهابية نـساء وبنات وغلمانـا ، نزلوا عند الهمايـل ، وطفقوا يبيعونهم على من يشتريهم مع أنهم مسلمون وأحرار .

وفى منتصفه [5] ، مات مـصطفى أغـا وكيل دار الـسعادة سابقًا ، ومـات أيضًا الشيخ عبد الرحمن القرشى الحنفى .

وفى ســـابع عشره [6] ، وصل الحـاج المصرى ، ومات الـكثيـر من الناس فـيه بالحمى ، وكذلك كثرت الحمى بأرض مصر وكأنها تناقلت من أرض الحجاز .

---

(١) ٢٧ محرم ١٢٣٥ هـ / ١٥ نوفمبر ١٨١٩ م . (٢) صفر ١٢٣٥ هـ / ١٩ نوفمبر - ١٧ ديسمبر ١٨١٩ م .
(٣) ١ صفر ١٢٣٥ هـ / ١٩ نوفمبر ١٨١٩ م . (٤) ١ صفر ١٢٣٥ هـ / ١٩ نوفمبر ١٨١٩ م .
(٥) ١٥ صفر ١٢٣٥ هـ / ٣ ديسمبر ١٨١٩ م . (٦) ١٧ صفر ١٢٣٥ هـ / ٥ ديسمبر ١٨١٩ م .

وفى حادى عشرينه [1] ، وصل إبراهيم باشا ابن الباشا من ناحية القصير ، وكان قبل وروده بأيام وصل خبر وصوله إلى القصير ، وضربوا لذلك الخبر مدافع من القلعة وغيرها ، ورمحت المبشرون لأخذ البقاشيش من الأعيان ، واجتمعت نساء أكابرهم عند والدته ونسائهم للتهنئة ، ونظموا له القصر الذى كان أنشأه ولى خوجه وتممه شريف بيك الذى تولى فى منصبه ، وهو بالروضة بشاطئ النيل تجاه الجيزة ، وعند وصول المذكور عملوا جسرا من الروضة إلى ساحل مصر القديمة على مراكب من البر إلى البر ، وردموه بالأتربة من فوق الأخشاب .

وفى ذلك اليوم [2] ، وصل قابجى من دار السلطنة بالبشارة بمولود ولد لحضرة السلطان ، وطلع إلى القلعة فى موكب .

وفى يوم الخميس حادى عشرينه [3] ، عند وصول إبراهيم باشا نودى بزينة المدينة سبعة أيام بلياليها ، فشرع الناس فى تزيين الحوانيت والدور والخانات بما أمكنهم ، وقدروا عليه من الملونات والمقصبات، وأما جهات النصارى وحاراتهم وخاناتهم ، فإنهم أبدعوا فى عمل تصاوير مجسمات وتماثيل وأشكال غريبة ، وشكا الناس من عدم وجود الزيت والشيرج ، فرسموا بجملة قناطير شيرج تعطى للزياتين لتباع على الناس بقصد ذلك ، فيأخذونها ويبيعونها بأغلى ثمن بعد الإنكار والكتمان .

ولما أصبح يوم الجمعة [4] ، وقد عدى إبراهيم باشا إلى بر مصر رتبوا له موكبا ، ودخل من باب النصر وشق المدينة ، وعلى رأسه الطلخان السليمى من شعار الوزارة ، وقد أرخى لحيته بالحجاز ، وحضر والده إلى جامع الغورية بقصد الفرجة على موكب ابنه ، وطلع بالموكب إلى القلعة ، ثم رجع سائرا بالهيئة الكاملة إلى جهة مصر القديمة ، ومر على الجسر ، وذهب إلى قصره المذكور بالروضة ، واستمرت الزينة والوقود والسهر بالليل ، وعمل الحراقات وضرب المدافع فى كل وقت من القلعة ، ومغانى وملاعب فى مجامع الناس سبعة أيام بلياليها فى مصر الجديدة والقديمة وبولاق ، وجميع الأخطاط ، ورجع إبراهيم باشا من هذه الغيبة متعاظما فى نفسه جداً ، وداخله من الغرور مالا مزيد عليه ، حتى أن المشايخ لما ذهبوا للسلام عليه ، والتهنئة بالقدوم ، فلما أقبلوا عليه وهو جالس فى ديوانه لم يقم لهم ، ولم يرد عليهم السلام ، فجلسوا وجعلوا يهنؤنه بالسلامة ، فلم يجبهم ولا بالإشارة ، بل جعل يحادث شخصا سخرية عنده ، وقاموا على مثل ذلك منصرفين ومنكسفين ومنكسرى الخاطر .

---

(١) ٢١ صفر ١٢٣٥ هـ / ٩ ديسمبر ١٨١٩ م . (٢) ٢١ صفر ١٢٣٥ هـ / ٩ ديسمبر ١٨١٩ م .
(٣) ٢١ صفر ١٢٣٥ هـ / ٩ ديسمبر ١٨١٩ م . (٤) ٢٢ صفر ١٢٣٥ هـ / ١٠ ديسمبر ١٨١٩ م .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الأحد سنة ١٢٣٥ (١)

فى ثامنه (٢) ، مات ابن إبراهيم باشا وهو الذى تقدمه فى المجئ إلى مصر ، وعملوا له الموكب ، وعمره نحو ست سنوات ، وكان موته فى أول الليل من ليلة الأحد (٣) ، فأرسلوا التنابيه لأعيان الدولة والمشايخ ، فخرج البعض منهم فى ثلث الليل الأخير إلى مصر القديمة حيث المعادى ، لأنه مات بقصر الجيزة ، فما طلع النهار حتى ازدحموا بمصر القديمة ، وما حضروا به إلا قرب الزوال ، وانجروا بالمشهد إلى مدفنهم بالقرب من الإمام الشافعى ، وعملوا له مأتما ، وفرقوا دراهم على الناس والفقهاء وغير ذلك ، ثم حكى المخبرون عن كيفية موته أنه كان نائما فى حجر دادته جارية سوداء ، فشاجرتها جارية بيضاء ورفستها برجلها ، فأصابت الغلام فاضطرب ووصل الخبر إلى أبيه ، فدخل إليهم وقبض على الجوارى الحاضرات وحبسهن فى مكان بالقصر ، وقال : « إن مات ولدى قتلتكن عن آخركن » ، فمات من ليلته فخنق الجميع وألقاهن فى البحر بما فيهن الدادة ، وقيل إنهن خمسة وقتل ستة ، والله أعلم .

وفى أواخره (٤) ، انقضى أمر الفحر بترعة الإسكندرية ، ولم يبق من الشغل إلا القليل ، ثم فتحوا لها شرما خلاف فمها المعمول خوفا من غلبة البحر ، فجرى فيها الماء ، واختلط بالمياه المالحة التى نبعت من أرضها ، وعلا الماء منها على بعض المواطن المسبخة ، وبها روبة عظيمة ، وساح على الأرض ، وليس ثم هناك جسور تمنع ، وصادف أيضًا وقوع نوّة وأهوية علا فيها البحر المالح على الجسر الكبير ووصل إلى الترعة ، فأشيع فى الناس أنَّ الترعة فسد أمرها ولم تصح ، وأنَّ المياه المالحة التى منها ومن البحر غرّقت الإسكندرية ، وخرج أهلها منها إلى أنْ تحقق الخبر بالواقع ، وهو دون ذلك ورجع المهندسون والفلاحون إلى بلادهم بعدما هلك معظمهم .

واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٣٥ (٥)

فى أوّله (٦) ، عزل الباشا محمد بيك الدفتردار عن إمارة الصعيد ، وقلد عوضه أحمد باشا ابن طاهر باشا وسافر فى خامسه (٧) .

(١) ربيع الأول ١٢٣٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨١٩ - ١٦ يناير ١٨٢٠ م .
(٢) ٨ ربيع الأول ١٢٣٥ هـ / ٢٥ ديسمبر ١٨١٩ م . (٣) ٨ ربيع الأول ١٢٣٥ هـ / ٢٥ ديسمبر ١٨١٩ م .
(٤) آخر ربيع الأول ١٢٣٥ هـ / ١٦ يناير ١٨٢٠ م .
(٥) ربيع الثانى ١٢٣٥ هـ / ١٧ يناير - ١٤ فبراير ١٨٢٠ م .
(٦) ١ ربيع الثانى ١٢٣٥ هـ / ١٧ يناير ١٨٢٠ م . (٧) ٥ ربيع الثانى ١٢٣٥ هـ / ٢١ يناير ١٨٢٠ م .

وفى سابعه [1] ، سافر الباشا إلى الإسكندرية للكشف على الترعة ، وسافر صحبته ابنه إبراهيم باشا ومحمد بيك الدفتردار والكتخدا القديم ودبوس أوغلى .

وفى ثالث عشره [2] ، حضر الباشا ومن معه من غيبتهم وقد انشرح خاطره لتمام الترعة وسلوك المراكب وسفرها فيها ، وكذلك سافرت فيها مراكب رشيد والنقاير بالبضائع ، واستراحوا من وغر البغاز والسفر فى المالح إلى الإسكندرية ، والنقل والتجريم ، وانتظار الريح المناسب لاقتحام البغاز والبحر الكبير ، ولم يبق فى شغل الترعة إلا الأمر اليسير ، وإصلاح بعض جسورها .

واتفق وقوع حادثة فى هذا الشهر [3] ، وهو أن شخصا من الإفرنج الإنكليز ورد من الإسكندرية ، وطلع إلى بلدة تسمى كفر حشاد ، فمشى بالغيط ليصطاد الطير ، فضرب طيرا ببندقية فأصابت بعض الفلاحين فى رجله ، وصادف هناك شخصا من الأرنؤد بيده هراوة أو مسوقة ، فجاء إلى ذلك الإفرنجى ، وقال له : « أما تخشى أن يأتى إليك بعض الفلاحين ويضربك على رأسك هكذا » ، وأشار بما فى يده على رأس الإفرنجى لكونه لايفهم لغته ، فاغتاظ منه ذلك الإفرنجى وضربه ببندقيته فسقط ميتا ، فاجتمع عليه الفلاحون وقبضوا على الإفرنجى ، ورفعوا الأرنؤدى المقتول ، وحضروا إلى مصر ، وطلعوا بمجلس كتخدا ، واجتمع الكثير من الأرنؤد وقالوا : « لابد من قتل الإفرنجى » ، فاستعظم الكتخدا ذلك ، لأنهم يراعون جانب الإفرنج إلى الغاية، فقال : « حتى نرسل إلى القناصل ونحضرهم ليروا حكمهم فى ذلك » ، وأرسل بإحضارهم ، وقد تكاثر الأرنؤد وأخذتهم الحمية ، وقالوا : « لأى شىء تؤخر قتله إلى مشورة القناصل ، وإن لم يقتل هذا فى الوقت نزلنا إلى حارة الإفرنج ونهبناها وقتلنا كل من بها من الإفرنج » ، فلم يسع الكتخدا إلا أن أمر بقتله ، فنزلوا به إلى الزميلة ، وقطعوا رأسه ، وطلع أيضًا القناصل فى كبكبتهم وقد نفذ الأمر ، وكان ذلك فى غيبة الباشا .

واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢٣٥ [4]

فيه [5] ، جرد الباشا حسن بيك الشماشرجى حاكم البحيرة على سيوة من الجهة القبلية ، فتوجه إليها من البحيرة بجنده ، ومعه طائفة من العرب .

---

(١) ٧ ربيع الثانى ١٢٣٥ هـ / ٢٣ يناير ١٨٢٠ م . (٢) ١٣ ربيع الثانى ١٢٣٥ هـ / ٢٩ يناير ١٨٢٠ م .

(٣) ربيع الثانى ١٢٣٥ هـ/ ١٧ يناير - ١٤ فبراير ١٨٢٠ م ، كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٣٠٧ ، طبعة بولاق « ذكر حادثة » .

(٤) جمادى الأولى ١٢٣٥ هـ / ١٥ فبراير - ١٥ مارس ١٨٢٠ م .

(٥) ١ جمادى الأولى ١٢٣٥ هـ / ١٥ فبراير ١٨٢٠ م .

وفيه [1] ، قوى عزم الباشا على الإغارة على نواحى السودان ، فمن قائل إنه متوجه إلى سنار ، ومن قائل إلى دارفور ، وصارى العسكر ابنه إسماعيل باشا وخلافه ، ووجه الكثير من اللوازم إلى الجهة القبلية ، وعمل البقسماط والذخيرة ببلاد قبلى والشرقية ، واهتم اهتماما عظيما ، وأرسل أيضًا بإحضار مشايخ العربان والقبائل.

وفيه [2] ، خرج الباشا إلى ناحية القليوبية حيث الخيول بالربيع ، وخرج محو بيك لضيافته بقلقشندة ، وأخرج خياما وجمالا كثيرة محملة بالفرش والنحاس وآلات المطبخ والأرز والسمن والعسل والزيت والحطب والسكر وغير ذلك ، وأضافه ثلاثة أيام ، وكذلك تأمر كاشف الناحية وغيره ، وكذلك أحضر له ضيافة ابن شديد شيخ الحويطات ، وابن الشواربى كبير قليوب ، وابن عسر ، وكان صحبة الباشا ولداه إبراهيم باشا وإسماعيل باشا ، وحسن باشا .

وفى أثناء ذلك ، ورد الخبر بموت عابدين بيك أخو حسن باشا بالديار الحجازية ، وكذلك الكثير من أتباعه بالحمى ، فتكدر حظهم ، وبطلت الضيافات ، وحضر الباشا ومن معه فى أواخره [3] لعمل العزاء والميتم ، وأخبر الواردون بكثرة الحمى بالديار الحجازية ، حتى قالوا : « إنه لم يبق من طائفة عابدين بيك إلا القليل جدًا » .

واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٥ [4]

فى عشرينه [5] ، وردت هدية من والى الشام فيها من الخيول الخاص عشرة ، بعضها ملبس ، والباقى من غير سروج وأشياء أخر لانعلمها .

وفى أواخره [6] ، ورد الخبر بأن حسن بيك الشماشرجى استولى على سيوة .

وفيه [7] ، ورد الخبر بأنه وقع بإسلامبول حريق كثير .

---

(١) ١ جمادى الأولى ١٢٣٥ هـ / ١٥ فبراير ١٨٢٠ م .
(٢) ١ جمادى الأولى ١٢٣٥ هـ / ١٥ فبراير ١٨٢٠ م .
(٣) آخر جمادى الأولى ١٢٣٥ هـ / ١٥ مارس ١٨٢٠ م .
(٤) جمادى الثانية ١٢٣٥ هـ / ١٦ مارس - ١٣ أبريل ١٨٢٠ م .
(٥) ٢٠ جمادى الثانية ١٢٣٥ هـ / ٤ أبريل ١٨٢٠ م .
(٦) آخر جمادى الثانية ١٢٣٥ هـ / ١٣ أبريل ١٨٢٠ م .
(٧) آخر جمادى الثانية ١٢٣٥ هـ / ١٣ أبريل ١٨٢٠ م .

وفيه [1] ، ورد الخبر أيضًا عن حلب بأن أحمد باشا المعروف بخورشيد الذى كان سابقا والى مصر استولى على حلب ، وقتل من أهلها وأعيانها أناسا كثيرة ، وذلك أنه كان متوليا عليها ، فحصل منه ما أوجب قيام أهل البلدة عليه وعزلوه وأخرجوه ، وذلك من مدة سابقة ، فلما أخرجوه أقام خارجها ، وكاتب الدولة من شأنهم ، وقال ما قال فى حقهم ، فبعثوا أوامر ومراسيم لولاة تلك النواحى بأن يتوجهوا لمعونته على أهل حلب ، فاحتاطوا بالبلدة وحاربوها أشهرا حتى ملكوها وفتكوا فى أهلها ، وضربوا عليهم ضرائب عظيمة وهم على ذلك .

وفى أواخره [2] ، أيضًا تقلد أغاوية مستحفظان مصطفى أغا كرد مضافة للحسبة ، عوضا عن حسن آغا الذى توفى فى الحج ، فأخذ يعسف كعادته فى مبادئ توليته للحسبة ، وجعل يطوف ليلا ونهارا ، ويحتج على المارين بالليل بأدنى سبب ، فيضرب من يصادفه راجعا من سهر ونحوه ، أو يقطع من أذنه أو أنفه .

واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٣٥ [3]

فى ثالثه [4] ، تقلد نظر الحسبة شخص يسمى حسين آغا المورلى ، وهو بخشونجى بساتين الباشا .

وفيه [5] ، رجع حسن بيك الشماشرجى من ناحية سيوة بعد أن استولى عليها ، وقبض من أهاليها مبلغا من المال والتمر ، وقرر عليها قدرا يقومون به فى كل عام إلى الخزينة .

وفى عشرينه [6] ، سافر محمد أغا لاظ وهو المنفصل عن الكتخدائية إلى قبلى ، بمعنى أنه فى مقدمة الجردة يتقدمها إلى الشلال

وفى أواخره [7] ، وصل الخبر بموت خليل باشا بالديار الحجازية ، فخلع الباشا على أخيه أحمد بيك ، وهو ثالث إخوته ، وهو أوسطهم ، وقلده فى منصب أخيه عوضا عنه ، وأعطى البيرق واللوازم .

---

(١) آخر جمادى الثانية ١٢٣٥ هـ / ١٣ أبريل ١٨٢٠ م .
(٢) آخر جمادى الثانية ١٢٣٥ هـ / ١٣ أبريل ١٨٢٠ م .
(٣) رجب ١٢٣٥ هـ / ١٤ أبريل - ١٣ مايو ١٨٢٠ م .
(٤) ٣ رجب ١٢٣٥ هـ / ١٦ أبريل ١٨٢٠ م .
(٥) ٣ رجب ١٢٣٥ هـ / ١٦ أبريل ١٨٢٠ م .
(٦) ٢٠ رجب ١٢٣٥ هـ / ٣ مايو ١٨٢٠ م .
(٧) آخر رجب ١٢٣٥ هـ / ١٣ مايو ١٨٢٠ م .

وفى أواخره [1] ، توجه الباشا إلى ناحية الوادى لينظر ما تجدد به من العمائر والمزارع والسواقى ، وقد صار هذا الوادى إقليما على حدته ، وعمر به قرى ومساكن ومزارع .

واستهل شهر شعبان بيوم الأحد سنة ١٢٣٥ [2]

فيه [3] ، سافر إبراهيم باشا إلى القليوبية ، ثم إلى المنوفية ، والغربية ، لقبض الخراج على سنة تاريخه [4] ، والطلب بالبواقى التى انكسرت على الفقراء ، وكان الباشا سامح فى ذلك ، وتلك بواقى سبع سنين ، فكان يطلب مجموع ما على القرية من المال والبواقى فى ظرف ثلاثة أيام ، ففزعت الفلاحون ومشايخ البلاد ، وتركوا غلالهم فى الأجران ، وطفشوا فى النواحى بنسائهم وأولادهم ، وكان يحبس من يجده من النساء ، ويضربهن ، فكان مجموع المال المطلوب تحصيله على ما أخبرنى به بعض الكتاب مائة ألف كيس .

وفى منتصفه [5] ، حضر الباشا من ناحية الوادى .

وفى أواخره [6] ، وقع حريق ببولاق فى مغالق الخشب التى خلف جامع مرزه ، وأقام الحريق نحو يومين حتى طفئ ، واحترق فيه الكثير من الخشب المعد للعمائر ، المعروف بالكرسنة والزفت وخطب الأشراق وغيره .

واستهل شهر رمضان بيوم الإثنين سنة ١٢٣٥ [7]

والاهتمام حاصل ، وكل قليل يخرج عساكر ومغاربة مسافرين إلى بلاد السودان ، ومن جملة الطلب ثلاثة أنفار من طلبة العلم يذهبون بصحبة التجريدة ، فوقع الاختيار على محمد أفندى الأسيوطى ، قاضى أسيوط ، والسيد أحمد البقلى الشافعيين ، والشيخ أحمد السلاوى المغربى المالكى ، وأقبضوا محمد أفندى المذكور عشرين كيسا وكسوة ، ولكل واحد من الاثنين خمسة عشر كيسا وكسوة ، ورتبوا لهم ذلك فى كل سنة .

---

(١) آخر رجب ١٢٣٥ هـ / ١٣ مايو ١٨٢٠ م . (٢) شعبان ١٢٣٥ هـ / ١٤ مايو - ١١ يونيه ١٨٢٠ م .

(٣) شعبان ١٢٣٥ هـ / ١٤ مايو - ١١ يونيه ١٨٢٠ م

(٤) ١٢٣٥ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٩ - ٨ أكتوبر ١٨٢٠ م .

(٥) ١٥ شعبان ١٢٣٥ هـ / ٢٨ مايو ١٨٢٠ م ، كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٣٠٩ ، طبعة بولاق « قوله مائة ألف كيس فى بعض النسخ مائة ألف كيس وسبعين ألف كيس أ هـ » .

(٦) آخر شعبان ١٢٣٥ هـ / ١١ يونيه ١٨٢٠ م . (٧) رمضان ١٢٣٥ هـ / ١٢ يونيه - ١١ يوليه ١٨٢٠ م .

وفى سابعه [1] ، وقع حريق فى سراية القلعة ، فطلع الأغا والوالى وأغات التبديل ، واهتموا بطفء النار ، وطلبوا السقائين من كل ناحية ، حتى شح الماء ، ولايكاد يوجد ، وكان ذلك فى شدة الحر ، وتوافق شهر بؤنه ورمضان [2] ، وأقاموا فى طفء النار يومين ، واحترق ناحية ديوان كتخدا بيك ، ومجلس شريف بيك ، وتلفت أشياء وأمتعة ودفاتر حرقا ونهبا ، وذلك أنّ أبنية القلعة كانت من بناء الملوك المصرية بالأحجار والصخور والعقود ، وليس بها إلا القليل من الأخشاب ، فهدموا ذلك جميعه ، وبنوا مكانه الأبنية الرقيقة ، وأكثرها من الحجنة والأخشاب على طريق بناء إسلامبول والإفرنج ، وزخرفوها وطلوها بالبياض الرقيق والأدهان والنقوش ، وكله سريع الاشتعال ، حتى أنّ الباشا لما بلغه هذا الحريق ، وكان مقيما بشبرا ، تذكر بناء القلعة القديم وما كان فيه من المتانة ، ويلوم على تغيير الوضع السابق ، ويقول : « أنا كنت غائبا بالحجاز والمهندسون وضعوا هذا البناء » ، وقد تلف فى هذا الحريق ما ينيف عن خمسة وعشرين ألف كيس حرقا ونهبا ، ولما حصل هذا الحريق انتقلت الدواوين إلى بيت طاهر باشا بالأزبكية ، وانقضى شهر رمضان .

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٥ [3]

وقع فى تلك الليلة اضطراب فى ثبوت الهلال ، لكونه كان عسر الرؤية جدا ، وشهد اثنان برؤيته ، ورد الواحد ، ثم حضر آخر ، ولم يزالوا كذلك إلى آخر الليل، ثم حكم به عند الفجر بعد أن صليت التراويح ، وأوقدت المنارات وطاف المسحرون بطبلاتهم ، وتسحرت الناس ، وأصبح العيد باردا .

وفى خامسه [4] ، سافر الباشا إلى ثغر سكندرية كعادته ، وأقام ولده إبراهيم باشا للنظر فى الأحكام والشكاوى والدعاوى ، وكانت إقامته بقصره الذى أنشأه بشاطئ النيل تجاه مضرب النشاب ، وتعاظم فى نفسه جدا ، ولما رجع إبراهيم باشا من سرحته شرعوا فى عمل مهم لختان عباس باشا ابن أخيه طوسون باشا ، وهو غلام فى السادسة ، فشرعوا فى ذلك فى تاسع عشره [5] ، ونصبوا خياما كثيرة تحت القصر ، وحضرت أرباب الملاعيب والحواة والمغزلكون والبهلوانيون ، وطبخت الأطعمة والحلواء والأسمطة ، وأوقدت الواقدات بالليل من المشاعل والقناديل

---

(١) ٧ رمضان ١٢٣٥ هـ / ١٨ يونيه ١٨٢٠ م .

(٢) بؤنه ١٥٣٦ ق / رمضان ١٢٣٥ هـ / ١٢ يونيه - ١١ يوليه ١٨٢٠ م .

(٣) شوال ١٢٣٥ هـ / ١٢ يوليه - ٩ أغسطس ١٨٢٠ م . (٤) ٥ شوال ١٢٣٥ هـ / ١٦ يوليه ١٨٢٠ م

(٥) ١٩ شوال ١٢٣٥ هـ / ٣٠ يوليه ١٨٢٠ م

والشموع بداخل القصر ، وتعاليق النجفات البلور وغير ذلك ، ورسموا بإحضار غلمان أولاد الفقراء ، فحضر الكثير منهم ، وأحضروا المزينين فختنوا فى أثناء أيام الفرح نحو الأربعمائة غلام ، ويفرشون لكل غلام طراحة ولحافا يرقد عليها حتى يبرأ جرحه ، ثم يعطى لكل غلام كسوة وألف نصف فضة ، وفى كل ليلة يعمل شنك وحراقات ونفوط ومدافع بطول الليل ، ودعوا فى أثناء ذلك كبار الأشياخ والقاضى والشيخ السادات والبكرى - وهو نقيب الأشراف - والمفاتى وصار كل من دخل منهم يجلسونه من سكوت ، ولم يقم لواحد منهم ، ولم يرد على من يسلم ولا بالإشارة السلام ، ولم يكلمهم بكلمة يؤانسهم بها ، وحضرت المائدة فتعاطوا الذى تعاطوه ، حتى انقضى المجلس ، وقاموا وانصرفوا من سكوت .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرينه [1] ، خرجوا بالمحمل إلى الحصوة ، وأمير الحاج شخص من الدلاة لم نعرف اسمه .

وفى يوم الخميس [2] ، عملوا الزفة لعباس باشا ونزلوا به من القلعة إلى الدرب الأحمر على باب الخرق إلى القصر ، وختنوه فى ذلك اليوم ، وامتلأ طشت المزين الذى ختنه بالدنانير من نقوط الأكابر والأعيان ، وخلعوا عليه فروة وشال كشميرى ، وأنعموا على باقى المزينين بثلاثين كيسا وانقضى ذلك .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه الموافق لثالث مسرى القبطى [3] ، أوفى النيل أذرعه ، وكسر السد فى صبحها يوم الأربعاء [4] ، وجرى الماء فى الخليج ، وذلك بحضرة كتخدا بيك والقاضى .

وفى هذا الشهر [5] ، حضر طائفة من بواقى الأمراء المصرية من دنقلة إلى بر الجيزة ، وهم نحو الخمسة وعشرين شخصا ، وملابسهم قمصان بيض لا غير ، فأقاموا فى خيمة ينتظرون الإذن ، وقد تقدم منهم الإرسال بطلب الأمان عندما بلغهم خروج التجاريد ، وحضر ابن على بيك أيوب ، وطلب أمانا لأبيه فأجيبوا إلى ذلك ، وأرسل لهم أمانا لأجمعهم ما عدا عبد الرحمن بيك ، والذى يقال له المنفوخ ، فليس يعطيهم أمانا ، ولما حضرت مراسلة الأمان لعلى بيك أيوب ، وتأهب للرحيل حقدوا عليه وقتلوه ، ووصل خبر موته فعملوا نعيه فى بيته بسكن زوجته الكائن بشمس الدولة ، وأكثروا من الندب والصراخ عدة أيام .

---

(١) ٢٣ شوال ١٢٣٥ هـ / ٣ اغسطس ١٨٢٠ م (٢) ٢٤ شوال ١٢٣٥ هـ / ٤ اغسطس ١٨٢٠ م

(٣) ٢٩ شوال ١٢٣٥ هـ / ٣ مسرى ١٥٣٦ ق / ٨ أغسطس ١٨٢٠ م .

(٤) ٣٠ شوال ١٢٣٥ هـ / ٩ اغسطس ١٨٢٠ م .

(٥) شوال ١٢٣٥ هـ / ١٢ يوليه - ٩ اغسطس ١٨٢٠ م .

وفى هذا الشـهر أيضًا [1] حضر أشـخاص من بلاد العجـم وصحبتهم هـدية إلى الباشـا ، وفيها خـيـول ، فأنزلوهم ببيـت حسين بيك الشـماشرجى بناحيـة سويقة العزى .

واستهل شهر ذى القعدة بيوم الخميس سنة ١٢٣٥ [2]

فى رابعـه يوم الأحد [3] ، وصل قابجـى وعلى يده مرسوم تـقرير للباشـا بولاية مصر عـلى السنـة الجديدة ، وتقـرير آخر لولـده إبراهيم بـاشا بولاية جـدة ، وركب القابجى المـذكور فى موكب من بولاق إلى القـلعة ، وقرئت المراسيم بحـضرة كتخدا بيك وإبراهيم باشا وأعيانهم وضربوا مدافع .

وفيه [4] ، سافر إسماعـيل باشا إلى جهة قبلـى ، وهو أمير العسكر المعـينة لبلاد النوبة ، كل ذلك والباشا الكبير على حاله بالإسكندرية .

واستهل شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٥ [5]

فيه [6] ، توجه إبراهيم باشا إلى أبيه بالإسكندرية ، فأقام هناك أياما وعاد فى آخر الشهر ، فأقام بمصر أياما قليلة ، وسافر إلى نـاحية قبلى ، ليجمع ما يجده عند الناس من القـمح والفول والعـدس الثلاثة أصنـاف ، وأخذوا كل سفـينة غصبـا ، وساقوا الجميع إلى قبلى لحمل الغلال ، وجمعها فى الشون البحرية لتباع على الإفرنج والروم بالأثمان الغالية ، وانقضت السنة .

ومن حوادثها ، زيادة النيل الزيادة المفرطـة ، وخصوصا بعد الصليب ، وقد كان حصل الاعتناء الزائد بـأمر الجسور بسبب ما حصل فى العامين الـسابقين من التلف ، فلما حصلت هـذه الزيادة بعد الصليب ، وطف الماء علـى أعلى الجسور وغرق مزارع الذرة والنيـلة والقصب والأرز والقـطن وأشجار البسـاتين ، وغالب أشجار الـليمون والبرتقال بما عليها من الثمار ، وصار المـاء ينبع من الأرض المنوعة تبعا ، ولا عاصم من أمر الله وطال مكث الماء على الأرض حتى فات أوان الزراعة ، ولم نسمع ولم نر فى خوالى السـنين تتابع الغرقات ، بـل كان الغرق نادر الحصول ، وعلا مـاء الخليج

---

(١) شوال ١٢٣٥ هـ / ١٢ يوليه - ٩ اغسطس ١٨٢٠ م .

(٢) ذى القعدة ١٢٣٥ هـ / ١٠ اغسطس - ٨ سبتمبر ١٨٢٠ م .

(٣) ٤ ذى القعدة ١٢٣٥ هـ / ١٣ اغسطس ١٨٢٠ م . (٤) ٤ ذى القعدة ١٢٣٥ هـ / ١٣ اغسطس ١٨٢٠ م .

(٥) ذى الحجة ١٢٣٥ هـ / ٩ سبتمبر - ٨ أكتوبر ١٨٢٠ م . (٦) ١ذى الحجة ١٢٣٥ هـ / ٩ سبتمبر ١٨٢٠ م .

حتى سد غالب فرجات القناطر ، ونبع الماء من الأراضى الواطية القرية من الخليج مثل غيط العدة ، وجامع الأمير حسين ونحو ذلك .

ومنها : أن ترعة الإسكندرية المحدثة لما تم حفرها وسموها بالمحمودية على اسم السلطان محمود ، فتحوا لها شرما دون فمها المعد لذلك ، وامتلأت بالماء ، فلما بدأت الزيادة فزادت وطف الماء فى المواضع الواطية ، وغرقت الأراضى ، فسدوا ذلك الشرم ، وأبقو من داخله فيها عدّة مراكب للمسافرين ، فكانوا ينقلون منها إلى مراكب البحر ، ومن البحر إلى مراكبها ، وبقى ماؤها مالحا متغيرا ، واستمر أهل الثغر فى جهد من قلة الماء العذب ، وبلغ ثمن الراوية قرشين .

ومنها : أنه لما وقع القياس فى أراضى القرى ، قرروا مسموحا لمشايخ البلاد فى نظير مضايفهم خمسة أفدنة من كل مائة فدان ، وفى هذا العام يدفع مال المسموح ستين ، وذلك عقب مطالبتهم بالخراج قبل أوانه ، وما صدقوا أنهم غلقوه ببيع غلالهم بالنسيئة والاستدانة وبيع المواشى والأمتعة ومصاغ النساء ، وكانوا أيضًا طولبوا بالبواقى فى السنين الخوالى التى كانوا عجزوا عنها ، ولم يزل رمى الغلال فى هذه السنة ، وكذلك الفول وثمر النخيل والفواكه ، ولما طولب مشايخ البلاد بمال المسموح ازداد كربهم ، فإنه ربما يجئ على الواحد ألف ريال وأقل وأكثر ، وقد قاسوا الشدائد فى غلاق الخراج الخارج عن الحدّ ، وعدم زكاء الزرع وغرق مزارع النيلة والأرز والقطن والقصب والكتان وغير ذلك .

وفى أثر ذلك : فرضوا على الجواميس كل رأس عشرون قرشا ، وعلى الجمل ستون قرشا ، وعلى الشاة قرش ، والرأس من المعز سبعة وعشرون نصفا وثلث ، والبقرة خمسة عشر ، والفرس كذلك .

ومنها : احتكار الصابون ، ويحجز جميع الوارد على ذمة الباشا ، ثم سومح تجاره بشرط أن يكون جميع صابون الباشا ومرتباته ودائرته من غير ثمن ، وهو شىء كثير ، ويستقر ثمنه على ستين نصفا ، بعد أن كان بخمسين جردا من غير نقو .

ومنها : ما أحدث على البلح بأنواعه ، وما يجلب من الصعيد والإبريمى ، وأنواع العجوة ، حتى جريد النخل والليف والخوص ، يؤخذ جميع ذلك بالثمن القليل ، ويباع ذلك للمتسببين بالثمن الزائد ، وعلى الناس بأزيد من ذلك ، وفى هذه السنة [1] ، لم تثمر النخيل إلا القليل جدا ، ولم يظهر البلح الأحمر فى أيام

---

(1) ١٢٣٥ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٩ - ٨ أكتوبر ١٨٢٠ م .

وفرته ، ولم يـوجد بالأسواق إلا أياما قليـلة ، وهو شيء رديء وبسر ليـس بجيد ، ورطله بخمـسة أنصاف ، وهى ثمن العـشرة أرطال فى السابق ، وكذلـك العنب لم يظهر مـنه إلا القليل ، وهو الـفيومى والشرقـاوى ، وقد التزم به من يعـصره شرابا بأكياس كثيرة ، مثل غيره من الأصناف ، وغيـر ذلك جزئيات لم يصل إلينا علمها ، ومنها ما وصل إلينا علمها ، وأهملنا ذكرها .

ومنها : أن حسـن باشا سافر إلى الجهة القـبلية ، وصحبته بـعض الإفرنج الذين كان رخص لهم الباشا السياحة والغوص بأراضى الصعيد والفحص ، وفحر الأراضى والكهوف ، والبرابى واستخراج الآثار القديمة ، والأمم السالفة من التماثيل والتصاوير ونواويس الموتـى ، وقطع الصخور بالبـارود ، وأشاعوا أنه ظهر لهم شـىء مخرفش يشبه خرء الرصـاص أو الحديد ، وبه بعض بريق ، ذكروا أنه مـعدن إذا تصفى خرج منه فضة وذهب ، وأخبرنى بعض من أثق بخـبره ، أنه أخذ منه قطعة تزيد فى الوزن على رطلين ، وذهب بها عند رجل صائغ ، فأوقد عليها نحو قنطار من الفحم بطول النهار ، فخرج منها فى آخر الأمر ، وهو ينقلها من بوط إلى آخر بعد كسره ، قطعة مثل الرصاص قدر الأوقـية ، وذكروا أيضًا ، أن بالجبل أحجارا سودا تـوقد فى النار مثل الفحم ، وذلـك لأنهم أتوا بمثل ذلك من بلاد الإفرنج ، وأوقدوها بـالضربخانة كريهة الرائحة مثل الكبريت ، ولا تصير رمادا بل تبقى على حجريتها مع تغير اللـون ويحتاج إلـى نقلها إلى الـكيمان ، وقالوا : « إنَّ بـداخل جبال الصعـيد كذلك » ، فسافر حسـن باشا بقصد استخراج هذه الأشـياء وأمثالها ، فأقام نحـو ثلاثة أشهر ، وذلك بأمر الباشا الكبير وهم يكسرون الجبل بـالبارود ، فظهر بالجبل بجس يسيل منه دهن أسود بزرقة ورائحته زنخة كبريتية يشبه النفط ، وليس هو ، وأتوا بشىء منه إلى مصر ، وأوقدوا منه السـرج فملأوا منه سبعة مصافى ، وانقـطع ، وأشيع فى الناس قبل تحـقق صورته ، بل وصـلت مكاتبات بـأنه خرج من الجبـل عين تسيل بـالزيت الطيـب ، ولاينقطع جريانها ، يكفـى مصر وإقطاعها ، بل والدنيا أيضًا ، وأخبرنى بعض أتباعهم أن الذى صرف فى هذه المرة نحو الألفى كيس .

ومن حوادث هـذه السنة الخارجـة عن أرض مصر ، أن السلـطان محمود تـغير خاطره على عليّ باشا المعروف بتبه رنلى حاكم بلاد الأرنؤد ، وجرد عليه العساكر ، ووقع لهم معه حروب ووقائع ، واستولوا على أكثر البلاد التى تحت حكمه ، وتحصن هو فى قلعة منـيعة ، وعلى باشا هذا فى مملكة واسعة وجـنود كثيرة ، وله عدة أولاد متأمرين كذلـك ، وبلادهم بين بلاد الرومنلى والنيمـسا ، ويقال : « إنَّ بعض أولاده

دخل تحت الطاعة ، وكذلك الكثير من عساكره ، وبقى الأمر على ذلك ، ودخل الشتاء ، وانقضت السنة [1] ، ولم يتحقق عنه خبر .

ومنها : أمر المعاملة وما يقع فيه من التخليط والزيادة ، حتى بلغ صرف الريال الفرانسة اثنى عشر قرشا ، عنها أربعمائة وثمانون نصفا ، والبندقى ألف فضة ، وكذلك المجر والفندقلى الإسلامى سبعة عشر قرشا ، والقرش الإسلامبولى بمعنى المضروب هناك المنقول إلى مصر ، يصرف بقرشين وربع ، يزيد عن المصرى ستين نصفا ، وكذلك الفندقلى الإسلامبولى يصرف فى بلدته بأحد عشر قرشا ، وبمصر بسبعة عشر كما تقدم ، فتكون زيادته ستة قروش ، وكذلك الفرانسا فى بلادها تصرف بأربعة قروش ، وبإسلامبول بسبعة ، وبمصر باثنى عشر ، وأما الأنصاف العددية التى تذكر فى المصارفات فلا وجود لها أصلا إلا فى النادر جدا ، واستغنى الناس عنها لغلو الأثمان فى جميع المبيعات والمشتروات ، وصار البشلك الذى يقال له الخمساوية ، أى صرفه خمسة أنصاف ، هى بدل النصف ، لأنه لما بطل ضرب القروش بضربخانة مصر، وعوض عنها نصف القرش وربعه وثمنه الذى هو البشلك، ولم يبق بالقطر إلا ما كان موجودا قبل وهو كثير يتناقل بأيدى الناس وأهل القرى ، ويعود إلى الخزينة ، ويصرف فى المصارف والمشاهرات ، وعلائف العساكر ، وهم كذلك يشترون لوازمهم ، فتذهب وتعود ، وهكذا تدور مع الفلك كلما دار ، ويصرف القرش عند الاحتياج إلى صرفه بسبعة من البشلك ينقص الثمن فباعتبار كونها فى مقام النصف ، يكون القرش بسبعة أنصاف لا غير ، واعتبار ذلك يكون الألف فضة بمائة وخمسة وسبعين فضة ، لأن الخمسة وعشرين قرشا التى هى بدل الألف إذا نقصت فى المصارفة الثمن ، تكون إحدى وعشرين [2] ، وإذا ضربنا السبعة فى الخمسة وعشرين كانت مائة وخمسة وسبعين ، وفيها من الفضة الخالصة ستة دراهم لا غير وأوزان هذه القطع مختلفة لاتجد قطعة وزن نظيرتها ، وفى ذلك فرط آخر ، والقليل فى الكثير كثير ، والذى أدركناه فى الزمن السابق أن هذه القروش لم يكن لها وجود بالقطر المصرى البتة ، وأول من أحدثها بمصر على بيك القازدغلى بعد الثمانين ومائة وألف ، عندما استفحل أمره ، وأكثر من العساكر والنفقات ، وأظهر العصيان على الدولة ، ولما استولى محمد بيك المعروف بأبى الذهب أبطلها رأسا من

---

(١) ١٢٣٥ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٩ - ٨ أكتوبر ١٨٢٠ م .

(٢) كتب أمام هذه العبارة بهامش ص ٣١٣ ، طبعة بولاق « تكون إحدى وعشرين أى من العدد الصحيح فلا ينافى زيادة الكسر أ هـ » .

الإقليم وخسر الناس بسبب إبطالها حصة من أموالهم مع فرحهم بإبطالها ، ولم يتأثروا بتلك الخسارة لكثرة الخير والمكاسب ، ولم يبق من أصناف المعاملة إلا أنواع الذهب الإسلامي والإفرنجي ، والفرانسة ونصفه وربعه ، والفضة الصغيرة التي يقال لها نصف فضة ، مع رخاء الأسعار وكثرة المكاسب ، ويصرف هذا النصف بعدد من الأفلس النحاس التي يقال لها الجدد ، إما عشرة أو اثنا عشر إذا كانت مضروبة ومختومة ، أو عشرين إذا كانت صغيرة وبخلاف ذلك ، ويقال لها السحاتة ، فكان غالب المحقرات يقضى بهذه الجدد ، بل وخلاف المحقرات ، وفي البيع والشراء ، وكان يجلب منها الكثير مع الحجاج المغاربة في المخالي ، ويبيعونها على أهل الأسواق بوزن الأرطال ويربحون فيها ، فكان الفقير أو الأجير إذا اكتسب نصفا وصرفه بهذه الجدد ، كفاه نفقة يومه مع رخاء الأسعار ، ويشترى منها خبزا وإداما ، وإذا احتاج الطابخ لوازم الطبخة في التقلية أخذ من البقال البصل والثوم والسلق والكسبرة والبقدونس والفجل والكرات والليمون الصنف أو الصنفين أو الثلاثة بالجديد الواحد ، وقد انعدمت هذه الجدد بالكلية ، وإذا وجدت فلا ينتفع بها أصلا ، وصار النصف الفضة بمنزلة الجديد النحاس ولا وجود له أيضًا ، وصارت الخمساوية بمنزلة النصف بل وأحقر ، لأنه كان يصرف بعدد كثير من الجدد ، وهذه بخمسة فقط ، فإذا أخذ الشخص شيئًا من المحقرات بنصف أو نصفين أو ثلاثة ما كان يؤخذ بجديد أو جديدين ، ولم يجد عند البائع بقية الخمساوية فإما يترك الباقي لوقت احتياج آخر ، إن كان يعرفه ، وإلا تعطلا ، وإذا كان الإنسان بالسوق ولحقه العطش فيشرب من السقاء الطواف ويعطيه جديدا ، أو يملأ صاحب الحانوت إبريقه بجديد .

وفي هذه الأيام إذا كان الشخص لم يكن معه بشلك يشرب به وإلا بقي عطشانا حتى يشرب من داره ، ولايهون عليه أن يدفع ثمن قربة في شربة ماء ، وذلك لعدم وجود النصف ، وكذلك الصدقة على الفقراء وأمثالهم ، وقد كان الناس من أرباب البيوت ، إذا زاد بعد ثمن اللحم والخضار نصف ، يسألون الخادم في اليوم الثاني عنه لكونه نصف المصروف ، ويحاسبونه عليه ، وكان صاحب العيال وذووا البيوت المحتوية على عدة أشخاص من عيال وجوار وخدم ، إذا ادخر الغلة والسمن والعسل والحطب ونحو ذلك ، يكفيه في مصروف يومه العشرة أنصاف في ثمن اللحم والخضار وخلافه ، وأما اليوم فلا يقوم مقامها العشرة قروش وأزيد ، لغلو الأسعار في كل شيء بسبب الحوادث والاحتكارات السابقة والمتجددة كل وقت في جميع الأصناف ، ولايخفى أن أسباب الخراب التي نص عليها المتقدمون اجتمعت

وتضاعفت فى هذه السنين ، وهى زيادة الخراج واختلال المعاملة أيضًا والمكوس ، وزاد على ذلك احتكار جميع الأصناف والاستيلاء على أرزاق الناس ، فلا تجد مرزوقا إلا من كان فى خدمة الدولة متوليا على نوع من أنواع المكوس أو مباشرا أو كاتبا أو صانعا فى الصنائع المحدثة ، ولايخلو من هفوة ينمّ بها عليه ، فيحاسب مدة إستيلائه فيجتمع عليه جملة من الأكياس فيلزم بدفعها ، وربما باع داره ومتاعه فلا يفى بما تأخر عليه ، فإما يهرب إن أمكنه الهرب ، وإما يبقى فى الحبس ، هذا إنْ كان من أبناء العرب وأهالى البلدة ، وأما إنْ كان بخلاف ذلك ، فربما سومح أو تصدى له من يخفف عنه ، أو يدخله فى منصب أو شركة فيترفع حاله ، ويرجع أحسن ما كان .

ومما حدث أيضًا فى هذه السنة (١) ، الاستيلاء على صناعة المخيش والقصب والتلى الذى يصنع من الفضة للطرازات والمقصبات والمناديل والمحارم وخلافها من الملابس ، وذلك بإغراء بعض صناعهم وتحاسدهم ، وأنّ مكسبها يزيد على ألف كيس فى السنة ، لأن غالب الحوادث بإغراء الناس على بعضهم البعض ، وكذلك الاستيلاء على وكالة الجلابة التى يباع فيها الرقيق من العبيد والجوارى السود ، وغيرهم من البضائع التى تجلب من بلاد السودان ، كسن الفيل ، والتمر هندى ، والشمشم ، وروايا الماء وريش النعام وغير ذلك .

ومنها ، الحجر على عسل النحل وشمعه ، فيضبط جميعه للدولة ، ويباع رطل الشمع بستة قروش ، ولايوجد إلاَّ ما كان مختلسا ويباع خفية ، وكان رطله قبل الحجر بثلاثة قروش ، فإذا وردت مراكب إلى الساحل نزل إليها المفتشون على الأشياء ومن جملتها الشمع ، فيأخذون ما يجدونه ، ويحسب لهم بأبخس ثمن ، فإن أخفى شيئًا وعثروا عليه أخذوه بلا ثمن ، ونكلوا بالشخص الذى يجدون معه ذلك ، وسموه حراميا ليرتدع غيره ، والمتولى على ذلك نصارى وأعوانهم لا دين لهم ، وقد هاف النحل فى هذه السنة ، وامتنع وجود العسل وكذلك ثمر النخيل بل والغلال ، فلم تزل فى هذه السنين مع كثرة الأسيال التى غرقت منها الأراضى بل وتعطل بسببها الزرع ، وزادت أثمانها ، وخصوصا : الفول ، وأما العدس فلا يوجد أيضًا إلاَّ نادرا ، وكذلك التزم بالملاَّحة وتوابعها من زاد فى مالها ، وبلغ ثمن الكيلة قرشا ، وكانت قبل ذلك بثلاثين نصفا ، وفيما أدركناه بثلاثة أنصاف ، وأما أجر الأجراء والفعلة والمعمرين فأبدل النصف بالقرش ، وكذلك ثمن الجير البلدى

---

(١) ١٢٣٥ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨١٩ - ٨ أكتوبر ١٨٢٠ م .

والجبس ، لأن عمائر أهل الدولة مستديمة لاتنقضى أبدا ، ونقل الأتربة إلى الكيمان على قطارات الجمال والحمير من شروق الشمس إلى غروبها ، حتى ستر علوها الأفق من كل ناحية ، وإذا بنى أحدهم دارا فلا يكفيه فى مساحتها الكثير ويأخذ ما حولها من دور الناس بدون القيمة ، ليوسع بها داره ، ويأخذ ما بقى فى تلك الخطة لخاصته وأهل دائرته ، ثم يبنى أخرى كذلك لديوانه وجمعيته ، وأخرى لعسكره وهكذا .

وأما سليمان أغا السلحدار فهو الداهية العظمى ، والمصيبة الكبرى ، فإنه تسلط على بقايا المساجد والمدارس والتكايا التى بالصحراء ، ونقل أحجارها إلى داخل باب البرقية المعروف بالغريب ، وكذلك ما كان جهة باب النصر ، وجمعوا أحجارها خارج باب النصر ، وأنشأ جهة خان الخليلى وكالة ، وجعل بها حواصل وطباقا وأسكنها نصارى الأروام والأرمن بأجرة زائدة أضعاف الأجرة المعتادة ، وكذلك غيرهم ممن رغب فى السكنى ، وفتح لها بابا يخرج منه إلى وكالة الجلابة الشهيرة التى بالخراطين ، لأنها بظاهرها ، وأجَّر الحوانيت كذلك بأجرة زائدة ، فأجَّر الحانوت بثلاثين قرشا فى الشهر ، وكانت الحانوت تؤجر بثلاثين نصفا فى الشهر ، والعجب فى إقدام الناس على ذلك وإسراعهم فى تؤاجرهم قبل فراغ بنائها مع ادعائهم قلة المكاسب ، ووقف الحال ، ولكنهم أيضًا يستخرجونها من لحم الزبون وعظمه ، ثم أخذ بناحية داخل باب النصر مكانا متسعا ، يسمى حوش عُطَى بضم العين وفتح الطاء وسكون الياء ، كان محطا لعربان الطور ونحوهم إذا وردوا بقوافلهم بالفحم والقلى وغيره ، وكذلك أهالى شرقية بلبيس ، فأنشأ فى ذلك المكان أبنية عظيمة تحتوي على خانات متداخلة وحوانيت وقهاوى ومساكن وطباق ، وسكن غالبها أيضًا الأرمن وخلافهم بالأجرة الزائدة ، ثم انتقل إلى جهة خان الخليلى ، فأخذ الخان المعروف بخان القهوة ، وما حوله من البيوت والأماكن والحوانيت ، والجامع المجاور لذلك تصلى فيه الجمعة بالخطبة ، فهدم ذلك جميعه ، وأنشأه خانا كبيرا يحتوى على حواصل وطباق وحوانيت عدتها أربعون حانوتا ، أجرة كل حانوت ثلاثون قرشا فى كل شهر ، وأنشأ فوق السبيل - وبعض الحوانيت - زاوية لطيفة يصعد إليها بدرج عوضا عن الجامع ، ثم انتقل إلى جهة الخرنفش بخط الأمشاطية ، فأخذ أماكن ودورا وهدمها ، وهو الآن مجتهد فى تعميرها كذلك ، فكان يطلب رب المكان ليعطيه الثمن ، فلا يجد بدا من الإجابة ، فيدفع له ما سمحت به نفسه ، إن شاء عشر

الثمن أو أقل أو أزيد بقليل ، وذلك لشفاعة أو واسطة خير ، وإذا قيل له إنه وقف ولا مسوغ لاستبداله لعدم تخربه أمر بتخريبه ليلا ، ثم يأتى بكشاف القاضى فيراه خرابا فيقضى له ، وكان يثقل عليه لفظة وقف ، ويقول : « إيش يعنى وقف » ، وإذا كان على المكان حكر لجهة وقف أصله لايدفعه ولايلتفت لتلك اللفظة أيضًا ، ويتمم عمائره فى أسرع وقت ، لعسفه وقوّة مراسه على أرباب الأشغال والموانة ، ولايطلق للفعلة الرواح بل يحبسهم على الدوام إلى باكر النهار ، ويوقظونهم من آخر الليل بالضرب ، ويبتدئون فى العمل من وقت صلاة الشافعى إلى قبيل الغروب حتى فى شدة الحر فى رمضان ، وإذا ضجوا من الحر والعطش أمرهم مشد العمارة بالشرب، وأحضر لهم السقاء ليسقيهم ، وظن أكثر الناس أن هذه العمائر إنما هى لمخدومه ، لأنه لايسمع لشكوى أحد فيه ، واشتد فى هذا التاريخ أمر المساكن بالمدينة، وضاقت بأهلها لشمول الخراب ، وكثرة الأغراب وخصوصا المخالفين للملة، فهم الآن أعيان الناس يتقلدون المناصب ويلبسون ثياب الأكابر ويركبون البغال والخيول المسومة والرهوانات ، وأمامهم وخلفهم العبيد والخدم ، وبأيديهم العصى يطردون الناس ويفرجون لهم الطرق ، ويتسرون بالجوارى بيضا وحبوشا ، ويسكنون المساكن العالية الجليلة ، يشترونها بأغلى الأثمان ، ومنهم من له دار بالمدينة ودار مطلة على البحر للنزاهة ، ومنهم من عمر له دارا وصرف عليها ألوفا من الأكياس ، وكذلك أكابر الدولة لاستيلاء كل من كان فى خطة على جميع دورها ، وأخذها من أربابها بأى وجه ، وتوصلوا بتقليدهم مناصب البدع إلى إذلال المسلمين ؛ لأنهم يحتاجون إلى كتبة وخدم وأعوان ، والتحكم فى أهل الحرفة بالضرب والشتم والحبس من غير إنكار ، ويقف الشريف والعامى بين يدى الكافر ذليلا ، فضاقت بالناس المساكن ، وزادت قيمتها أضعاف الأضعاف ، وأبدل لفظ الريال الذى كان يذكر فى قيم الأشياء بالكيس ، وكذلك الأجر والأمر فى كل شىء فى الازدياد ، والله لطيف بالعباد ، ولو أردنا إستيفاء بعض الكليات فضلا عن الجزئيات لطال المقال ، وامتد الحال .

وعِشْنا ومِتْنا مَـا نَرى غَيرَ مَا نَرى   تَشَابهَت العجْمَا وزادَ انعجَامُها

نسأل الله حسن اليقين ، وسلامة الدين .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين وألف (1)

استهل شهر المحرم بيوم الإثنين (2)

وفى أوائله (3) ، حضر الباشا من الإسكندرية .

وفيه (4) ، من الحوادث أن الشيخ إبراهيم الشهير بباشا المالكى بالإسكندرية ، قرر فى درس الفقه أن ذبيحة أهل الكتاب فى حكم الميتة لايجوز أكلها ، وما ورد من إطلاق الآية ، فإنه قبل أن يغيروا ويبدلوا فى كتبهم ، فلما سمع فقهاء الثغر ذلك أنكروه واستغربوه ، ثم تكلموا مع الشيخ إبراهيم المذكور وعارضوه ، فقال : « أنا لم أذكر ذلك بفهمى وعلمى ، وإنما تلقيت ذلك عن الشيخ على الميلى المغربى ، وهو رجل عالم متورع موثوق بعلمه » ، ثم إنه أرسل إلى شيخه المذكور بمصر يعلمه بالواقع ، فألف رسالة فى خصوص ذلك ، وأطنب فيها ، فذكر أقوال المشايخ والخلافات فى المذاهب ، واعتمد قول الإمام الطرطوشى فى المنع ، وعدم الحِل ، وحشا الرسالة بالحط على علماء الوقت وحكامه ، وهى نحو الثلاثة عشر كراسة ، وأرسلها إلى الشيخ إبراهيم فقرأها على أهل الثغر ، فكثر اللغط والإنكار ، خصوصا وأهل الوقت أكثرهم مخالفون للملة ، وانتهى الأمر إلى الباشا ، فكتب مرسوما إلى كتخدا بيك بمصر وتقدم إليه بأن يجمع مشايخ الوقت لتحقيق المسألة ، وأرسل إليه بالرسالة أيضًا المصنفة ، فأحضر كتخدا بيك المشايخ ، وعرض عليهم الأمر ، فلطف الشيخ محمد العروسى العبارة ، وقال الشيخ على الميلى رجل من العلماء تلقى عن مشايخنا ومشايخهم ، لاينكر علمه وفضله وهو منعزل عن خلطة الناس : إلا أنَّه حاد المزاج ويعقله بعض خلل ، والأولى أن نجتمع به ونتذاكر فى غير مجلسكم ، وننهى بعد ذلك الأمر إليكم ، فاجتمعوا فى ثانى يوم (5) ، وأرسلوا إلى الشيخ على يدعونه للمناظرة فأبى عن الحضور ، وأرسل الجواب مع شخصين من مجاورى المغاربة ، يقولان : « إنه لايحضر مع الغوغاء ، بل يكون فى مجلس خاص ، يتناظر فيه مع الشيخ محمد ابن الأمير بحضرة الشيخ حسن القويسنى ، والشيخ حسن العطار فقط ؛ لأن ابن الأمير يناقشه ويشن عليه الغارة » ، فلما قالا ذلك القول تغير ابن الأمير ، وأرعد وأبرق وتشاتم بعض من بالمجلس مع الرسل ، وعند ذلك أمروا بحبسهما فى بيت الأغا ، وأمروا الأغا بالذهاب إلى بيت الشيخ على وإحضاره

---

(1) ١٢٣٦ هـ / ٩ أكتوبر ١٨٢٠ - ٢٧ سبتمبر ١٨٢١ م .

(2) ١ محرم ١٢٣٦ هـ / ٩ أكتوبر ١٨٢٠ م .

(3) ١ محرم ١٢٣٦ هـ / ٩ أكتوبر ١٨٢٠ م .

(4) ١ محرم ١٢٣٦ هـ / ٩ أكتوبر ١٨٢٠ م .

(5) ٢ محرم ١٢٣٦ هـ / ١٠ أكتوبر ١٨٢٠ م .

بالمجلس ولو قهرا عنه ، فركب الأغا وذهب إلى بيت المذكور فوجده قد تغيب ، فأخرج زوجته ومن معها من البيت ، وسمر البيت ، فذهبت إلى بيت بعض الجيران ، ثم كتبوا عرضا محضرا وذكروا فيه بأن الشيخ عليّ على خلاف الحق ، وأبى عن حضور مجلس العلماء والمناظرة معهم فى تحقيق المسألة ، وهرب واختفى لكونه على خلاف الحق ، ولو كان على الحق ما اختفى ولا هرب ، والرأى لحضرة الباشا فيه إذا ظهر ، وكذلك فى الشيخ إبراهيم باشا السكندرى ، وتمموا العرض وأمضوه بالختوم الكثيرة ، وأرسلوه إلى الباشا ، وبعد أيام أطلقوا الشخصين من حبس الأغا ، ورفعوا الختم عن بيت الشيخ عليّ ، ورجع أهله إليه ، وحضر الباشا إلى مصر فى أوائل الشهر [1] ، ورسم بنفى الشيخ إبراهيم باشا إلى بنى غازى ، ولم يظهر الشيخ عليّ من اختفائه .

واستهل شهر صفر بيوم الأربعاء سنة ١٢٣٦ [2]

وفى أوائله [3] ، حضر إبراهيم باشا من الجهة القبلية بعدما طاف الفيوم أيضًا ، وأحضر معه جملة أشخاص قبض عليهم من المفسدين من العربان ، وهم فى الجنازير الحديد ، وشقوا بهم البلد ، ثم حبسوهم .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة ١٢٣٦ [4]

وفى أوائله [5] ، حضر نحو العشرة أشخاص من الأمراء المصرية البواقى فى حالة رثة ، وضعف وضيم واحتياج ، وكانوا أرسلوا وطلبوا الأمان وأجيبوا إلى ذلك .

وفيه[6] ، أشهروا العربان الذين أحضرهم إبراهيم باشا معه وقتلوهم وهم أربعة اثنان بالرميلة ، واثنان بباب زويلة .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت سنة ١٢٣٦ [7]

وفيه [8] ، أخرج الباشا عبدالله بيك الدرندلى منفيا ، وكان عبدالله بيك هذا

---

(١) ١ محرم ١٢٣٦ هـ / ٩ أكتوبر ١٨٢٠ م . (٢) صفر ١٢٣٦ هـ / ٨ نوفمبر - ٦ ديسمبر ١٨٢٠ م .

(٣) ١ صفر ١٢٣٦ هـ / ٨ نوفمبر ١٨٢٠ م .

(٤) ربيع الأول ١٢٣٦ هـ / ٧ ديسمبر ١٨٢٠ - ٥ يناير ١٨٢١ م .

(٥) ١ ربيع الأول ١٢٣٦ هـ / ٧ ديسمبر ١٨٢٠ م . (٦) ١ ربيع الأول ١٢٣٦ هـ / ٧ ديسمبر ١٨٢٠ م .

(٧) ربيع الثانى ١٢٣٦ هـ / ٦ يناير - ٣ فبراير ١٨٢١ م .

(٨) ١ ربيع الثانى ١٢٣٦ هـ / ٦ يناير ١٨٢١ م ، كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٣١٧ ، طبعة بولاق « قوله : وفيه أخرج الباشا عبدالله الخ فى كثير من النسخ إدراجه بصفر وبالجملة قد يوجد هنا اختلاف غير هذا بين النسخ فى التقديم والتأخير لا غير ا هـ .

يسكن بخطة الخرنفش ، وهو رجل فيه سكون قليل الأذى ، وملك بتلك الناحية دورا وأماكن ، وله عزوة وعساكر وأتباع ، وكان يجلس بحضرة الباشا وينادمه ، ويتوسع معه فى الكلام والمسامرة ، وسبب تغير خاطر الباشا عليه ، أنه جرى ذكر على باشا تبدلان الأرنؤدى وحروبه ، ومخالفة العساكر عليه ، فقال عبدالله المذكور : « إنّ العساكر يرون محاربة السلطان معصية أو كلاما هذا معناه » ، فتغير وجه الباشا من ذلك القول ، ويقال : « إنه أمر بقتله ، فشفع فيه حسن باشا طاهر من القتل ، وأن يخرج منفيا هكذا أشيع واستفيض » ، وانضم إلى ذلك أنه قال لشريف بيك أمين الخزنة عند تأخر علوفته : « خدمة نصرانى أحسن من خدمتكم » ، مع المشاجرة فبلغها شريف بيك للباشا أيضًا ، وأوغر صدره عليه ، ودفع له الباشا علوفته وثمن ما حازه من الأماكن والأملاك ، ووصله ذلك على عدة جمال محملة بالدراهم ، وسافر فى ثامنه [1] على طريق البر ، وأبقى حريمه وأثقاله ليأتوه على سفن البحر .

وفى سادس عشره [2] ، أمر الباشا بقراءة صحيح البخارى بالجامع الأزهر ، فاجتمع فى يوم الإثنين ، سابع عشره [3] ، وقرءوا فى الأجزاء على العادة ضحوة النهار أربعة أيام آخرها الخميس [4] ، وفرقوا على أولاد المكاتب دراهم ، وكذلك على مجاورى الأزهر فى نظير قراءة البخارى .

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد سنة ١٢٣٦ [5]

فيه [6] ، حضر إبراهيم باشا ، ونزل بقصره الجديد بل قصوره ، لأنه أنشأ عدة قصور متصلة وبساتين ومصانع متصلة متسعة مزخرفة ، منها قصر لديوانه ، وقصر لحريمه ، وقصر لخصوص عباس باشا ابن أخيه وغير ذلك .

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٦ [7]

فيه [8] ، عزم إبراهيم باشا على إعادة قياس أراضى قرى مصر ، وأحضر من بلاد الصعيد عدة كبيرة من القياسين نحو الستين شخصا .

---

(١) ٨ ربيع الثانى ١٢٣٦ هـ / ١٣ يناير ١٨٢١ م .   (٢) ١٦ ربيع الثانى ١٢٣٦ هـ / ٢١ يناير ١٨٢١ م .
(٣) ١٧ ربيع الثانى ١٢٣٦ هـ / ٢٢ يناير ١٨٢١ م .   (٤) ٢٠ ربيع الثانى ١٢٣٦ هـ / ٢٥ يناير ١٨٢١ م .
(٥) جمادى الأولى ١٢٣٦ هـ / ٤ فبراير - ٥ مارس ١٨٢١ م .
(٦) جمادى الأولى ١٢٣٦ هـ / ٤ فبراير - ٥ مارس ١٨٢١ م .
(٧) جمادى الثانية ١٢٣٦ هـ / ٦ مارس - ٣ ابريل ١٨٢١ م .
(٨) ١ جمادى الثانية ١٢٣٦ هـ / ٦ مارس ١٨٢١ م .

وفى يوم السبت خامسه [1] ، عدى إلى الجيزة تجاه القصور وجمع القياسين والمهندسين ، وكذلك مهندسى الإفرنج ، وقاس كل قياسته وكيفية عمله فعاند المعلم غالى ، وأحب تأييد أهل حرفته من قياسى القبط ، وقال كل منهم على الصحيح ، وعلم إبراهيم باشا أنّ قياس المهندسين وأرباب المساحة أصح ، ولكن فيها بطء ، فقال: « أريد الصحيح ، ولكن مع السرعة » ، بعد أن عمل امتحانا ومثالا فى قطعة من الأرض ، يظهر بها برهان الصحة ، والتفاوت ، وأمسى الوقت فأمرهم بالذهاب والرجوع يوم الخميس [2] ، الآتى ، فحضروا كذلك ، واشتغلوا يومهم بالعمل إلى آخر النهار ، ثم اختار من مهندسى الأقباط طائفة وطرد الآخرين .

وسافر فى رابع عشره [3] ، إلى ناحية شرق أطفيح ، وأخذ من المهندسخانة كبيرها ، وصحبته سبعة عشر شخصا ، وكذلك أشخاصا من الإفرنج المهندسين ، وانتقصوا من القصبة فى هذه المرة مقدار قبضة .

واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة ١٢٣٦ [4]

فيه [5] ، سافر مماليك الباشا إلى جهة أسيوط مثل العام الماضى ، ليكرتنوا هناك حذرا وخوفا عليهم من حدوث الطاعون بمصر .

وفى سابع عشره [6] ، ارتحل محمد بيك الدفتردار مسافرا إلى دارفور ببلاد السودان ، بعد أن تقدمه طوائف كثيرة عساكر أتراك ومغاربة .

وفى خامس عشرينه [7] ، أمر الباشا بنفى محمد المعروف بالدرويش ، كتخدا محمود بيك الذى هو الآن كتخدا بيك ، والسيد أحمد الرشيدى كاتب الرزق ، وسليمان أفندى ناظر المدابغ والجلود وثلاثتهم إلى قلعة أبى قير ، لمقتضيات واهية فى خدم مناصبهم ، ومحمد كتخدا كان ناظرا على الجلود فى العام الماضى قبل سليمان أفندى المذكور .

---

(١) ٥ جمادى الثانية ١٢٣٦ هـ / ١٠ مارس ١٨٢١ م .

(٢) ١٠ جمادى الثانية ١٢٣٦ هـ / ١٥ مارس ١٨٢١ م .

(٣) ١٤ جمادى الثانية ١٢٣٦ هـ / ١٩ مارس ١٨٢١ م .

(٤) رجب ١٢٣٦ هـ / ٤ أبريل - ٣ مايو ١٨٢١ م .

(٥) ١ رجب ١٢٣٦ هـ / ٤ أبريل ١٨٢١ م .

(٦) ١٧ رجب ١٢٣٦ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٢١ م .

(٧) ٢٥ رجب ١٢٣٦ هـ / ٢٨ أبريل ١٨٢١ م .

وفى أواخره [1] ، حضر جماعة من المماليك المصرية الذين كانوا بدنقلة فيهم ثلاثة صناجق أحدهم : أحمد بيك الألفى وهو زوج عديلة هانم بنت إبراهيم بيك الكبير .

واستهل شهر شعبان بيوم الجمعة سنة ١٢٣٦ [2]

وفى ثامنه يوم الجمعة [3] ، عمل سليمان أغا السلحدار الجمعية بالجامع المعروف بالأحمر ، وكان قد تخرب ، ولم يبق به إلا الجدران ، فتصدى لعمارته سليمان أغا المذكور ، وسقفه أيضًا بأفلاق النخيل والجريد والبوص ، وأقام له عمدا من الحجارة ، وجدد منبره وبلاطه وميضأته ومراحيضه ، وفرشه بالحصر ، وعمل به الجمعية فى ذلك اليوم [4] ، واجتمع به عالم كثيرون من الناس ، وخطب على منبره الشيخ محمد الأمير ، وبعد انقضاء الصلاة قرأ درسا ، وأملى فيه حديث من بنى لله مسجدا ، وبعد انقضاء ذلك خلع عليه فروة ، وكذلك على الشيخ العروسى ، وعمل لهم شربات سكر .

وفى يوم السبت ثالث عشرينه [5] ، حضر إبراهيم باشا من ناحية شرق أطفيح.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه [6] ، سافر بمن معه إلى ناحية شرقية بلبيس.

واستهل شهر رمضان بيوم الأحد سنة ١٢٣٦ [7]

وعملت الرؤية فى تلك الليلة كالعادة ، وركب فيها مشايخ الحرف والمحتسب، وأثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة بعد مضى أربع ساعات من الليل، ولم يحصل فيه من الحوادث غير تغالى الأثمان وتعاليها ، بسوء فعل السوقة ، وإظهار ردئ المأكولات ، وإخفاء جيدها ، وقد انقضى بخير .

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٦ [8]

فى ثالثه [9] ، حضرت هجانة من أراضى نجد وبصحبتهم أشخاص من كبار

(1) آخر رجب ١٢٣٦ هـ / ٣ مايو ١٨٢١ م .
(2) شعبان ١٢٣٦ هـ / ٤ مايو - ١ يونيه ١٨٢١ م .
(3) ٨ شعبان ١٢٣٦ هـ / ١١ مايو ١٨٢١ م .
(4) ٨ شعبان ١٢٣٦ هـ / ١١ مايو ١٨٢١ م .
(5) ٢٣ شعبان ١٢٣٦ هـ / ٢٦ مايو ١٨٢١ م .
(6) ٢٦ شعبان ١٢٣٦ هـ / ٢٩ مايو ١٨٢١ م .
(7) رمضان ١٢٣٦ هـ / ٢ يونيه - ١ يوليه ١٨٢١ م .
(8) شوال ١٢٣٦ هـ / ٢ يوليه - ٣٠ يوليه ١٨٢١ م .
(9) ٣ شوال ١٢٣٦ هـ / ٤ يوليه ١٨٢١ م .

الوهابية مقيدون على الجمال ، وهم عمر بن عبد العزيز ، وأولاده ، وأبناء عمه ، وذلك أنهم لما رجعوا إلى الدرعية بعد رحيل إبراهيم باشا وعساكره ، وكان معهم مشارى بن مسعود ، وقد كانوا هربوا فى الدرعية بعدما رحل عنها إبراهيم باشا ، وتركى بن عبدالله ابن أخى عبد العزيز ، وولد عم مسعود الأمشارى ، فإنه هرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد مسعود وجماعتهم حين أرسلهم إبراهيم باشا إلى مصر فى الحمراء ، وهى قرية بين الجديدة وينبع البحر ، وذهب إلى الدرعية ، واجتمع عليه من فرّ حين قدمت العساكر ، وأخذوا فى تعميرها ، ورجع أكثر أهلها وقدموا عليهم مشارى ، ودعا الناس إلى طاعته ، فأجابه الكثير منهم ، فكادت تتسع دولته ، وتعظم شوكته ، فلما بلغ الباشا ذلك جهز له عساكر رئيسها حسين بيك ، فأوثقوا مشارى وأرسلوه إلى مصر ، فمات فى الطريق ، وأما عمر وأولاده وبنو عمه فتحصنوا فى قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين ، بحجر اليمامة ، وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقافلة ، فنزل عليهم حسين بك وحاربهم ثلاثة أيام أو أربعة ، وطلبوا الأمان ، لما علموا أنهم لا طاقة لهم به فأعطاهم الأمان على أنفسهم ، فخرجوا له إلا تركى فإنه خرج من القلعة ليلا وهرب ، وأما حسين بيك فإنه قيد الجماعة وأرسلهم إلى مصر فى الشهر المذكور ، وهم الآن مقيمون بمصر بخطة الحنفى قريبًا من بيت جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت .

واستهل شهر ذى القعدة بيوم الأربعاء سنة ١٢٣٦ (١)

فيه (٢) ، حضر إبراهيم باشا من سرحته بالشرقية بسبب قياس الأراضى والمساحة.

وفى منتصفه (٣) ، سافر الباشا إلى الإسكندرية لداعى حركة الأروام ، وعصيانهم ، وخروجهم عن الذمة ، ووقوفهم بمراكب كثيرة العدد بالبحر ، وقطعهم الطريق على المسافرين واستئصالهم بالذبح والقتل ، حتى أنهم أخذوا المراكب الخارجة من إسلامبول ، وفيها قاضى العسكر المتولى قضاء مصر ، ومن بها أيضًا من السفار

---

(١) ذى القعدة ١٢٣٦ هـ / ٣١ يوليه - ٢٩ اغسطس ١٨٢١ م .

(٢) ١ ذى القعدة ١٢٣٦ هـ / ٣١ يوليه ١٨٢١ م .

(٣) ١٥ ذى القعدة ١٢٣٦ هـ / ١٤ اغسطس ١٨٢١ م .

والحجاج ، فقتلوهم ذبحا عن آخرهم ، ومعهم القاضى وحريمه وبناته وجواريه وغير ذلك ، وشاع ذلك بالنواحى ، وانقطعت السبل ، فنزل الباشا إلى الإسكندرية ، وشرع فى تشهيل مراكب مساعدة للدونانمة السلطانية ، وسيأتى تتمة هذه الحادثة ، وبعد سفر الباشا سافر أيضًا إبراهيم باشا إلى ناحية قبلى قاصدا بلاد النوبة .

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الجمعة سنة ١٢٣٦ (١)

فيه (٢) ، خرجت عساكر كثيرة ومعهم رؤساؤهم ، وفيهم محو بيك ومغاربة ، وآلات الحرب كالمدافع وجبخانات البارود واللغمجية ، وجميع اللوازم ، قاصدين بلاد النوبة ، وما جاورها من بلاد السودان .

وفيه (٣) ، سافر أيضًا محمد كتخدا لاظ المنفصل عن الكتخدائية إلى إسنا ليتلقى القادمين ويشيع الذاهبين .

وفيه (٤) ، وصلت بشائر من جهة قبلى باستيلاء إسماعيل باشا على سنار ، بغير حرب ، ودخول أهلها تحت الطاعة ، فضربت لتلك الأخبار مدافع من القلعة .

وانقضت هذه السنة (٥) ، وما تجدد بها من الحوادث انقضى بعضها ، والبعض باق إلى الآن .

فمنها ، توقف زيادة النيل ، وذلك أنه لم يستتم أذرع الوفاء إلى ثامن عشر مسرى القبطى (٦) ، حتى ضجر الناس وضج الفلاحون .

ومنها ، أمر المعاملة التى زادت زيادة فاحشة حتى بلغ البندقى ألفا ومائتى نصف ، والمجر والفندقلى عشرين قرشا ، عنها ثمانمائة نصف ، وبلغ صرف الريال الفرانسة أربعة عشر قرشا ، عنها خمسمائة نصف وستون نصفا ، وقس على ذلك باقى الأصناف .

ومنها : غلو الأثمان فى جميع المبيعات من ملبوسات ومأكولات والغلال ، حتى

(١) ذى الحجة ١٢٣٦ هـ / ٣٠ اغسطس - ٢٧ سبتمبر ١٨٢١ م .
(٢) ١ ذى الحجة ١٢٣٦ هـ / ٣٠ اغسطس ١٨٢١ م . (٣) ١ ذى الحجة ١٢٣٦ هـ / ٣٠ اغسطس ١٨٢١ م .
(٤) ١ ذى الحجة ١٢٣٦ هـ / ٣٠ اغسطس ١٨٢١ م .
(٥) ١٢٣٦ هـ / ٩ أكتوبر ١٨٢٠ - ٢٧ سبتمبر ١٨٢١ م .
(٦) ١٨ مسرى ١٥٣٧ ق / ٢٣ اغسطس ١٨٢١ م .

وصل الأردب إلى ألف وخمسمائة نصف ، والرطل السمن إلى خمسين نصفا ، وإلى ستين نصفا ، وقس على ذلك .

وأما حادثة الأروام : التى هى باقية إلى الآن ، وما وقع منهم من الإفساد ، وقطع الطريق على المسافرين ، واستيلائهم على كل ما صادفوه من مراكب المسلمين ، وخروجهم عن الذمة وعصيانهم ، وما وقع معهم من الوقائع ، وما سينتهى حالهم إليه ، فسيتلى عليك إن شاء الله تعالى بكماله فى الجزء الآتى بعد ذلك ، والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

وجد بآخر بعض النسخ ما نصه

« إلى هنا انتهى ما نقل من خط العلامة الشيخ عبد الرحمن
ابن الشيخ حسن الجبرتى مؤرخ هذه
المدة وما قبلها لغاية هذا التاريخ
سنة ١٢٣٦ وهذا آخر الجزء
وبعده توفى
الشيخ ولم يكتب
شيئا »
تم

كشافات

من كتاب

عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للجبرتى

١ - كشاف الاعلام .

٢ - كشاف الأمم والقبائل والجماعات والعشائر .

٣ - كشاف الأماكن والبلاد والمدن والجبال والبحار والسفن والآثار والتحف المنقولة والعملة .

٤ - كشاف المصطلحات والوظائف .

★ رُتب هذا الكشاف ترتيبًا هجائيًا ، مع إغفال الـ ، ابن ، ابو .... ووجودها رسمًا واغفالها حكما . فمثلاً عند البحث عن كلمة ابن الباشا ؛ يكون المدخل « باشا » ... إلخ .

كشاف الاعلام

(خ)

(ش)

(ع)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

كشاف الأمم والقبائل والجماعات والعشائر

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

كشاف الأماكن والبلاد والمدن والجبال والبحار والسفن والآثار والتحف المنقولة والعملة

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ذ)

(ر)

(ز)

(ص)

(ض)

(ط)

(ق)

(ك)

(ل)

(ن)

(هـ)

(و)

(لا)

(ى)

كشاف المصطلحات والوظائف

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

(هـ)

المحتــوى

الموضـــوع	الصفحة
احداث سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف	١٢٩-١٤٥
شهر صفر سنة ١٢٢٣ هـ	١٢٩
شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٣ هـ	١٣٠
شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٣ هـ	١٣١
شهر جمادى الأخرة سنة ١٢٢٣ هـ	١٣١
شهر رجب سنة ١٢٢٣ هـ	١٣٤
شهر رمضان سنة ١٢٢٣ هـ	١٣٦
شهر شوال سنة ١٢٢٣ هـ	١٣٧
شهر القعدة سنة ١٢٢٣ هـ	١٣٨
شهر ذى الحجة سنة ١٢٢٣ هـ	١٣٨
ذكر من مات فى هذه السنة ممن له ذكر	١٤٣
احداث سنة اربع وعشرين ومائتين والف	١٤٥ - ١٧٥
شهر صفر سنة ١٢٢٤ هـ	١٤٧
شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٤ هـ	١٥٠
شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٤ هـ	١٥٢
شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٤ هـ	١٥٣
شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٤ هـ	١٥٩
شهر رجب سنة ١٢٢٤ هـ	١٦٢
شهر شعبان سنة ١٢٢٤ هـ	١٦٤
شهر رمضان سنة ١٢٢٤ هـ	١٦٦
شهر شوال سنة ١٢٢٤ هـ	١٦٦
شهر ذى القعدة سنة ١٢٢٤ هـ	١٦٧
شهر ذى الحجة سنة ١٢٢٤ هـ	١٦٨
ذكر من مات فى هذه السنة ممن له ذكر	١٧٠
احداث سنة خمس وعشرين ومائتين والف	١٧٥ - ٢٠٥
شهر صفر سنة ١٢٢٥ هـ	١٧٧
شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٥ هـ	١٨٠
شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٥ هـ	١٨٢
شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٥ هـ	١٨٧

الموضوع	الصفحة
شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٥ هـ	١٩٢
شهر رجب سنة ١٢٢٥ هـ	١٩٣
شهر شعبان سنة ١٢٢٥ هـ	١٩٧
شهر رمضان سنة ١٢٢٥ هـ	١٩٩
شهر شوال سنة ١٢٢٥ هـ	٢٠٠
شهر ذى القعدة سنة ١٢٢٥ هـ	٢٠٢
شهر ذى الحجة سنة ١٢٢٥ هـ	٢٠٢
ذكر من مات فى هذه السنة ممن له ذكر	٢٠٤
احداث سنة ست وعشرين ومائتين والف	**٢٠٥ - ٢٢٥**
شهر صفر سنة ١٢٢٦ هـ	٢٠٦
شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٦ هـ	٢١٤
شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٦ هـ	٢١٦
شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٦ هـ	٢١٦
شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٦ هـ	٢١٧
شهر رجب سنة ١٢٢٦ هـ	٢١٧
شهر شعبان سنة ١٢٢٦ هـ	٢١٨
شهر رمضان سنة ١٢٢٦ هـ	٢١٨
شهر شوال سنة ١٢٢٦ هـ	٢٢٠
شهر ذى القعدة سنة ١٢٢٦ هـ	٢٢٠
شهر ذى الحجة سنة ١٢٢٦ هـ	٢٢١
ذكر من مات فى هذه السنة ممن له ذكر	٢٢٥
احداث سنة سبع وعشرين ومائتين والف	**٢٢٥ - ٢٦٩**
شهر صفر سنة ١٢٢٧ هـ	٢٢٨
شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٧ هـ	٢٢٨
شهر ربيع الآخر سنة ١٢٢٧ هـ	٢٢٩
شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٧ هـ	٢٣٣
شهر رجب سنة ١٢٢٧ هـ	٢٣٤
شهر شعبان سنة ١٢٢٧ هـ	٢٣٦
شهر رمضان سنة ١٢٢٧ هـ	٢٣٧

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
شهر جمادى الأولى سنة ١٢٣٥ هـ	٤٧٦
شهر جمادى الثانى سنة ١٢٣٥ هـ	٤٧٧
شهر رجب سنة ١٢٣٥ هـ	٤٧٨
شهر شعبان سنة ١٢٣٥ هـ	٤٧٩
شهر رمضان سنة ١٢٣٥ هـ	٤٧٩
شهر شوال سنة ١٢٣٥ هـ	٤٨٠
شهرى (ذى القعدة - ذى الحجة) سنة ١٢٣٥ هـ	٤٨٢
أحداث سنة ست وثلاثين ومائتين وألف	٤٩٠ - ٤٩٧
شهر المحرم سنة ١٢٣٤ هـ	٤٩٠
شهور (صفر - ربيع أول - ربيع ثانى) سنة ١٢٣٦ هـ	٤٩١
شهرى (جمادى الأولى - جمادى الثانية) سنة ١٢٣٦ هـ	٤٩٢
شهر رجب سنة ١٢٣٦ هـ	٤٩٣
شهور (شعبان - رمضان - شوال) سنة ١٢٣٦ هـ	٤٩٤
شهر ذى القعدة سنة ١٢٣٦ هـ	٤٩٥
شهر ذى الحجة ١٢٣٦ هـ	٤٩٦
كشافات الجزء الرابع من الجبرتى	٤٩٩ - ٥٧٩
كشاف الاعلام	٥٠١
كشاف الأمم والقبائل والجماعات والعشائر	٥٢٢
كشاف الأماكن والبلاد والمدن والجبال والبحار والسفن والآثار والتحف المنقولة والعملة	٥٣٥
كشاف المصطلحات والوظائف	٥٦٢

رقم الإيداع بدار الكتب ١٣٧١٢ / ٢٠٠٣

I.S.B.N 977 - 01 - 8708 - 9

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



وبعد أكثر من عشرة أعوام من عمر مكتبة الأسرة نستطيع أن نؤكد أن جيلاً كاملاً من شباب مصر نشأ على إصدارات هذه المكتبة التى قدمت خلال الأعوام الماضية ذخائر الإبداع والمعرفة المصرية والعربية والإنسانية النادرة وتقدم فى عامها الحادى عشر المزيد من الموسوعات الهامة إلى جانب روافد الإبداع والفكر زاداً معرفياً للأسرة المصرية وعلامة فارقة فى مسيرتها الحضارية .

سوزان مبارك

التنفيذ
الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠ قرش